

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٤٠ - شوال ١٤٢٥هـ - نوفمبر/ديسمبر ٢٠٠٤م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 340 - NOV/DEC. 2004

- المبادئ والأساليب الحكيمة للتصالح والإصلاح بين الناس
- بورصا بين الماضي والحاضر
- الموسوعة البريطانية الوسيلة الاستشراقية الجديدة

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

  الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

  يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

  يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

  التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

  تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

  ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات ـ الكويت ٨٠٠ فلس ـ الإمارات ١٠ دراهم ـ قطر ١٠ ريالات ـ البحرين دينار واحد ـ عُمان ريال واحد ـ الأردن ٧٥٠ فلس ـ اليمن ١٠٠ ريال ـ مصر ٤جنيهات ـ السودان ١٥٠ دينارًا ـ المغرب ١٠ دراهم ـ تونس ٢٥٠, ١دينار ـ الجزائر ٨٠ دينارًا ـ العراق ٨٠٠ فلس ـ سورية ٤٥ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ـ هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢..، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨. فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١. ٠٠٩٦٣، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ٧١ ـ ٠٠٢١٦، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٠٠٩٧٤، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٠٠٩٧١، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٠٠٩٦٥، المغرب ، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٢١/٣٢ ـ ٢٢١٢ ـ ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ ـ ٣ ـ ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧



المبادئ والأساليب الحكيمة للتصالح والإصلاح بين الناس

بقدر دوام الخصومات واشتدادها، تقلّ لذة الحياة الاجتماعية، وتتضاعف ويلاتها. ولهذا فإن أهمية المسارعة في إزالتها كأهمية المسارعة في إزالة الحالات المرضية. ولا شك أن العفو عن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان صعب على النفس، ولكن الفضيلة تتطلب التضحية ومغالبة البغض والغضب، ولهذا مدح الله الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس.

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الايداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨



الفيصل في العراق

أشير إلى إعجابي بكل ما ينشر على صفحات المجلة، وإني من متابعي المجلة حتى بداية التسعينيات، وانقطعت المجلة منذ عام ١٩٩٠م حتى عام ٢٠٠٤م، حيث بدأت تصل نسخ قليلة عن طريق السائقين بين (عمان - بغداد)، وإني أتمنى من كل قلبي لكم دوام النجاح والاستمرار؛ لأن للمجلة الكثير من القراء في العراق، وإنهم يتطلعون شوقًا إلى مطالعة المجلة الثقافية الرائدة «الفيصل» إذ إن المجلة سابقًا بها عدد من الموضوعات التي أدت إلى اهتمام القارئ، والتي من الضروري إعادة النظر بتبويب المجلة من خلال إعادة أبواب دائرة المعارف، واختراعات، ومتاحف العالم، ومن عادات الشعوب.

وحول المسابقة أقترح أن تعملوا، كما في السابق، نشر عشرة أسئلة وعشرين فائزًا بدلاً من طبيعة المسابقة الحالية، وأن تكون الأجوبة في عددين أو ثلاثة من الأعداد السابقة.

أتمنى أن تكون المجلة نبراسًا للعلم والثقافة من خلال تعاونكم بتوفير المجلة لكي تباع بسعر معقول.

إيمان علي عبدان درويش

العراق - بغداد - بريد ١٤ تموز

التحرير:

أولاً: نتمنى من الله أن ينعم العراق بالأمن والاستقرار في القريب العاجل، وعلى الرغم من ظروف السنوات التي أشرت إليها إلاّ أن القراء من العراق الحبيب لم ينقطعوا، وظلوا على وفائهم للمجلة، وهناك كتّاب دائمون من العراق، ونتمنى أن توزع الفيصل في العراق بالشكل الذي يليق بريادة العراق، ودوره في محيطه العربي والإسلامي، ونشكر لك آراءك، ونطمئنك أن المجلة تعمل على خطة تطوير شاملة، وسوف تؤخذ آراؤك في الحسبان إن شاء الله.

وادٍ أم منطقة؟!

بدءًا استميحكم عذرًا أن يتسع صدركم لي، إذ كثيرًا ما يكون لي بعض الاستفسارات عن طبيعة أسئلة المسابقة، والسبب في ذلك هو أنني في أوائل التسعينيات، كنت طالبة في جامعة اليرموك قسم الصحافة والإعلام، وكنت قارئة لمجلة الفيصل، ومشاركة في حلول مسابقاتها منذ ذلك اليوم، وحتى هذه اللحظة لم يحالفني الحظ، في البدايات فزت باشتراك لم يصلني حتى هذا اليوم.

إنني أعرف أن الفائزين بالقرعة، وبما أن سوء الحظ الذي لا زمني طوال هذه السنوات فأخذت أفكر أنني من المحتمل أن أجاوب عن الأسئلة خطأ، فأخذت أدقق وأتمعن في الأسئلة، ومحاولة فهمها فهمًا صحيحًا؛ لتكون الإجابة صحيحة، فلعل وعسى أن يتغير سوء الحظ هذا إلى الأحسن، لكي يتسنى لي الفوز بإذن الله.

والآن في العدد (٣٣٥) عندي الملاحظة الآتية، ولعل وعسى أن يكون إجاباتي صحيحة وأدخل القرعة، والملاحظة هي:

يقول السؤال الخامس: الوشم: هو:

- واد كبير توقف جريانه.

- منطقة تضم الكثير من المدن والقرى.

والسؤال هو: هل الوادي الكبير الذي توقف جريانه قبل سنوات طويلة يمنع أن يكون هذا الوادي منطقة، وبها العديد من المدن والقرى؟

هل السؤال بمعنى وادٍ أي أنه نوع من التضاريس للمنطقة؟ أم جيولوجية المنطقة؟

وهل المنطقة التي فيها القرى والمدن المعنية جبلية، أم سهلية، أم ثرمٌ؟

علمًا أنني حاولت أن أجد مرجعًا عن جيولوجية المملكة وتضاريسها فعجزت.

وعليه اضطررت إلى الرجوع إلى بعض المراجع، وهي:

- كتاب المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية للأستاذ حمد الجاسر، القسم الثاني؛ يقول فيه: الوشم: منطقة ذات قرى قاعدتها شقراء في إمارة الرياض.

- متن اللغة: يقول: الوشم: بلد قرب اليمامة، والوشوم: موضع أو قرى خمس عليها سور وأصله لبني عائذ، وهي بين العارض والدهناء.

ـ معجم البلدان لياقوت الحموي، المجلد الخامس، يقول: الوشم: ويقال لها الوشوم: موضع باليمامة يشتمل على أربع قرى، ومنبرها النقي، وإليها يخرج من حجر اليمامة. وبين الوشم وقراه مسيرة ليلة، وبينها وبين اليمامة ليلتان.

عن نصر قال زياد بن منقذ:

والوشم قد خرجت منه وقابلها

من الثنايا التي لم أقلها ثرمُ

وأخبرنا بدوي من أهل تلك البلاد أن الوشم خمس قرى عليها سور واحد من اللبن، وفيها نخل وزرع لبني عائذ لآل مزيد، والقرية الجامعة فيها ثرمداء، وبعدها شقراء وأشيقر وأبو الريش والمحمدية، وهي بين العارض والدهناء.

وعليه فقد غَلَّبت الاختيار الثاني ـ ب ـ في الحل، والإجابة عن الخيار الأول (أ) في كوبون الإجابة المرسل برسالة خاصة.

ومما رجح اعتماد الخيار الثاني قول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غيــر ذي زرع...إلخ، وذلك على لسان إبراهيم عليه السلام، ويعني بها مكة، ومكة فيها الجبال والبطاح وغيرها من الشعاب والأودية، وعليه فهي منطقة..

أعود وأكرر اعتذاري وطلبي منكم سعة الصدر، وقد أستمر على هذه التعليقات كلما وقعت في إشكال من سوء الفهم إلى أن يتغير حظي.

رُلى كمال أسعد

عمان ـ الأردن

التحرير:

نشكر لك هذه المتابعة الدقيقة، ونعتذر لعدم وصول جائزتك إليك، وكنا نأمل الكتابة في حينها لتدارك الأمر، ونتمنى أن يفارقك سوء الحظ الذي يلازمك، أما حديثك عن السؤال المطروح، فإن إجابتك كافية ودليل على أن المسابقة تؤدي دورها في حث القارئ على البحث، وتقارب الإجابتين المطروحتين في كل سؤال من أسئلة المسابقة هدفه وصول القارئ إلى رأي قاطع، وتثبيت ما لديه من معلومة، ونتمنى أن يحالف الحظ جميع قرائنا.

ردود سريعة

الأخت سناء إبراهيم الزعبي ـ دمنهور ـ مصر:

نتمنى أن يتقبل الله منك صالح الأعمال، وأن يعيد عليك الشهر الفضيل بالخير والبركة، وندعو الله أن يعينك على أداء رسالتك في تربية أبنائك.

ونتمنى لكل الإخوة القراء الفوز بجوائز المسابقة، ونتقبل آراءكم حولها، ولكن لا نرى غير القرعة وسيلة مثلى لتحديد الفائزين، ونكرر لك الشكر والتحية.

الأخت بشائر الرحمن بنت أحمد الإبراهيم ـ حلب ـ سورية:

بخصوص الحصول على إصدارات دار الفيصل يمكنك مخاطبة قسم التسويق على العنوان التالي: (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ ص.ب ٥١٠٤٩ ـ الرياض ١١٥٤٣) مع تحديد الكتب التي تريدين، لتسهل تلبية طلبك، علمًا بأن كثرة طلبات الحصول على الإصدارات مجانًا تحول دون تلبية أي طلب في الوقت الحالي.

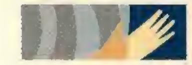
الأخ عادل فخر عمر ـ الزقازيق ـ مصر:

نشكر لك حرصك على اقتناء المجلة والمشاركة في مسابقتها، ولكن نود الإشارة إلى أن الإجابات لا تقبل ما لم تكن على كوبون المسابقة، لذا نأمل التزام ذلك حتى لا يذهب جهدك سدى.

الأخ خليل الرحمن محمد ـ الرياض ـ السعودية:

نشكر لك حرصك على أن تكون هناك استطلاعات عن مدن بنجلاديشية، ليتك تستطيع أن تعد في القريب استطلاعًا مصورًا؛ لأننا نرحب بأي مشاركة من قرائنا على أن تكون على المستوى المطلوب، علمًا بأن جودة الصور من أهم العناصر التي ينبغي توافرها في المادة المرسلة.





بورصا بين الماضي والحاضر

سهيل صابان

الرياض ـ السعودية

قال ابن بطوطة: "ثم سرنا إلى مدينة بورصا. مدينة كبيرة عظيمة. حسنة الأسواق. فسيحة الشوارع. تحف بها البساتين من جميع جهاتها. والعيون الجارية. وبخارجها نهر شديد الحرارة. يصب في بركة عظيمة. وقد بني عليها بيتان: أحدهما للرجال. والآخر للنساء. والمرضى يستشفون بهذه الحمّة. ويأتون إليها من أقاصي البلاد".

تقع بورصا في الشمال الغربي من تركيا في منطقة مرمره. وتحدها من الشرق «بِلَه جيك»، ومن الشمال «يالوا» و«كوجاألي»، ومن الشمال الشرقي «ساكاريا»، ومن الشمال الغربي بحر مرمره ومن الجنوب والجنوب الغربي «كوتاهيا» و«باليكسير».

ووقوع بورصا في الطريق بين إستانبول ومنطقة إيجه، وكونها مركزاً لصناعة السيارات والنسيج، والإنتاج الزراعي، وانتعاش قطاع النقل والملاحة الداخلية فيها، إضافة إلى آثارها التاريخية والسياحية، كل ذلك جعل منها المركز الثاني في تركيا بعد مدينة إستانبول.

يرجع تاريخ بورصا إلى ٥٠٠٠ سنة، فقد وجدت آثار حفريات في منطقة دميرتاش التي تبعد عن مركز المدينة مسافة ٧ كلم عائدة إلى العهد البرونزي، أي: ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد. كما أن الآثار المماثلة التي وجدت في جاكر كوي في الغرب من بورصا بمسافة ١٤ كلم تعود إلى عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد. مما يدل على اتخاذها مقراً للتمدن منذ وقت مبكر.

كانت مدينة بورصا من أهم ثلاث قلاع حصينة



بقـيت في يد البـيـزنطيين في أثناء نزوح الأتراك إلى الأناضول الغربية في بدايات عام ١٣٠٠م. وقد تعاقبت على المدينة دول وإمارات متعددة، وشهدت صراعات كثيرة للسيطرة عليها، بناءً على موقعها المتميز، وأجوائها المعتدلة، وثراء الجانب الاقتصادي فيها.

ولما بدأت الدولة السلجوقية في التراجع والتقهقر، ظهرت الإمارة العثمانية عام ١٢٩٩م، وسرعان ما تقدمت إلى الشمال الغربي من الأناضول، فضمت إليها المناطق المجاورة لبورصا؛ وبسبب الاتفاق الذي أبرمه أمير بورصا مع الأمراء التكفوريين (أميري كَستَل وكِيتَه) ضد الإمارة العثمانية، وقعت أولى المعارك بين العثمانيين وتكفور (أمير) بورصا الذي استعان بالبيزنطيين أيضاً عام ١٣٠١م،. وانتصر فيها عثمان غازي الذي وضع الحصار على المدينة عام ١٣٠٧م. وبقي التضييق مستمرًا عليها مدة طويلة، حتى ساءت أوضاع الناس، وتعرضوا للقحط والجوع؛ مما أدى إلى استسلام بورصا للعثمانيين في ٦ أبريل/ نيسان عام ١٣٢٦م. وقد سمح العثمانيون للقائد البيزنطي بالخروج من المدينة إلى إستانبول، إلا

أن مستشاره الأول الذي عمل على تسليم المدينة للعثمانيين، لم يغادرها، بل بقي فيها يخدم الإدارة الجديدة، ونُقل أهالي القلعة من الروم إلى خارجها، واستبدل بهم الأتراك وحدهم لأسباب إستراتيجية.

وبناءً على أن قلعة نيقيا (إزنيك) كانت من أهم القلاع البيزنطية في المنطقة بعد سقوط بورصا في يد العثمانيين، فقد توجهت عليها القوات العثمانية، واستطاع أورخان غازي فتحها عام ١٣٣١م. فأصبحت عاصمة للعثمانيين مدة خمس سنوات. ثم في عام ١٣٣٥م نقلت العاصمة إلى بورصا، التي شهدت توسعاً ملحوظاً، وحركة عمرانية جديدة غيّرت من وجهها، ولا سيما بعد أن بنى السلطان أورخان غازي قصراً في المنطقة التي تسمى الآن طوب خانه. والكتابة التاريخية ١٣٣٧-١٣٣٨م تفيد بوجود مسجد في هذا الموقع من بورصا التي جعلها أورخان غازي مركزاً للإمارة العثمانية الفتية. وقد ضرب فيها سكته الفضية عام ١٣٢٧م، كما أنه أنشأ في خارج القلعة في الجانب الشرقي منها مجموعة مباني الوقف الكلية التي تشكلت من مدرسة وحمام وخانقاه، والتي أصبحت مركزاً للمدينة فيما بعد. وما زالت هذه المنطقة تشكل وسط المنطقة التجارية حتى الآن. وقد زار ابن بطوطة بورصا عام ١٣٣٣م، فوصف أسواقها وشوارعها،

شجرة جنار التاريخية العتيدة. تقع في الطريق الصاعد إلى جبل أولوداغ. وهي شجرة دلبي. وتعرف بـ inkaya cinari. عمر هذه الشجرة - على وجه التقريب - ستمئة سنة. محيطها تسعة أمتار وخمسة وأربعون سم (٩.٤٥). وقطرها ثلاثة أمتار. تتفرع إلى ثلاثة فروع رئيسة





مبنى تاريخي في سوق بورصا



مدرسة يلدرم بايزيد

وتحدث عن جمالها وبهائها، إذ قال: «ثم سرنا إلى مدينة بورصا، مدينة كبيرة عظيمة، حسنة الأسواق، فسيحة الشوارع، تحف بها البساتين من جميع جهاتها، والعيون الجارية. وبخارجها نهر شديد الحرارة، يصب في بركة

المئات من المثقفين العثمانيين كانوا ينفون إلى بورصا. إضافة إلى أن بعض المثقفين كانوا يختارونها مكاناً للانزواء؛ ابتعاداً عن المكايد التي كانت تحاك ضدهم في قصور إستانبول. فكانوا ينورونها بمعلوماتهم وعلومهم. ويسهمون في ثقافة المدينة على مدى العقود والسنوات

عظيمة، وقد بني عليها بيتان: أحدهما للرجال، والآخر للنساء. والمرضى يستشفون بهذه الحمة، ويأتون إليها من أقاصي البلاد».

لما توفي أورخان غازي عام ١٣٦٠م حل محلّه ابنه مراد خداوندكار، التي تسمت بورصا باسمه «خداوندكار». وقد نقل منها العاصمة إلى أدرنه عام ١٣٦٦م.

إن مدينة بورصا في المئتي سنة الأولى من الحكم العثماني قد شهدت تطوراً كبيراً في فترة وجيزة بالمقارنة بالمدن الأخرى. فتزينت بالكثير من المباني العمرانية التي تعد نماذج متميزة من العمارة العثمانية المبكّرة. وحوت مدارس وكليات شهيرة في تلك الفترة؛ مما جعلها مركزاً ثقافياً مرموقاً، إضافة إلى انتعاشها الاقتصادي؛ بسبب حركة التجارة الواسعة. وقد ذكر «لا براكويه» الذي زار

قلعة بورصا عام ١٤٣٢م أن عدد المنازل فيها نحو ألف منزل، كما ذكر أوليا جلبي الذي زارها عام ١٦٤٠م معلومات قيمة عنها.

بورصا : مكان للنفي

وعلى الرغم من أن العاصمة العثمانية انتقلت إلى إستانبول بعد فتحها على يد السلطان محمد الفاتح عام ١٤٥٣م، وأن شؤون الدولة أصبحت تدار منها؛ إلا أن بورصا استمرت العاصمة المعنوية للدولة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين. ولم تفقد بورصا هذه الخصلة إلى أن انتقل إلى إستانبول الشيخ عزيز محمود خدايي حسب رأي الأديب التركي أحمد حمدي تانبنار؛ لأن تاريخ بورصا كان ثرياً، وماضيها كان غنياً، وقد عدّها الكاتب كجه جي زاده فؤاد باشا ديباجة التاريخ العثماني، أي مبدأه. كما أنها كانت كذلك طوال العصر العثماني. ولا غرابة في ذلك؛ فإن المئات من المثقفين العثمانيين كانوا ينفون إلى بورصا، إضافة إلى أن بعض المثقفين كانوا يختارونها مكاناً للانزواء؛ ابتعاداً عن المكايد التي كانت تحاك ضدهم في قصور إستانبول. فكانوا ينورونها بمعلوماتهم وعلومهم، ويسهمون في ثقافة المدينة على مدى العقود والسنوات؛ ولذلك فإننا إذا قلنا: إن النفي إلى بورصا كان قد حولها إلى مدينة ثقافية لا نكون قد بالغنا في ذلك. وكان الموقع الجغرافي المتميز لبورصا هو الذي جعلها منفى إجبارياً أو اختيارياً للمثقفين والسياسيين في الوقت ذاته؛ لأنها كانت قريبة من العاصمة إستانبول. فكان المتمسكون بزمام أمور البلد، ينفون إليها خصومهم؛ لإبعادهم عن إستانبول أولاً، ثم لمراقبة فعالياتهم فيها ثانياً؛ لأنها قريبة من إستانبول. والغريب في الأمر أن جميع المنفيين إلى بورصا كانوا من العلماء والمثقفين. أما ضباط الجيش فكانوا ينفون إلى جزيرة رودس وكريت وغيرهما من الأماكن البعيدة التي يصعب فرارهم منها. وقد ازداد النفي إلى بورصا في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين.

الزلزال المدمر عام ١٨٥٥م

كانت مدينة بورصا من أهم المدن العثمانية في القرن التاسع عشر الميلادي. وقد تطورت من الجانب الاقتصادي، وزارها السلطان عبد المجيد عام ١٨٤٤م، وظهر فيها تشكيل مؤسسات جديدة بعد تلك الزيارة. إلا أن الزلزالين المدمرين اللذين تعرضت لهما المدينة عام ١٨٥٥م، قد أديا إلى انهدام قسم كبير منها، ثم الحرائق التي اشتعلت في عقبهما حولت بورصا إلى مدينة للأشباح؛ إذ إنها تعرضت لزلزالين مدمرين، فصلت بينهما أربعة أشهر، وقد عدّهما الكُتّاب القيامة الصغرى؛ بناءً على التدمير الذي عاشته المدينة. فقد قضى الزلزال على ثلثي المدينة تماماً، كما قضى على كثير من الآثار القديمة، وأصبح ذلك الزلزال حجر الزاوية في تاريخ بورصا الحديث؛ مما أدى إلى قيام الأهالي والحكومة معاً بإعادة إعمار المدينة، وترميم الآثار وضماد الجراح، وفتح صفحة

من داخل الجامع الكبير





الجامع الكبير وقد ازدانت جدرانه بالآيات القرآنية

جـديدة من جـمـال بورصـا ورونقـهـا، إلاّ أنه مع بذل كل المحاولات، بقي كثيـر من الآثار تحت الأنقـاض، ولم ترجع بورصا إلى تميّزها السابق في مبانيها الأثرية، وإن كانت معالمها التاريخية الباقية شاهدة على ذلك.

إحصاءات عامة

بموجب دفاتر التحرير (الإحصاء)، فإن عدد أحياء بورصا في أوائل القرن السادس عشر الميلادي كان ١٥٢ حيّاً، وارتفع هذا الرقم في النصف الثاني من القرن ذاته إلى ١٦٨ حياً. وكانت بورصا في هذه الفترة من أكبر المدن العثمانية، وقد أصبح عدد السكان فيها يزداد يوماً بعد يوم، فبموجب قيد ورد في سجلات عهد السلطان محمد الثاني كان عدد سكانها في هذه الفترة نحو ثلاثين ألف نسـمـة، وارتفع هذا الرقم عام ١٤٨٧م إلى سـبـعـة وثلاثين ألف نسـمـة. وتجـاوز عـدد سكانهـا عـام ١٥٧٣م ستين ألف نسـمـة. وكان يوجد في بورصـا عـام ١٥٣٠م ثمـاني إمـارات (مـجـمـعـات وقـفـيـة)، واثنتـان وعـشـرون مـدرسـة شـرعـيـة، وثمـانيـة عـشـر جـامـعـاً و١٣٠ مـسـجـداً، وعشر زوايا، وعشرة خانات كبيرة.

وذكـر الرحـالـة الفرنسي بيلون الذي زار بورصـا عـام



١٥٤٨م أن موقعها رائع، وأنها منتشرة في ساحة أوسع من ليون، وأنها تماثل إستانبول في ثرواتها وعدد سكانها، وأنها بفضل صناعة الحرير فيها اكتسبت شهرة فائقة، ويتوجه إليها كل سنة أكثر من ألف من الإبل من الأناضول وسورية، محمَّلة بالحرير الخام، فتصنع فيها وتصبغ، ثم تصدَّر إلى بلدان أخرى.. وقد بلغت الضرائب المأخوذة على البهارات والأصباغ الواردة إلى بورصا عام ١٤٨٧م مئة ألف آقجه؛ مما يدل على أن بورصا حافظت على مكانتها التجارية كمركز وسيط لتصدير البضائع الواردة من سورية ومصر وإيران والهند إلى أوربا حتى القرن السابع عشر الميلادي. والحقيقة أن وجود العدد الكبير من الأسواق التجارية - كما سيأتي ذكرها - التي بنيت في بورصا في القرن الخامس عشر الميلادي يدل على أن المدينة كانت مركزاً للتجارة العالمية.

وبموجب المعلومات الواردة في سالنامه خداوندكار الصادرة في عام ١٨٩٢م، فإن عدد سكان بورصا في هذه السنة كان ستة وسبعين ألف نسمة، وأنها كانت تضم ١٦٥ مسجداً، و ٥٧ مدرسة، و ٢٧ مدرسة شرعية، وسبعة مجمعات وقفية، و٤٩ فندقاً و ٣٦ مصنعاً. وقد تبين من إحصاءات عام ١٩٢٧م أن عدد سكانها في هذه السنة كان ٦١,٦٩٠ نسمة. ووصل في عام ١٩٥٠م إلى ١٠٣,٨١٢ نسمة. وفي عام ١٩٧٥م إلى ٢٧٥,٩٥٣ نسمة. أما في إحصاءات عام ١٩٩٠م فكان قد بلغ ٥٧٦,٨٣٤ نسمة. وكان عدد مساجد ولاية بورصا بموجب إحصاءات عام ١٩٩١م ١٣٣٣ جامعاً ومسجداً. وفي بورصا ذاتها يوجد ٢٢٣ مسجداً. وقد ارتفع العدد الكلي عام ٢٠٠٣م في ولاية بورصا إلى ١٥٢٤ جامعاً ومسجداً.

أحدث الإحصاءات عن بورصا

بناءً على الإحصاءات التي أجريت عام ٢٠٠٠م، فإنها



باتت رابع أكبر مدينة في تركيا، بعد إستانبول وأنقرة وإزمير:
عدد سكان مدينة بورصا ١,٦٣٠,٩٤٠ نسمة
عدد سكان المدينة مع الأقضية والبلدات التابعة لها ٢,١٢٥,١٤٠ نسمة
عدد سكان ولاية بورصا (الذكور) ١,٠٦٤,٥٦٠ ذكرًا
عدد سكان ولاية بورصا (الإناث) ١,٠٦٠,٥٨٠ أنثى
عدد سكان الأقضية والبلدات ٤٩٤,٢٠٠ نسمة
مساحة ولاية بورصا ١٠,٨١٩ كلم مربع
متوسط عدد الكثافة السكانية لـ كلم الواحد ٢٠٦ نسمة
عدد الأقضية التابعة لولاية بورصا ١٧قضاء
عدد البلدات ٣٧ بلدًا
عدد القرى ٦٨٢ قرية
مستوى ارتفاعها عن البحر١٥٥ متراً
عدد الطلاب في جامعة أولوداغ (٢٠٠٢-٢٠٠٣م) ٤٣,٠٠٠ طالب
عدد المستشفيات الحكومية في الولاية ٢٧ مستشفى
عدد المستشفيات الأهلية في الولاية ٣ مستشفيات
عدد الصيدليات ٦٦١ صيدلة
عدد الأندية الرياضية ٢٣٠ ناديًا

أهم الآثار التاريخية في بورصا

قبل الحديث عن أهم الآثار التاريخية لمدينة بورصا، لابد من التحدث عن شجرة جنار التاريخية العتيدة، التي تقع في الطريق الصاعد إلى جبل أولوداغ، وهي شجرة دلبي، وتعرف بـ inkaya cinari، عمر هذه الشجرة - على وجه التقريب - ستمئة سنة، محيطها تسعة أمتار وخمسة وأربعون سم (٩,٤٥)، وقطرها ثلاثة أمتار، تتفرع إلى ثلاثة فروع رئيسة، وارتفاعها خمسة وثلاثون متراً. وبناءً على تغذيها من المياه الغزيرة التي تنبع من الصخور المحيطة بها بشكل مستمر، فإنها عمرت إلى

هذا الوقت خضراء قوية، وهي تخرج أغصاناً جديدة كل سنة. وبالنظر إلى خضارها المنعش، فإن الزوار من أنحاء تركيا والعالم يتوجهون إليها في موسمي الربيع والخريف، ويستمتعون بالجلوس والأكل اللذيذ في المطاعم الواقعة تحت ظلالها الوارفة. والحقيقة أن هذه الشجرة وإن كانت الأعمر في بورصا؛ إلا أنها نموذج من مئات الآلاف من الأشجار التي تزين مدينة بورصا المتميزة في خضارها، والتي تجعل أجواء المدينة لطيفة منعشة على مدار السنة، حتى وإن شهدت برداً قارساً في موسم الشتاء. وللتمثيل على خضار بورصا وجمال طبيعتها، فإن عدد الأشجار فيها حسب الإحصاءات الجديدة قد بلغ ٦١٢, ٦٦٠, ٣٥ شجرة. منها ٥٤٪ من الأشجار الدائمة الخضرة، و ٤٦٪ منها من الأشجار الموسمية.

أهم الجوامع

أ - الجامع الكبير: وهو أكبر جوامع بورصا وأعظمها وأكثرها جماعة. بناه يلدرم بايزيد بعد الانتصار الذي حققه في معركة نيغبولي بين أعوام ١٣٩٨ و١٤٠٠م. يرتفع الجامع على اثنتي عشرة قاعدة كبيرة موزعة على الأطراف الأربعة، مرتبطة بأحزمة من خلال الجدران العريضة. وهو مغطى من السقف بعشرين قبة. وأعلى القبة الوسطانية من القزاز بمختلف ألوان الطيف. ويوجد في وسط الجامع شاذروان من الرخام بست عشرة زاوية. ويروى أنه في أثناء بناء الجامع كان لامرأة مسكن في الموقع. فاشترى منها دون رغبة منها. فلما تم الانتهاء من البناء قيل بعدم جواز الصلاة في مكان مستملك من دون رغبة صاحبه، فحوّل هذا القسم إلى شاذروان.. ومنبر الجامع نموذج رائع للفنون الخشبية. كما أن بوابته الرئيسة التاجية من الآثار المعمارية الجميلة. أما المقصورة الخاصة بالمؤذن فقد بنيت من الجوز عام ١٥٤٩م. وآية الكرسي المحاطة بالساعة الرملية مخطوطة بالخط

على الرغم من أن العاصمة العثمانية انتقلت إلى إستانبول بعد فتحها على يد السلطان محمد الفاتح عام ١٤٥٣م. إلا أن بورصا استمرت العاصمة المعنوية للدولة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين

الكوفي الرائع. واكتمل بناء المحراب عام ١٥٧١م. أما الخطوط الأخرى التي تجمّل داخل الجامع فقد اختطها المعلم محمد عام ١٩٠٤م. وكانت للجامع في أثناء البناء ثلاثة أبواب، أضيف إليها باب رابع عام ١٧٤٠م من عند مقصورة السلطان. وتوجد في الجانب الشمالي للجامع مئذنتان، قاعدتهما من الرخام، وجسمهما من الطوب الأحمر، وفي داخلهما درجان اثنان، يؤديان إلى السطح. وقد احترق الجامع مرتين: أولاهما من لدن الشيخ المغولي الأمير بدر الدين عام ١٤٠٣، والمرة الثانية من لدن الأمير محمد بن قره مان عام ١٤١٣م، في أثناء الحصار على بورصا. كما تأثر الجامع كثيراً من زلزال عام ١٨٥٥م، ومن حريق عام ١٨٨٩م.

ب - جامع الأمير سلطان: ويقع في شرق مدينة بورصا، محاطاً بأشجار السلو والحور. وكان في أول بنائه ذا قبة واحدة، ثم أضيفت إليه ثلاث قبب، ورواق

شهدت مدينة بورصا في المئتي سنة الأولى من الحكم العثماني تطوراً كبيراً. فتزينت بالكثير من المباني العمرانية، وحوت مدارس وكليات شهيرة في تلك الفترة؛ مما جعلها مركزاً ثقافياً مرموقاً. إضافة إلى انتعاشها الاقتصادي



شجرة جنار التاريخية عمرها ٦٠٠ عام

في عام ١٥٠٧م. جرى تزيين المحراب بالقاشاني الإزنيقي في القرن السابع عشر الميلادي. ويوجد بجانبه الحمام وسبيل آغا دار السعادة التي تفيد الكتابة الموجودة عليه أنه بني عام ١٧٤٣م.

ج - **جامع أورخان بك:** الذي بناه أورخان غازي عام ١٣٣٩م. ويعد من أقدم الجوامع في بورصا. وقد رمم عام ١٤١٧م؛ بسبب الهدم الذي تعرض له من الأمير محمد آل قره مان عام ١٤١٣م.

د - **جامع حمزة بك:** بناه في القرن الخامس عشر الميلادي حمزة بك الوزير الأول عند الأمير محمد جلبي. وقد انتدب للسفارة إلى رومانيا ممثلاً للسلطان محمد الفاتح، واستشهد بها. ويقع في الحي المسمى بهذا الاسم، وكان مسجداً ثم حول في عام ١٦١٤م إلى جامع.

هـ - **جامع الشهادة/القصر:** بناه السلطان مراد عام ١٣٦٥م، وهو أكثر جوامع بورصا ذات الأعمدة والقبب، وقد تأثر كثيراً من زلزال عام ١٨٥٥م، ورمم بالكامل عام ١٨٩١م.

و - **جامع مراد خداوندكار:** يقع على التلة المطلة على سهل بورصا، بناه مراد خداوندكار عام ١٣٦٥- ١٣٦٦م، ويقع في طابقين: خصص الطابق السفلي للجامع، والطابق العلوي للمدرسة. وهناك كثير من الجوامع



حديقة على ارتفاع شاهق

التـاريخيـة الأخـرى التي تزين مـدينة بورصـا بمبـانيـهـا الرائعة، ويتجاوز عددها ١٢٦ جامعاً ومسجداً.

أهم الكليات

الكلية أو الإمـارة هي الاسم الذي أطلقـه العـثمـانيـون على المجـمـعـات الوقـفـيـة التي تتشكل غـالبـاً من المسجـد الجامع والمدرسة الشرعية والمكتبة، ودار لإيواء طلبة العلم والفـقـراء، ومطبخ لتوزيع الأكل والشـرب عليـهم، وحـمـام، وغـيـرها من المرافق. ومـبـاني هـذه المجـمـعـات تختلف في كبرها ومساحتها ومرافقها العامة والخاصة، بحسب نظرة واقفها، وإمكاناته المادية، والخدمات التي تقدمها لمحيطها، فمنها ما هي مـجـمـعـات ضخمـة وكبيـرة، كان يتوجه إليـهـا

على الرغم من الآثار التـاريخيـة الموجودة في مدينـة بورصـا، فإن النواحي والبلدات المحيطة بأطرافها لا تقل عنها أهمية من حـيـث الآثار والمبـاني والجـوامع والحـمـامات الكبـريتـيـة والشـلالات والمـغـارات والورش الخـاصـة بالفنون اليـدوية

طلاب العلم من أماكن بعيدة، ومنها ما هي أصغر منها. وكان الواقفون - وغالباً ما يكونون من الأسرة العثمانية الحاكمة - يستميلون العلماء، ويجلبونهم من أماكن بعيدة للتدريس في هذه الكليات، ويوفرون لهم الإمكانات المادية والمعنوية. وهناك أسماء لامعة في تاريخ العلم من العلماء الذين إما درسوا في هذه المجمعات، وإما تخرجوا فيها، وتصدروا للفتوى والتعليم. وفيما يأتي معلومات عن بعض تلك المجمعات الوقفية في مدينة بورصا.

أ- كلية يلدرم التي تضم:

- جامع يلدرم: الذي يقع في شرق المدينة، في الحي الذي يسمى بالاسم ذاته. وقد بناه يلدرم بايزيد في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي. ومبنى هذا الجامع نموذج من عمارة ذلك العهد، فقد قام على أساس العمدان الرخامية المرتبطة بالمقنطرات، وغطي رواقه بخمس قبب، والقبة الوسطى المركزية أرفع من غيرها، وهي تعكس انشراحاً للداخل، وداخله مزين بالقاشاني، وتحيط به الأحاديث والأدعية بخطي النسخ والكوفي الرائعين، والمحراب مزركش بثمانية صفوف، وبجانبيه أعمدة من الرخام الضارب إلى الأخضر. وكانت للجامع مئذنتان، أعيد بناء إحداهما من الإسمنت المسلح، بعد انهدامهما في الزلزال، أما جدران الجامع فمغطاة بالأحجار المقطعة.

- مدرسة يلدرم: بناها يلدرم بايزيد عام ١٣٩٩م، وتقع في الجهة الشمالية الغربية من جامع يلدرم، وهي على غرار الجامع في بنائها، إلا أن أسطحها مغطاة بالرصاص، كما هو الشأن في كثير من المباني القديمة، والجوامع الحديثة، وقد حولت بعد الترميم الأخير إلى مستوصف.

- **حمام يلدرم:** ويقع في غرب الجامع في الساحة المائلة، وهو مبني من أحجار مولوز. الجانب البارد منه مربع الشكل، مغطى بقبة، ويتم الانتقال منه إلى الفاصل المعتدل، ثم إلى القسم الحار.

- دار شفاء يلدرم: ويعد أول مشفى عثماني، وقد بناه يلدرم بايزيد بين أعوام ١٣٩٠ و١٣٩٤م، ويقع في شرق الجامع بمسافة مئتين وخمسين متراً. وكان خاصاً بالأمراض العقلية والعصبية. وقد تأثر المبنى بزلزال عام ١٨٥٥م، واستخدم فترة من الوقت داراً للبارود.

ب - كلية يشيل وتضم:

- جامع يشيل: في الحي المسمى بهذا الاسم في مدينة بورصا، الذي بناه المعماري الحاج عوض باشا بأمر من الأمير محمد جلبي (جد السلطان محمد الفاتح) عام ١٤١٩م. اكتمل تزيينه ونقوشه في عام ١٤٢٤م من قبل النقاشين علي بن إلياس علي ومحمد المجنون. وهو نموذج متميز للتلاؤم بين العمران والتزيينات الداخلية، في فترة انتعاش بعد الصراع المحموم على السلطة بين الإخوة من أسرة آل عثمان. ويعكس هذا المبنى العمارة العثمانية المبكرة، ويعدّ من أهم آثار بورصا التاريخية.

- **إمارة يشيل:** بنيت في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي، بناها الأمير محمد جلبي، وكانت بالجهة الشرقية من جامع يشيل، ولم يصل إلى عهدنا قسم كبير منها، إلا أن جدران مبنى الإمارة والمطعم ما زالت قائمة.

- حمام يشيل: الواقع على شارع يشيل، ويحتمل بناؤه في عام ١٤٨٠م.

- مدرسة يشيل: الواقعة بالقرب من الحمام،

يتميز المطبخ البورصوي بأكلات وحلويات شعبية خاصة بها، انتشرت منها إلى أنحاء الأناضول. لكن يبقى طعم الأكلات في داخل بورصا يفوق غيرها. منها: كباب إسكندر الذي يرجع تاريخه إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي

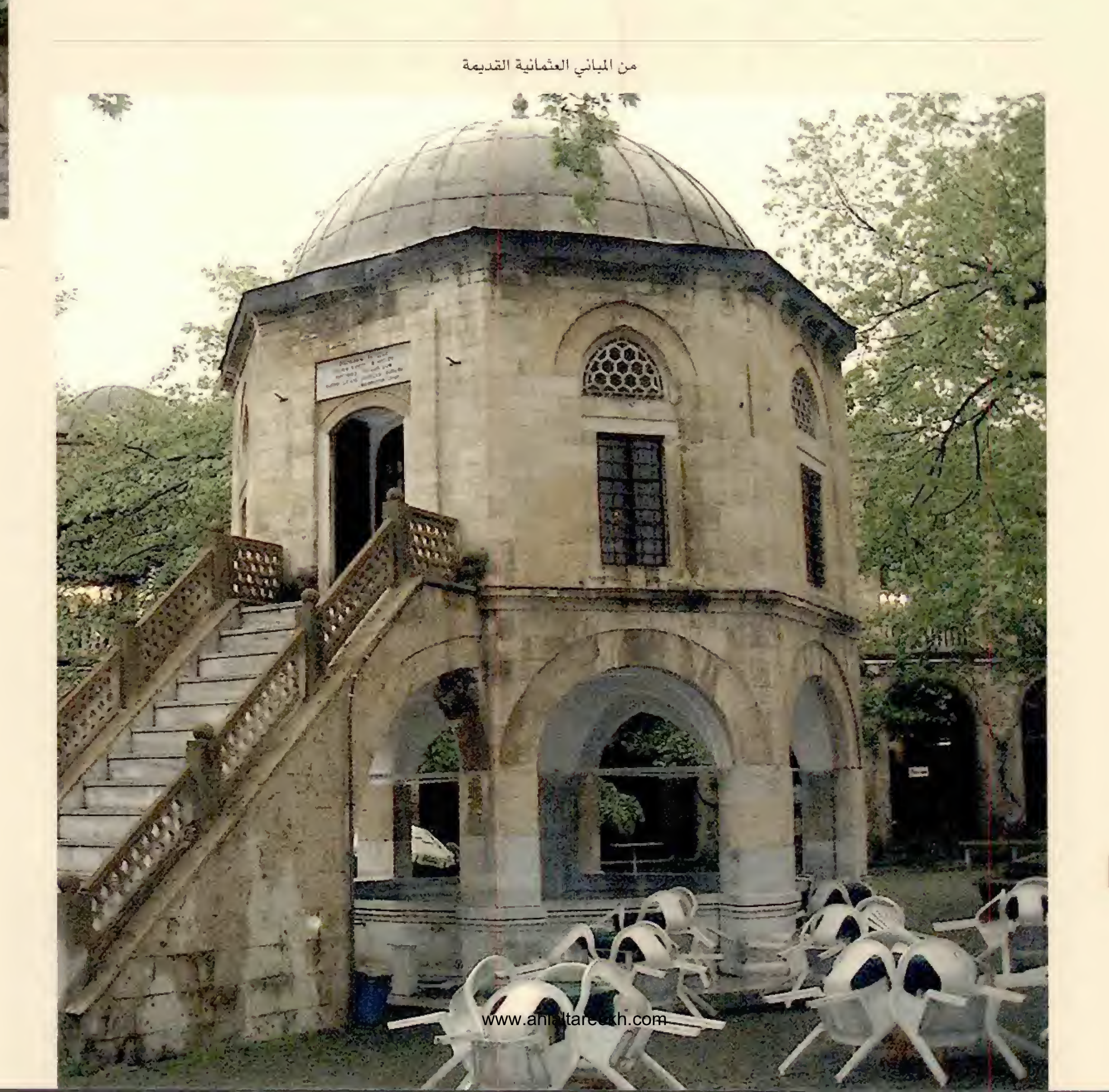
وتعرف بالمدرسة السلطانية، وتستخدم اليوم متحفاً للآثار التركية الإسلامية.

ج - الكلية المرادية، التي ضمت الكثير من المباني، هي:

. **جامع المرادية:** الذي بناه السلطان مراد الثاني عام ١٤٢٥-١٤٢٦م، ويقع في الحي المسمى بهذا الاسم، وهذا الجامع أيضاً من الآثار المعمارية للعهد العثماني الأول، وتغطيه قبتان كبيرتان، تليهما قبتان صغيرتان.

. المدرسة المرادية: التي بناها مراد الثاني في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي، وتستخدم حالياً مشفى للوباء، وهي نموذج جميل للطوب الأحمر، ويظهر فيها فن العمارة العثمانية، فقد حازت هذه المدرسة المرتبة الأولى كأجمل المدارس في بورصا، ويوجد بجانب هذه المدرسة «البيت العثماني» الذي يروى أن السلطان محمد الفاتح ولد فيه، أو أنه المنزل الذي اتخذه مراد الثاني سكناً له.

من المباني العثمانية القديمة





سائحات يقفن أسفل شجرة جنار الشهيرة

. **حمام المرادية:** ويبدو أنه بني أيضاً في عهد السلطان مراد الثاني، ويقع في حي المرادية أيضاً.

. **إمارة المرادية:** وتقع في الشمال الشرقي من جامع المرادية. وقد بني في عهد السلطان مراد الثاني، لتوفير الأكل وتوزيعه على الفقراء والمحتاجين.

أهم الأسواق

- سوق الدود المعروف بـ كوزا خان: ويقع في الساحة الكبيرة بين الجامع الكبير وجامع أورخان. بناه السلطان بازيد الثاني عام ١٤٩٢م وقفاً على الجامع والمدرسة اللذين بناهما في إستانبول، واشتغل في بنائه المعماري عبد العلا بن بُلاد شاه. ويتكون السوق من طابقين: توجد في الطابق العلوي منه خمسون غرفة (دكان)، وفي الطابق السفلي خمس وأربعون. وبوابته الشمالية الرائعة الجمال، من الأحجار الكبيرة المزخرفة، وله بوابة في الطابق العلوي مفتوحة إلى الجنوب، كما توجد بوابة أخرى تفتح إلى جامع أورخان. وفي مركز الساحة الداخلية الوسيعة للسوق، يوجد مسجد ذو ثماني جبهات، على القواعد الثابتة في الزوايا وفي الوسط، والجانب الأسفل من المسجد على شاكلة شاذروان، ويعدّ هذا السوق في الوقت الراهن مركزاً للحرير في مدينة بورصا.

- سوق الحرير المعروف بـ إبَك خان: وهو أكبر الأسواق القديمة في بورصا، وقد جرى ترميمه في السنوات الأخيرة، وتوجد في الدور الأسفل منه تسع وثلاثون غرفة، وفي الطابق العلوي اثنتان وأربعون غرفة، وقد بناه الأمير محمد جلبي وقفاً على كلية يشيل، بغية توفير واردات لها، واستخدم في بنائه المعماري الحاج عوض باشا.

. **سوق فيدان:** وهو من الأسواق الشهيرة في بورصا، بناه إبراهيم باشا، ابن الصدر الأعظم محمد آغا في القرن الخامس عشر الميلادي، وكان يعرف قديماً بسوق محمود باشا، وهو يقع في طابقين: توجد في الطابق السفلي منه ثمان وأربعون غرفة، وفي الطابق العلوي منه خمسون غرفة، والغرف الواقعة في الأسفل دائرية، أما الواقعة في الأعلى فهي ذات قبب وأروقة، ويوجد في الساحة الداخلية للسوق حوض، بني عليه مسجد صغير.

. **سوق الرز:** وهذا السوق أيضاً بناه السلطان بايزيد الثاني عام ١٥٠٨م؛ بغية توفير واردات للجامع والكلية اللذين بناهما في إستانبول. والمعماريان اللذان اشتغلا في بنائه هما يعقوب شاه بن سلطان شاه، وعلي بن عبد الله. تعرض قسم كبير من الدور العلوي من السوق للهدم، وله بوابة إلى الشرق، رائعة الجمال والزخرفة. ويتكون هذا السوق على غرار سابقاته من الأسواق من طابقين. توجد في الطابق العلوي أربعون غرفة، وفي



قبب حمام تركي



منظر من المحمية الطبيعية الواقعة على ارتفاع ٣ آلاف متر

الطابق السفلي ثمان وثلاثون، ويوجد في وسط الساحة الداخلية مسجد جميل، وهذا السوق بني للغرض التجاري، وما زال ترميمه جارياً.

. **سوق أمير:** وقد بناه أورخان بك، ويتميز هذا السوق بكونه متلائماً مع جميع الشروط المطلوبة للتجارة الداخلية؛ فالدور السفلي منه ذو أروقة، وتخلو غرفه من النوافذ؛ بغية استخدامها مستودعات. أما غرف الطابق العلوي منه فهي ذات نوافذ ومداخن، وتوجد في الطابق العلوي سبع وثلاثون غرفة، أما في الطابق السفلي فست وثلاثون غرفة.

. سوق كَيفَه: وهذا السوق أيضاً بني في القرن الخامس عشر الميلادي، بناه المعماري الحاج عوض باشا بغية توفير واردات لكلية يشيل الخيرية؛ إذ أهداه إلى الأمير محمد جلبي، وتقع في سوق دمير قابي، وكان يطلق عليها سابقاً لونجه خان. ويتكون من طابقين: في الدور العلوي منه توجد ثلاثون غرفة، وفي الدور السفلي ست وعشرون غرفة.

هناك شجرة يطلق عليها الأرجوانية. يتخذ لها العيد أسبوعاً واحداً في موسم الربيع من كل سنة.وهذه الشجرة الحمراء الفاتحة. تفتن مشاهديها بمنظرها الرائع؛ إذ تتفتح أزهارها الحمراء الأرجوانية مغطية أوراقها كاملة

. **سوق يلدرم المسقوف:** وهو أول سوق مسقوف في الدولة العثمانية، بني في نهايات القرن الرابع عشر الميلادي، وهو مخصص اليوم لمحلات الذهب والمجوهرات، وقد تعرض لحريق كبير في عام ١٩٥٨م. وجرى ترميمه بالكامل في عام ١٩٦٠م فبنيت القبب من جديد. وتوجد في الداخل ست قواعد ارتبط بعضها ببعض من خلال أحزمة مستديرة. جلست عليها أربع عشرة قبة. وتوجد أبواب إلى السوق من وسط الأطراف الأربعة. وتوجد في الداخل اثنان وثلاثون دكاناً، وفي الخارج ثمانية وستون دكاناً.

أهم المتاحف

. **متحف الآثار:** افتتح هذا المتحف في الحديقة الثقافية kultur park عام ١٩٧٢م، وهو يضم الآثار التي تعود إلى عهد بيثينا قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة، وكذلك الآثار حتى نهاية العهد البيزنطي.

. **متحف عربات توفاش في بورصا:** وهو متحف تابع لبلدية بورصا، ويقع في حي أمور بك، ويضم العربات والحناتير المصنعة في الأناضول، وتظهر فيها أشكال من الفنون اليدوية والخشبية لمختلف العصور، وقد نظمت تلك العربات بحسب تسلسل صناعتها التاريخية.

صناعة الحرير في بورصا تمتد إلى العهد البيزنطي. فقد اتضح من المعلومات الوثائقية أن خلايا دود الحرير نقلت سراً من وطنها الأصلي في الصين إلى البيزنطيين عام ٥٢٢م. وأن الإقليم الملائم لتربية الدود كان ضفاف مرمرة. ومنطقة بورصا

- **متحف المدينة Kent Muzesi:** وهو أحدث المتاحف وأجملها في بورصا. ويتكون من ثلاثة طوابق: خصص الطابق الواقع تحت الأرض للصناعات والمهن والفنون اليدوية البورصوية العريقة، والدور الأرضي للحضارات وآثارها الموغلة في التاريخ، ومحلات هدايا تاريخية لمدينة بورصا، أما الدور الأول من المتحف فقد خصص للثقافة والإعلام البورصوي القديم والحديث، ونماذج من آثار الشخصيات البورصوية.

. **متحف الآثار التركية الإسلامية:** وقد افتتح في حي يشل عام ١٩٧٥م، وهو أول مدرسة عثمانية افتتحت في بورصا على يد الأمير محمد جلبي، ويضم الكثير من الآثار التي تعود إلى القرون الثالث عشر ـ العشرين الميلادية.

. **متحف آتاتورك في حي جكركه:** وقد فتح من لدن بلدية بورصا عام ١٩٢٣م في مبنى خشبي قديم يتكون من دورين، ورمم عام ١٩٧٣م، وفتح أمام الزوار.

الحمامات

تضم مدينة بورصا الكثير من الحمامات الحارة والكبريتية التي يقصدها المعلولون من بعض الأمراض. وهي:

. **الحمام الجديد:** ويقع بالقرب من فندق جليك بالاس. وقد بناه رستم باشا، وزير السلطان سليمان عام ١٥٥٢م.

. **الحمامات الكبريتية:** وتقع خلف الحديقة الكبريتية على طريق جكركه. بنى مراد خداوندكار قسم الرجال، وبايزيد الثاني قسم النساء منها.

. **الحمام القديم:** ويقع في ساحة جكركه، وهو أكبر حمامات بورصا وأقدمها. بناه أيضاً مراد خداوندكار، وأضاف إليه القسم البارد السلطان بايزيد الثاني عام ١٥١١م، وتوجد فيه كتابة تشير إلى عام ١٦٧٥م.

. **حمام مراد خداوندكار:** ويعرف بحمام العزاب. وقد بني مع جامع خداوندكار في التاريخ ذاته (عام ١٣٦٥-

١٣٦٦م)، ويقع في الشرق منه، إضافة إلى كثير من الحمامات الأهلية الأخرى التي تنتشر هنا وهناك من أنحاء بورصا التاريخية.

الحدائق العامة

. **حديقة بوتانيك في سوغانلي**: بدئ بتنظيمها في عام ١٩٩٥م، وافتتحت رسمياً في ٢٤ أبريل ١٩٩٨م، وتتكون مساحة الأرض التي أقيمت عليها من أربعمئة ألف متر مربع، ويوجد فيها ثمانية آلاف شجرة موزعة على ١٥٠ نوعاً. كما يوجد فيها مئة ألف دغل موزع على ٧٦ نوعاً. وخمسين ألف نبات موزع على ٢٠ نوعاً، وستة آلاف وردة موزعة على ٢٧ نوعاً. وهذه الحديقة التي بنيت للحفاظ على البيئة تقدم خدمات الاستجمام والرياضة للزوار مجاناً، وقد أحيطت بطريق خاص لرياضة المشي تمتد إلى اثني عشر ألف متر، وطريق لرياضة الدراجات تمتد إلى ألفين وخمسمئة متر، إضافة

عناق التاريخ والخضرة



إلى احتوائها على ملاعب التنس، وسباق للسيارات، وملاعب الأطفال.

. **حديقة الحيوانات**: وقد افتتحت في ١٠ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٩٨م، وأقيمت على مساحة ٢٠٦,٦٠٠ متر مربع. وهي نافذة مطلة على الطبيعة، وتضم تسع بحيرات اصطناعية، وألفًا وخمسمئة شجرة، وثلاثة آلاف وخمسمئة دغل، وخمسين ألف نبات، وتسهم بذلك في تنظيف أجواء المدينة ونقاهتها.، ويوجد فيها خمسمئة حيوان موزع على خمسة وخمسين نوعاً، يتم الاعتناء بها من حيث الغذاء والعلاج بموجب المواصفات الأوروبية.

. **حديقة أولوداغ الوطنية**: وتقع على جبل أولوداغ الذي يصل ارتفاع قمته إلى ٢٥٤٣ متراً، وتقع في جنوب المدينة بمسافة ٣٦ كلم، وهي أهم مركز للرياضات والسياحة الشتوية، وقد زودت بفنادق كثيرة للمبيت والاستجمام. وبناءً على أن هذه الحديقة الطبيعية مخصصة للتزحلق على الجليد، فإن الإقبال عليها في موسم الشتاء أكثر من موسم الصيف؛ مع أن الشهور الصيفية أيضاً تلقى إقبالاً كبيراً من الزوار القادمين من السعودية ودول الخليج على وجه الخصوص. وموسم التزحلق على الجليد يستمر ١٢٠ يوماً، بين ٢٠ ديسمبر/ كانون الأول و٢٠ مارس/آذار. ويمكن الوصول إلى الجبل من خلال طريق بري، ومن خلال التلفريك. وتقع قرية عثمانية - بجميع ما تحمل هذه الكلمة من معنى - خلف الجبل، وتسمى «جمعه لي كزيك» Cumali Kizik، وهذه القرية الوقفية التي يمتد تاريخها إلى سبعمئة سنة، من أيام انتقال العثمانيين إلى المنطقة، تتميز بمبانيها التاريخية الجميلة، وهي نموذج حي للعمارة الريفية العثمانية.

الأكلات الشعبية والتراث

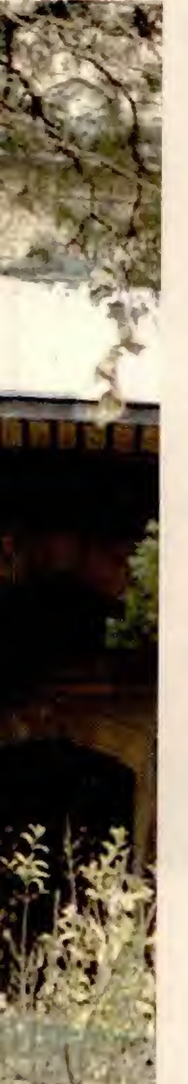
يتميز المطبخ البورصوي، الذي صقلته الثقافة العثمانية المبكرة، بأكلات وحلويات شعبية خاصة بها، انتشرت منها إلى أنحاء الأناضول، لكن يبقى طعم الأكلات في داخل بورصا يفوق غيرها، منها: كباب إسكندر الذي يرجع تاريخه إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، نسبة إلى المعلم إسكندر، مخترع هذا النوع من الكباب. ومثله كفتة «إنه كول»، وحلوى كمال باشا، وحلوى الكستانة، وجبن ميخاليج، وكثير من الأكلات والحلويات الأخرى.

أما الملابس التقليدية فقد تلاشت تماماً في بورصا، وأصبحت مظاهر اللبس المعاصرة هي المسيطرة، إلا في بعض القرى القريبة من المدينة التي ما زالت محتفظة بالطراز القديم من الملابس.، منها قريتا كَلَس أورخان ألي، ولا سيما في الملابس النسائية التي تتشكل من الملابس الفضفاضة ذات القطع الكثيرة، وتكمّلها الكوفية التي تضعها المرأة على رأسها. وهناك بعض الرقصات الشعبية العثمانية الجماعية تؤدى في مناسبات خاصة، وقد التصقت بالمجتمع البورصوي، ولها عدة أنواع.

صناعة الحرير في بورصا

صناعة الحرير في بورصا تمتد إلى العهد البيزنطي. فقد اتضح من المعلومات الوثائقية أن خلايا دود الحرير نقلت سراً من وطنها الأصلي في الصين إلى البيزنطيين عام ٥٢٢م، وأن الإقليم الملائم لتربية الدود كان ضفاف مرمره، ومنطقة بورصا، فتطورت هذه الصناعة في العهد العثماني تطوراً كبيراً، وامتد طريق الحرير من الصين إلى بورصا. وقد وصلت صناعة الحرير في بورصا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين إلى ذروتها، فظهرت أنواع من الحرير البورصوي المتميز، التي كان القصر السلطاني في إستانبول أهم مشتر لها، وكانت تصدرها أيضاً إلى جنوا، وفلورنسا، والبندقية.

وكان أكبر أسواق بورصا سوق الحرير الذي كان مركزاً





من داخل سوق بورصا



محل لبيع حلويات الكستانة الخاصة ببورصا



مرموقاً لتجارته. وأصبحت بورصا بعد القرن الثامن عشر الميلادي مصدراً للحرير الخام. وبناءً على ما سبق فلا غرابة إذاً أن تصبح بورصا الأولى في تركيا في صناعة النسيج، وأن ترتقي على ذلك الأساس التاريخي المتطور لصناعة القطن والمخمل وأنواع من الأقمشة المتميزة، وأن تصدّرها لكثير من دول العالم. وما زالت آلاف المصانع في هذه المدينة تسابق مثيلاتها من المصانع الموجودة في دول العالم، ولا سيما الصين، التي تكتسح جميع منافسيها بالأسعار المغرية دون أن تصل إلى جودة نسيج بورصا.

عيد الأرجوان

على الرغم من تميز بورصا من غيرها من المدن التركية بأنواع الأشجار والأزهار والورد، التي تضفي عليها طبيعة خلابة، وجواً لطيفاً ومنعشاً، إلاّ أن هناك شجرة يطلق عليها الأرجوانية، يتخذ لها العيد أسبوعاً واحداً في موسم الربيع من كل سنة، وهذه الشجرة الحمراء الفاتحة، تفتن مشاهديها بمنظرها الرائع؛ إذ تتفتح أزهارها الحمراء الأرجوانية مغطية أوراقها كاملة. ويبدو أن الاحتفال بهذه الشجرة في موسم الربيع عرف قديم، تعارف عليه أهالي بورصا منذ فترة طويلة.

وعلى الرغم من الآثار التاريخية الموجودة في مدينة بورصا، فإن النواحي والبلدات المحيطة بأطرافها لا تقل عنها أهمية من حيث الآثار والمباني والجوامع والحمامات الكبريتية والشلالات والمغارات والورش الخاصة بالفنون اليدوية الجميلة التي ما زالت تنقل آثار الماضي إلى الحاضر.

وبعد استعراض ما تقدم ذكره من معلومات مقتضبة عن مدينة بورصا، فقد اتضح أنها لا تتميز فقط بالآثار التاريخية الجميلة، ولا بالأشجار التي تنتشر في أنحاء المدينة ذات الظلال الوارفة، ولا بالفواكه المتنوعة المتميزة في طعمها الطبيعي اللذيذ، وإنما تتميز أيضاً بآلاف من

الورش والمصانع للنسيج القطني والحرير والمناشف، والكثير من مصانع السيارات العالمية، التي يتم تصديرها إلى مختلف مناطق تركيا وإلى خارجها، وتسهم بذلك إسهاماً فعالاً في رفع اقتصاد البلد، وتوفير آلاف الوظائف للمواطنين.

أما مكتبات بورصا، ودورها الوقفية، وأنشطتها الثقافية المتعددة فهي كثيرة، ما زالت تعيد بالذاكرة إلى العهد العثماني البائد.

وفي نهاية هذه الجولة المختصرة في تاريخ بورصا القديم والحديث أود أن أقدم الشكر والتقدير لسعادة الأستاذ غياث الدين بنكول - المدير الثقافي لبلدية عثمان غازي في بورصا - على المصادر التركية الخاصة ببورصا التي وفرها للباحث، كما أقدم شكري وتقديري لسعادة الأستاذ مدير متحف كَنْتْ في بورصا، ومثل ذلك للأستاذ يوكسل بايصال - المستشار الإعلامي في مكتب الإعلام والعلاقات العامة برئاسة الوزراء التركية بأنقرة - على الجولة التي رافق فيها الباحث لزيارة بعض الأماكن التاريخية في مدينة بورصا، وكذلك الأستاذ رائف كابلان أغلو على إهداء مجموعة من كتبه ومقالاته المتعلقة ببورصا، وهو من أكثر المثقفين البورصويين إحاطة بتاريخها وتمدنها، كما أن الشكر موصول إلى سعادة الأستاذ شيخموس كجيت على مرافقته للباحث في أنحاء بورصا القديمة والحديثة، وعلى المعلومات القيمة التي زود بها الباحث..

المراجع والهوامش

- رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة، دائرة معارف الشعب، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م. ص٢٠٤-٢٠٥
- سالنامه خداوندكار.- بروسه: مطبعة ولايت، ١٣١٠(١٨٩٢م) ع: ١٩.
- Bursa.- Bursa: Buyuksehir Belediyesi, Bursa Kultur, Sanat ve Turizm Vakfi, 2003.
- Bursa Burcunda Edebiyat: 9.Bursa Edebiyat Gunleri.- Bursa: Buyuksehir -Belediyesi, Bursa Kultur, Sanat ve Turizm Vakfi, 2004.
- Bursa'da Bir Baska Zaman.- Bursa: Bursa Kultur, Sanat ve Turizm Vakfi, 1997.
- Bursa'da Dunden Bugune Tasavvuf Kulturu: 1- Bursa: Buyuksehir Belediyesi, Bursa Kultur, Sanat ve Turizm Vakfi, 2002.
- Bursa'da Dunden Bugune Tasavvuf Kulturu: 2- Bursa: Buyuksehir Belediyesi, Bursa Kultur, Sanat ve Turizm Vakfi, 2003.
- Bursa Denemeleri: Olumunun 40.Yilinda Tanpinar Anisina.- Bursa: Bursa Osmangazi Belediyesi, 2002.
- Bursa Ekonomik ve Sosyal Gostergeler.-Bursa: Bursa Valiligi, 2003. - Bursa Kent Muzesi.-Bursa: Buyuksehir Belediyesi, 2004.
- Bursa Yazilari/Ali Aksoy.- Bursa: Buyuksehir Belediyesi, Bursa Kultur, Sanat ve Turizm Vakfi, 2004.
- Cinarli Kent'in Dili: 7.Bursa Edebiyat Gunleri.-Bursa: Buyuksehir Belediyesi, Bursa Kultur, Sanat ve Turizm Vakfi, 1998.
- Erguvan Bayrami: 3. Bursa edebiyat Gunleri.- Bursa: Bursa Kultur, Sanat ve Turizm Vakfi, 1998.
- Islam Ansiklopedisi/Turkiye Diyanet Vakfi.- Istanbul: Turkiye Diyanet Vakfi, 1992. 6/445-451.
- Kirkbir Yil'in Seyir Defteri: Bursa Festivali.- Bursa: Bursa: Bursa Kultur, Sanat ve Turizm Vakfi, 1998.
- Manolya Isiginda Roman: 8.Bursa Edebiyat Gunleri.- Bursa: Buyuksehir Belediyesi, Bursa Kultur, Sanat ve Turizm Vakfi, 2002.
- Osmanli Devletinin Kurulusu/Raif Kaplanoglu.- Istanbul: Avrasya Etnografya Vakfi yay. 2000.
- Ogretmen Mektuplari.- Bursa: Buyuksehir Belediyesi, Bursa Kultur, Sanat ve Turizm Vakfi, 2004.
- Saat Bursa Sulari: 6.Bursa Edebiyat Gunleri.-Bursa: Bursa Kultur, Sanat ve Turizm Vakfi, 2001.





المبادئ والأساليب الحكيمة للتصالح والإصلاح بين الناس

مقداد يالجن

الرياض ـ السعودية

إن الخصومات والمنازعات والمشاجرات والمواقف العدوانية أو السلبية عمومًا من آفات الحياة الاجتماعية المستقرة والمطمئنة السعيدة، وبخاصة من آفات مباهج الحياة الأسرية.

وبقدر دوام الخصومات واشتدادها، تقلّ لذة الحياة الاجتماعية، وتتضاعف ويلاتها. ولهذا فإن أهمية المسارعة في إزالتها كأهمية المسارعة في إزالة الحالات المرضية، إضافة إلى ذلك فإن دوامها يؤدي إلى مضاعفات، وقطع العلاقات، ثم إلى أضرار اجتماعية واقتصادية، وأحيانًا إلى التحاكم أو إلى الجرائم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنها تمتص قوى الإنسان وتعوقه عن إنجاز أعمال ومهام كثيرة.

إن الحياة الإنسانية قصيرة وبخاصة إذا قسناها بالحياة الدائمة في الآخرة، فإنها لا تزيد على ثوانٍ أو دقائق بالنسبة إلى تلك الحياة الأخروية، كما يحاسب بعض الدارسين عن قياس سعادة الدنيا بالآخرة. وقياس نسبة طول حياة الدنيا بالنسبة إلى طول حياة الآخرة.

ولهذا يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوان

والقرآن الكريم بيّن أن الإنسان عندما يسأل في الآخرة كم من العمر عاشه؟ سوف يقول يومًا أو بعضَ يوم، أو بين عشية وضحاها.



العفو والصفح

ولهذا أمر الإسلام بالمسارعة إلى المصالحة، وأي طرف يسبق الآخر في هذه المسارعة والمسابقة يكون عند الله خيرًا من الآخر، وينال ثواب المسارعة.

كما أمر بالعفو والصفح والتفاضل حتى في حالات النزول عن حق الدية، حتى في حالات وقوع الجنايات من طرف على آخر ظلمًا وعدوانًا. وأمر الناس بالسعي إلى إصلاح ذات البين، فقال تعالى: ﴿إنما المؤمنونَ إخوة فأصلِحُوا بين أَخَوَيْكم﴾. الحجرات:١٠.

وقال تعالى: ﴿فاتّقُوا الله وأصلِحُوا ذات بينِكم﴾. الأنفال:١. وقال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بَغَتْ إحداهما على الأخرى فقاتِلُوا التي تبغي حتى تَفِيءَ إلى أمرِ الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسِطوا إن الله يحب المُقسطين﴾. الحجرات:٩.

ومن فوائد العفو والصلح غفران الله لهم؛ ولهذا قال تعالى تشجيعًا وحفزًا على ذلك: ﴿ولْيَعْفُوا ولْيَصْفَحوا ألا تُحبُّون أنْ يغفرَ اللهُ لكم﴾. النور:٢٢.



وفي آية أخرى ربط العفو بحب الله وجعله من الإحسان والصدقة إلى المعفوّ عنه. فقال تعالى: ﴿فاعفُ عنهم واصفَح إنَّ الله يحب المُحسِنِين﴾. المائدة:١٣.

ولم يكتف الإسلام بالعفو عن الأمور الصغائر والهفوات، بل دعا إلى العفو حتى عن الأمور الكبيرة، لدرجة أنه إذا قتل أحد أخاه ففضل العفو على القصاص، ولهذا قيل: الفضيلة في العفو لا في العدالة والقصاص.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى الحرُّ بالحرِّ والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى فمَنْ عُفي له من أخيه شيء فاتّباع بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان﴾. البقرة:١٧٨.

ثم عدّ العفو من أنواع الصدقات والإنفاق، فقال تعالى: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قُل العفوَ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾. البقرة: ٢١٩.

ولهذا كله أمر الناس بالعفو والصفح عن حقوقهم ومظلمتهم، وأمرهم بأن يأمروا غيرهم بالعفو فقال تعالى: ﴿خُذِ العفوَ وأْمُر بالمعروف واعرض عن الجاهلين﴾. الأعراف: ١٩٩. ذلك أنه إذا كان العفو من الصدقة والإحسان فإنه يدخل في الأمر بالمعروف الذي ورد في الآية.

ولا شك أن العفو عن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان صعب على النفس، ولكن الفضيلة تتطلب التضحية ومغالبة البغض والغضب، ولهذا مدح الله الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس فقال: ﴿الذين يُنفقون في السرَّاءِ والضرَّاءِ والكاظِمِينَ الغيظَ والعافِينَ عن الناس واللهُ يحبُّ المحسنِينَ﴾. آل عمران: ١٣٤.

هذه الفوائد من الناحية الدينية، وهناك فوائد من الناحية الصحية والنفسية والجسمية، والإنتاجية والاقتصادية.

الخصومات تؤثر في إنجاز الأعمال، وتؤدي إلى إضاعة الوقت، وإلى المصروفات في المحاكم إذا انتقلت الخصومات إليها. إضافة إلى النفقات التي تكلف الدولة بسبب حاجتها إلى الإكثار من عدد المحاكم والموظفين والسجون



فواتير التسامح

فمن الناحية الصحية فإن التسامح والعفو يغسلان القلوب من عفن البغض والنفور والكراهية والحسد التي تكون أحيانًا من أسباب الأمراض النفسية، ويعالج بعض علماء النفس مثل هذه الحالات عن طريق طلب المريض بإزالة ما في نفسه من تلك الأسباب. وأن يعلن أمامه بكلمات مسموعة أنه قد عفا عن فلان، وسامحه، وأزال من نفسه كل ما يتعلق به من روح الانتقام والعدوانية والنفور والبغض والحسد، وما إلى ذلك.

ومن حيث الطاقة يرى أحد العلماء أن تلك الأمور هي بمنزلة لصوص تسرق طاقة الإنسان أو تمتصها، ويذكر أنه أحيل إليه أحد المرضى، وكان مصابًا بحالة نفسية يشتكي من أنه لا طاقة له على المشي، ولا على الجلوس مستقيمًا، وبعد التحليل النفسي تبين أنه يبغض بعض الناس، وينفر منهم، ويريد الانتقام، ولا يستطيع، ولما شعر بالعجز انتقل الشعور بالعجز النفسي إلى العجز الجسمي، وبعد ما كُشِف له السبب، وأن علاجه أن يتسامح، ويعفو، ويعلن ذلك، ويطهر نفسه من كل هذه الأمور السيئة الموجهة إلى الآخرين، استعاد صحته وسلامته وطاقته.

ويذكر بعض هؤلاء العلماء أن سلامة النفس من مثل تلك الأمور تكون مقاومة جسمية لبعض الأمراض والبكتيريات وبعض أنواع السرطان.

وينصح للتخلص منها بالأمور الآتية:

- اعف عن كل إنسان تنفر منه وتبغضه، أو تريد الانتقام منه.
- ادع الله بأن يحل الحب والمودة لهم محل البغض والنفور منهم مع ذكر أسمائهم.
- إذا تذكرت الناس الذين آذيتهم بأي شكل من أشكال الأذى، فاطلب منهم العفو بعد الاعتذار عما بدر منك إزاءهم.

التسامح والعفو يغسلان القلوب من عفن البغض والنفور والكراهية والحسد التي تكون أحيانًا من أسباب الأمراض النفسية، ويعالج بعض علماء النفس مثل هذه الحالات عن طريق طلب المريض بإزالة ما في نفسه من تلك الأسباب

- اطلب العفو من الله لكي يعفو، ويغفر لك سيئاتك، وسوء أخلاقك.
- أطلب العون من الله ليعينك على التخلص من مواطن الضعف والعجز ومساوي النفس، وسوء الأخلاق والعادات، وسوء التفكير في حق الآخرين (١).

ومن الناحية الاقتصادية فإن هذه الخصومات تؤثر في إنجاز الأعمال، وتؤدي إلى إضاعة الوقت، وإلى المصروفات في المحاكم إذا انتقلت الخصومات إليها، إضافة إلى النفقات التي تكلف الدولة بسبب حاجتها إلى الإكثار من عدد المحاكم والموظفين والسجون، وإذا كانت في إحدى الدول قضايا كثيرة من هذا القبيل فتكون الخسارة أكبر وأدهى، ويبين أحد الإعلانات في إحدى الدول أن عدد القضايا فيها وصل إلى ١٠ ملايين قضية، فكم تكون الخسارة فيها للأفراد والدول معًا؟

من الضروري تكوين جماعة المصالحة من الإمام والمختار وذوي الوجاهة وأهل الرأي والحكمة والتجربة في كل حي. وفي كل قرية. وفي كل مؤسسة لإصلاح ذات البين: لأنه كلما كانت هذه الجماعة المُصْلِحَة قوية وكثيرة كان لها تأثير أكبر وأسرع. وقد بينت التجارب أن وجود فئة مصلحة يقلل المشكلات

مبادئ التصالح

وهي التي ينبغي أن يطبقها كل من الطرفين في الإصلاح فيما بينهما، والسعي إلى ذلك بإخلاص، وصدق النية.

- مبدأ التسامح في حدود ثلاثة أيام في البقاء على عدم المحادثة؛ وذلك لتسكن النفس، وتهدأ الأعصاب، ويرجع كل طرف إلى محاسبة نفسه.
- مبدأ المسارعة في النصح، فمن سبق الطرف الآخر كان خيرًا منه.
- مبدأ الفضيلة في التجاوز عن بعض الحقوق من أجل الصلح.
- مبدأ التوسط: أي جعل بعض الناس الماهرين في الصلح يتوسطون لإصلاح ذات البين.
- مبدأ إبداء الرغبة وإرسال مندوب أنه مستعد للصلح إذا كان الطرف الآخر مستعدًا لذلك أيضًا؛ لأنه إذا أبدى طرف استعدادًا، ولم يبد الطرف الآخر، أو لم يقبل يكون الرفض صعبًا على النفس.
- مبدأ دفع الإساءة بالتي هي أحسن. قال تعالى: ﴿اِدْفَعْ بالتي هي أحسنُ فإذا الذي بينكَ وبينه عداوةٌ كأنه وليٌّ حميم﴾. فصلت:٣٤. وقال تعالى: ﴿ادفع بالتي



لم يكتف الإسلام بالعفو عن الأمور الصغائر والهفوات، بل دعا إلى العفو حتى عن الأمور الكبيرة. لدرجة أنه إذا قتل أحد أخاه فضل العفو على القصاص. ولهذا قيل: الفضيلة في العفو لا في العدالة والقصاص. ثم عدّ العفو من أنواع الصدقات والإنفاق. ولهذا كله أمر الناس بالعفو والصفح عن حقوقهم ومظلمتهم

هي أحسنُ السَّيِّئَةَ﴾. المؤمنون:٩٦.

- مبدأ وضع الإنسان نفسه موضع الآخر، وأن يحب له ما يحبه لنفسه، وأن يكره له ما يكرهه لنفسه، بناء على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه» (٢).

أساليب الإصلاح بين الناس

- سعي أهل العلم والحكمة لإصلاح ذات البين إذا سمعوا وجود خلاف أو شقاق.
- دراسة أسباب الخلاف والشقاق قبل الحكم على أي طرف بالخطأ أو الإصابة.
- ترغيب الأطراف في الصلح لما فيه من الفوائد وأهميته للطرفين.
- دعوة كل طرف إلى العفو والتخلي عن بعض الحقوق والمصالح في سبيل الصلح.
- إيجاد الحل الوسط للمشكلة في حالة تطبيق المبادئ السابقة.
- الاستماع إلى كل طرف من قبل المحكمين لمعرفة الدوافع والأسباب الخاصة.
- حصر المشكلة في نطاق ضيق إن أمكن.
- الوقوف على رأي كل طرف في الصلح وشروطه إن وجدت.
- إيجاد نقاط الاتفاق بين وجهات النظر.
- إيجاد الحل المؤقت في مجال الاتفاق، وتأجيل نقاط الاختلاف إلى ما بعد إن لم يكن في الحال.
- أن يتوافر لدى المصلحين الإخلاص والتجربة والحكمة، وبذل الجهد اللازم.
- عدم اتخاذ موقف معين إيجابًا أو سلبًا بمجرد الاستماع إلى طرف واحد.
- ضرورة التحقق من صدق ما يقال، وعدم وجود مبالغات وتحيزات.
- ضرورة مراعاة العدالة والإنصاف بصرف النظر عن جنس المتخاصمين ونوعهم.
- ضرورة معرفة المصلحين بأساليب الإرشاد



والتأثير في قلوب المتخاصمين وعقولهم ونفوسهم.

- لدوام المصالحة والمعايشة السليمة ينبغي إخبار كل واحد الطرف الآخر بما يزعجه من التصرفات المنبوذة أو المزعجة للطرف الآخر، وعلى كل طرف أن يتعهد بترك ما يزعجه.
- ذكر مآثر أهل الفضل، وأمثلة من الحاضر والتاريخ، والسيرة النبوية والآيات والأحاديث الداعية إلى الصلح والتصالح والعفو والصفح.

لقد ذكرنا طائفة من الآيات والأحاديث في أهمية الموضوع. وفيما يتعلق بالآثار من السيرة النبوية فنحن نعلم كم آذى أهل مكة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأخرجوهم من ديارهم، وقتلوا منهم من قتلوا، وتآمروا لقتله صلى الله عليه وسلم، ولكن عفا عنهم في موقف جعلهم يحبونه، ويصبحون جنودًا له يدافعون عنه، ويضحون من أجله!

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم عفا عن وحشِي قاتل عمه حمزة، وكان من أحب الناس إليه لما أعلن إسلامه؛ لأن الإسلام يجبّ ما قبله!

وهذا الإمام علي رضي الله عنه عندما أهانه يهودي، وحقره، وبصق عليه في معركة خيبر، وكان من الممكن أن يقتله، ولكنه لم يفعل، فقيل لماذا لم تقتله؟ فقال: «إنني أقاتل في سبيل الله، فلو قتلته في تلك اللحظة ربما قتلته؛ لأنه نال مني، فيكون قتاله غيظًا وانتقامًا، فلا أكون عندئذ مقاتلاً في سبيل الله!».

وهذا أحد العلماء الكبار، كان الواحد يغتابه، ويتكلم عليه أينما ذهب، فلم يرد الإساءة بالإساءة، بل أحسن إليه، وذلك بأن أخذ هدية، وذهب بها إلى بيته، فقال الرجل: ما هذا؟

فقال: هذا مقابل إحسانك إليّ.

فقال: ومتى أحسنت إليك؟



إصلاح ذات البين يقلل ماينشأ من مشكلات الخصومة

فقال: لأنك اغتبتني كثيرًا، فحملت جزءًا من وزري! وهذا الرجل المزارع أطلق عليه خصمه الرصاص، فدخل الرصاص من طرف وجهه فخرج من الطرف الآخر، وأخذ خصمه إلى السجن، وبعد ثلاثة أيام من الحادثة، وهو ما زال جريحًا ذهب إلى السجن، وقال للمسؤولين: إنني عفوت عن هذا الرجل، فأطلقوا سراحه، فدهش الناس وأهل الحي من هذا الموقف النبيل، واشتهر في الأحياء لكثرة عفوه وصفحه، فأصبح مثالاً يحتذى!

انظروا الآن لما يحصل من المتخاصمين عندما نسعى إلى الإصلاح ذات البين، فيقول: لا يمكن أن أتسامح وأتصالح إلى يوم القيامة؛ لأنه فعل بي كذا وكذا، وعندما نستفسر عما فعله فمنهم من يقول: إنه شتمني، أو نال من كرامتي أمام الناس، أو حاكمني في مسألة من المسائل، فهل تقاس مثل هذه الأشياء بما حصل في الماضي من الأمثلة المذكورة؟.

وختامًا أقول، من أجل حلّ المشكلات الفردية والأسرية والاجتماعية النابعة من الخصومات والمنازعات ودوامها، ولتحقيق مزيد من الانسجام والتماسك والمودة والاستقرار والطمأنينة في هذه الحياة الاجتماعية: لا بد من توصيات نقدمها إلى الأطراف المعنية بالمشكلة.

توصيات موجهة إلى الأفراد

إن كل إنسان يجب أن يدرك مبدئيًا أن أي خصومة بينه وبين غيره هي عليه، وهو يتضرر أولاً من جراء الخصومة



عواقب الخصومة قد تكون وخيمة

بأضرار كثيرة نفسيًا وصحيًا واجتماعيًا، كما يتضرر خصمه والآخرون الذين لهم علاقة بالموضوع، فمثلاً إذا كانت هناك خصومة في البيت فكل أفراد الأسرة يتأثر بذلك بدرجات متفاوتة؛ وكذلك الأمر إذا كانت الخصومة في الإدارة أو في أي مؤسسة أو جماعة، وقد يؤدي الأمر، إن لم تحل المشكلة بسرعة إلى مضاعفات مثل الجريمة، أو إلى تفكك الأسرة وانهيار المؤسسة وعدم نجاحها، فالأمر مثل الأمراض، فكلما كانت هناك مسارعة إلى العلاج كان العلاج أسرع وأهون وأقل تكلفة، وكلما تأخر يكون العلاج أصعب وأكثر تكلفة، وقد تكون له مضاعفات تجعل المعالجة مستحيلة، كما هو معروف في ميدان الطب لبعض الأمراض، والأمر يشبه أيضًا بحالة اشتعال النار في المنزل أو في أي مكان، إن أسرع إلى إطفائه في البداية فيكون الأمر أسهل، وكلما أجّل زاد الخطر أكثر، وقد يصل الإهمال إلى حد يستحيل معه الإطفاء، فتحرق النار الرطب واليابس معًا.

ولهذا كله أوصي وأنصح كل فرد، إذا حصلت الخصومة بينه وبين غيره، بالتزام المبادى والأساليب المذكورة سابقًا.

توصية موجهة إلى الأفراد والجماعات والمؤسسات ذات العلاقة بالمشكلة

ويدخل في هذه التوصية أفراد الأسرة إذا كانت الخصومة في الأسرة، والأقارب إذا كانت الخصومة بين الأقارب، ويدخل أفراد الأسرة والجماعة إذا حصلت المشكلة فيها.

هذه التوصية هي المسارعة من المسؤولين، وأهل المشورة والحكمة والتجربة إلى حل المشكلة أفرادًا وجماعات، والتعاون المثمر على حلّ المشكلة، وإطفاء نار الفتنة قبل فوات الأوان.

- توصية إلى أئمة المساجد والمختارين في الأحياء والأرياف بالمداخلة في المنازعات فور السماع بها باستخدام الأساليب السابقة لحلها والقضاء عليها.

- توصية بتكوين جماعة المصالحة من الإمام والمختار وذوي الوجاهة وأهل الرأي والحكمة والتجربة في كل حي، وفي كل قرية، وفي كل مؤسسة لإصلاح ذات البين. لأنه كلما كانت هذه الجماعة المُصْلِحَة قوية وكثيرة كان لها تأثير أكبر وأسرع.

ولقد تبين من خلال التجارب والمشاهدة أنه عندما كانت هناك فئة مصلحة في القرية، أو في الحي، كانت المشكلات فيها أقل بكثير من الأحياء والمؤسسات التي غابت فيها هذه الفئة.

وأذكر بهذه المناسبة كانت هناك قرية فيها جماعة الإصلاح المكونة من إمام المسجد والمختار ومعلم المدرسة، وكانوا يسارعون إلى الإصلاح فور سماع الخصومة. ولما جاء مفتش من وزارة العدل لتفتيش المناطق من حيث مدى تزايد المشكلات والمحاكمات، فلما وقفوا على سجل هذه القرية، ولم يجدوا أي قضية مسجلة، قالوا عجبًا هل أهل هذه القرية ملائكة إما حصلت فيها قضية للمحاكمة! ولهذا أمر



المصارحة أقصر الطرق للمصالحة

الإسلام بالمسارعة إلى إصلاح ذات البين كما بينا في بداية الموضوع.

ولهذا أيضًا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، إن يك ظالمًا فاردده (امنعه) عن ظلمه وإن يك مظلومًا فانصره» (٣).

لأنه إذا تمادى في الظلم فيكون هو الخاسر الأول، إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة، يعاقَب على ظلمه من الله أشد من معاقبة الحاكم له أو غيره في الدنيا.

إذا قوَّمنا الآن أهمية الإصلاح من هذه الزاوية، زاوية حل المشكلات ظهرت لنا أهمية الموضوع بشكل بارز من النواحي الآتية:

إذا تذكرنا أن عدد القضايا المحكمية في إحدى الدول الإسلامية قد وصل إلى ١٠ ملايين قضية.

وإذا حسبنا مصروفات الدولة لكل قضية، ومصروفات المحاماة للأطراف المتنازعة، كم تكون الخسارة المالية! فإذا كان متوسط مصروفات قضية واحدة في حدود ٥ آلاف ريال مثلاً، فتكون الخسارة على مستوى الدولة ٥٠ مليار ريال.

- خسارة الوقت الضائع، والأيام الضائعة من العمل، حيث تستغرق القضية الواحدة أحيانًا سنوات.
- خسارة العمل التي تتعطل بسبب هذه المشكلات.
- خسارة الحياة المستقرة، والحياة الاجتماعية المبتهجة.

وهكذا لو انتشرت هذه الروح الإصلاحية لدى الأفراد والجماعات لأكسبت أنفسهم ومجتمعهم ٥٠ مليار ريال، وهذه قيمة اقتصادية مهمة، إلى جانب أهمية الموضوع من النواحي الأخرى التي ذكرناها فيما سبق.

المراجع والهوامش

1- Olumlu Yasamin Gucu. Norman Vincent Peale. Sistem Yayincilik. istanbul 1997. Sayfa 156 - 159.

٢. رواه البخاري ومسلم. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: محمد فؤاد عبدالباقي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة (د.ت)، ج١، ص١٦.

٣. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، الإمام جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت) ج١، ص١٠٩.



المناهج التعليمية بين النفعية والقيم

الزبير مهداد

الناظور ـ المغرب

يحرص كثير من المقالات على طرح موضوع التربية والتنمية من خلال البحث عن دور التعليم في تنمية الموارد البشرية، واستثمار طاقاتها، وترشيد استعمالها لزيادة مردود النشاط البشري، وضمان توزيع عادل للثروات الطبيعية، وتطوير قدرات الأفراد في مختلف مراحل العمر التي تتيح لهم الاستمتاع بفرص الحياة المتاحة أو الممكنة بشكل عادل ومتساوٍ.

وقد أنجزت، منذ العقود الأولى من قرننا العشرين، دراسات وبحوث كثيرة تناولت العلاقة بين التربية والنمو الاقتصادي من جوانب شتى: اقتصادية واجتماعية وقيمية وسلوكية، وغيرها، فتبين من نتائجها الدور الذي يمكن أن يؤديه التعليم في تحقيق التنمية الشاملة، وعلى الرغم من أن هذه الدراسات لا تكتسي طابع الشمولية والتعميم، إلاّ أن معظمها يؤكد الأثر القوي والراسخ للفعل التربوي الذي يعدّ من المحركات القوية للتنمية.

لذلك أصبح التعليم مجالاً ذا أولوية في الثلث الأخير من قرننا هذا في كثير من الدول النامية. فقد أصبحت نفقات التعليم في هذه الدول تستهلك ربع الميزانيات الحكومية العامة أو ثلثها، وأصبح نصيب التعليم من الإنفاق ونسب القبول والنجاح من أهم مظاهر التطور التربوي، على الرغم من أن ذلك لم ينعكس على المسيرة التنموية لهذه الدول، وظل مردود التعليم لا يستجيب للطموحات، ولا يرقى إلى ما ينفق عليه من الميزانية؛ لأن هذه السياسات التربوية لم تلتفت إلى دور التعليم، ومساهمته في التنمية من خلال تأثيره في التغيير الاجتماعي، وتشكيل الأفراد،



وتغـيـيـر أنماط السلوك، وهذه الوظائف تتنازع فـيـهـا اختصاصات مؤسسات التعليم النظامية (المدارس ومعاهد التكوين)، وأجهزة الإعلام السمعي والبصري والمكتوب، والمؤسسات الثقافية والاجتماعية الأخرى، كالأسرة والمسجد والأندية، وغيرها (١).

عيوب التعليم المدرسي

إن مطلب الاستقلال الوطني لكثير من بلدان الوطن العربي كان مرتبطاً بمطلب حق التعلم. ونشر التعليم وتعميمه ارتبط بالرغبة في تحرير البلاد، كما أن الحاجة إلى دفع البلاد نحو التقدم، بعد حصولها على الاستقلال، كانت حافزًا للحكومات الوطنية إلى نشر التعليم الذي يؤدي إلى رفع الإنتاج وتحسينه، وتطوير القطاعات المنتجة، والزيادة في الدخل، وغير ذلك مما يعدّ من دلائل التقدم.

إلا أن تحقيق ذلك رهين بجودة النظام التربوي، ووضوح أهدافه، وغنى وسائله، ومستوى القائمين عليه: ولذلك يحصي خبراء الاقتصاد والاجتماع والإدارة،

الاجتماعية، كالتعاون والصدق والأمانة، وحلّ سلوكات النفاق، وطغيان المصلحة الخاصة محل هذه القيم النبيلة.

- أما فيما يتعلق بالمناهج المدرسية، فيلاحظ عدم الانسجام بين وحدات المقرر، إذ من المفروض أن يوظف المتعلم تجاربه، ويعمم خبراته من وحدة دراسية إلى أخرى، إلا أن ذلك لا يتأتى له بسبب طبيعة المناهج المتفككة التي لا تراعي مبدأ الترابط والتتابع ووحدة الشخصية، فترسخ هذه المناهج مبدأ الاهتمام المتفرد، الجانب الذي ينصب على مهارات خاصة، ومعارف محددة، دون الالتفات إلى المهارات الأخرى التي تربط بها.

فهذه - على سبيل المثال لا الحصر - بعض عيوب

تقويم العملية التربوية في إطارها الشامل هو أساس الإصلاح

وغيرهم من الدارسين المعنيين بقضايا التنمية، كثيرًا من العيوب التي يتسم بها تعليمنا:

- فعلى المستوى الشخصي لم يستطع تعليمنا المدرسي غرس الوعي السياسي في المتعلمين، ولا تنمية قدرتهم على الاهتمام بالشأن المحلي، أو مواكبة تطلعات بلادهم التنموية والاقتصادية؛ فتركيز نظامنا التعليمي على اكتساب المعلومات، وتهيئة المتعلم للاختبار، ونيل الشهادة التي تؤهله للبحث عن عمل، أدّى إلى إهمال كلي للجانب السلوكي والخلقي في شخصيات المتعلمين.

- حتى الجانب العقلي، فإن تنميته اقتصرت على حشوه بالمقررات، مع تغييب التفكير النقدي المستقل، وانعدام المبادرة الأدبية والعلمية لدى التلاميذ، وتراجع كبير عن بعض القيم

فيما يتعلق بالمناهج المدرسية. يلاحظ عدم الانسجام بين وحدات المقرر. إذ من المفروض أن يوظف المتعلم تجاربه. ويعمم خبراته من وحدة دراسية إلى أخرى. إلا أن ذلك لا يتأتى له بسبب طبيعة المناهج المتفككة التي لا تراعي مبدأ الترابط والتتابع ووحدة الشخصية



المنهج أداة صياغة الشخصية وتنمية قدراتها

التعليم التي تحول دون أن يكون أداة فعالة في التنمية.

إن التعليم المدرسي لا تقتصر وظيفته على إعداد الفرد للتوظيف، والبحث عن العمل، بل هذا الإعداد يتضمن تنمية القدرة على تجديد هذه الحياة: فالمدرسة يجب أن تستجيب لمطالب التغيير الاجتماعي وتحدياته، وتكون رائدة التغيير ومبشرة به وموجهة له (٢)، وسبيل ذلك هو المنهاج الذي يعدّ أداة صياغة الشخصية، وتشكيل ملامحها العامة.

على المناهج التعليمية أن تكون ترجمة فعلية وحقيقية لأهداف التعليم التي نروم تحقيقها. وسمات الشخصية التي نسعى إلى تنشئتها. لذلك يجب أن تنبثق من حاجات البيئة التي نعيش فيها. ومن متطلبات تنميتها في ظل العقيدة الإسلامية

مناهج نفعية أو قيمية؟

إن التنمية الاجتماعية هي في الأساس عملية تغيير اجتماعي، لا بد لها لكي تحقق نتائجها من تغيير في عادات الأفراد وسلوكهم وقيمهم، وهذا التغيير يتم عن طريق التربية والتعليم، فهما اللذان يعدلان أنماط السلوك والعادات، ويشكلان ملامح الشخصية واتجاهاتها وقيمها.

إن المناهج هي أداة التربية في صناعة الأفراد وفقًا



لطبيعة الفلسفة التربوية. وقد أجرت عدة محاولات في بلدان شتى؛ بهدف تعديل المناهج الدراسية جزئيًا أو تغييرها بصورة كلية، وعلى الرغم من هذه المحاولات، فإن المناهج الدراسية المطبقة حاليًا في مدارسنا العربية تتسم بالتقليد والجمود والقصور؛ لأن تكييف محتويات التعليم بصفة متوالية لم يكن وليد دراسات دقيقة؛ ولهذا فإن الإصلاحات المتعددة طبعتها صبغة الجزئية والظرفية، ولم تستهدف إقرار الحلول الجذرية للمشكلات (٣).

من الملاحظ أن التعليم في المدرسة أصبح يعدّ التلميذ لاجتياز الاختبار، وليس لأجل اكتساب التعليمات المفيدة، وإذا كان من المفترض أن يضمن التعلم من أجل الاختبار حصول قدر أدنى من التعلم، فإن السؤال المطروح هو: هل هذا التعلم يتحول إلى إنجاز ما في المستقبل، أو أنه يظل مجرد استظهار معلومات لا تلبث أن تنسى؟ (٤).

ومن مساوي هذا النظام التعليمي أنه يشجع على ظهور سلوكات سلبية غير تربوية لدى التلاميذ، كالغش والتحايل اللذين لا يمكن أن يتحقق معهما أي تعلم ثابت، ولا يبرزان أو يساعدان على إبراز أية مهارة إيجابية أو موهبة كامنة في المتعلم، وهذا الأمر له ارتباط وثيق بوسائل التقويم وطرائقه، فما هو قائم في نظامنا التعليمي هو مجرد أدوات للتحقق مما إذا كان الدارس قد اكتسب معارف معينة، ووسيلة للتحكم في نسبة التدفق إلى المستويات الدراسية العليا، فتصبح هذه الامتحانات سببًا للقلق والكرب لدى الآباء والتلاميذ؛ لأنها تؤدي دورًا حاسمًا في تحديد فرص حياة التلاميذ المقبلة.

إن التركيز في اكتساب التعلم يجب ألاّ يقتصر على التحصيل في حد ذاته، إذ يجب أن تحرص المدرسة على أن يكون ما يتعلمه التلميذ من معارف نافعة، ومهارات متجددة، وقدرة على التفكير السليم، بما في ذلك كيفية التعلم، ذا قيمة بالنسبة إليه وإلى مجتمعه.



التعلم ليس لاجتياز الاختبار المدرسي فحسب !

فيجب على تعليمنا في جميع الشعب والتخصصات والمستويات، أن يكوّن العقل الأخلاقي الملتزم الوطني بدل العقل الأداتي، ووسيلة ذلك برنامج تعليمي يستكمل صورة المواطن، كما يرسمها الفكر التنموي الوطني الإسلامي، ويترسخ ذلك في النصوص والتطبيقات والمعاملات التربوية، وسائر الأنشطة المنهجية والموازية التي يتم فيها التركيز في قيم الحق والخير والجمال والعدالة والمساواة، وحب العمل والنضال من أجل الجميع وتقدم الفرد/المواطن، كإنسان كامل الأهلية والقدرة، وككائن اجتماعي يتمتع بالحقوق الكاملة، ومن واجبه أن يكون فاعلاً في تقدم المجتمع، مناضلاً من أجل الوطن وتقدمه وأمنه ووحدته.

إن دولاً كثيرة حققت نموًا بسرعة كبيرة؛ وذلك راجع



على المناهج التعليمية أن تكون ترجمة فعلية وحقيقية لأهداف التعليم التي نروم تحقيقها

في المقام الأول إلى فضائل الانضباط والإخلاص والإرادة الوطنية التي تحلّى بها الأفراد، وشجّعت، واعتنت بها التربية، فنذكر أنه في عام ١٨٩٠م أصدر الإمبراطور الياباني مرسومًا حول التربية، ألحّ فيه على الدور الأخلاقي وفضائل الصدق والورع والاقتصاد، والنشاط الضروري من أجل ازدهار الإمبراطورية. فكانت الوظيفة الأخلاقية للتعليم أكثر أهمية من الوظيفة الاقتصادية، لكن الاثنتين امتزجا معًا لكي تسهلا تحويل البلاد (٥)؟

أسلمة المناهج التربوية

إن عقول الأفراد وشخصياتهم وسلوكاتهم واتجاهاتهم يمكن رعايتها وتوجيهها، وهو ما نجده منعدمًا في برامج الحكومات وخططها وسياساتها، فهي لا تفكر في إصلاح المضغة التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجسدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإذا

التنمية الاجتماعية هي في الأساس عملية تغيير اجتماعي، لا بد لها لكي تحقق نتائجها من تغيير في عادات الأفراد وسلوكهم وقيمهم. وهذا التغيير يتم عن طريق التربية والتعليم. فهما اللذان يعدلان أنماط السلوك والعادات، ويشكلان ملامح الشخصية واتجاهاتها وقيمها

فسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ألا وهي القلب» (٦).

فالإسلام بمعتقداته وأنظمته وعباداته وشعائره يرمي إلى بناء الشخصية على المستوى الفردي، وعلى المستوى القومي (٧).

يجب على المناهج التعليمية أن تكون ترجمة فعلية وحقيقية لأهداف التعليم التي نروم تحقيقها، وسمات الشخصية التي نسعى لتنشئتها، لذلك يجب أن تنبثق من حاجات البيئة التي نعيش فيها، ومن متطلبات تنميتها في ظل العقيدة الإسلامية التي فطرنا عليها، فيتضمن هذا المنهاج المقدم لأبنائنا على اختلاف طبقاتهم طرائق التدريس التي تتلاءم مع خصائصهم، والأنشطة المختلفة التي تسهم في تكوينهم وإشباع حاجاتهم.

وأول ما يجب البدء به إعداد العاملين في قطاع التعليم ذكورًا وإناثًا إعدادًا يتناسب وهذه المهمة الشاقة، حتى يتعرفوا طبيعة المهنة وأصولها وأهداف التعليم، ويراعوا خلال أدائهم مهامهم المهنية والثقافية النبيلة حقوق الله عليهم، وحقوق الناس، والواجب الذي يمليه عليهم انتماؤهم الوطني، وعقيدتهم الدينية. فحين «تجتمع قلوب المعلمين وعقولهم على المعاني الخلقية، والمفاهيم العليا لمهنتهم، وحين تتوحد وجهات نظرهم على لواء واحد يرفعونه، وشعار يحيون به ويرمقونه» (٨) يتأكد أن النشء الذي يتربى على أيديهم الكريمة، وتحت نظرهم، سيكون نشئًا مباركًا طيبًا، يتمسك بالعروة الوثقى، ويناضل من أجل قيم الحق والخير والجمال.

إن مناهجنا هي بحاجة إلى جهد كبير، وعمل جاد في سبيل إحداث تغييرات جذرية في بنيتها؛ لكي تصبح الأداة الرئيسة للنظام التربوي؛ لتحقيق أهدافه (٩).

خاتمة

تعليمنا لا يساهم في عملية بناء المواطنين عقليًا ووجدانيًا من خلال إكسابهم المعارف والقيم والاتجاهات، وتنمية قدراتهم حتى يصبحوا مواطنين منتمين مبدعين ومشاركين، فقد عجز عن تحقيق ذلك، وأضحى منتجًا لثقافة التخلف بانتشار الأمية، وتشجيع الانقطاع، وتسرب المتمدرسين، وإكساب المتعلمين اتجاهات سلبية نحو العمل اليدوي المنتج، والمبادرة والمشاركة والتعاون والتضامن.

إن كل إصلاح أو تعديل في السياسة التربوية يجب أن يبنى على أساس من التقويم؛ تقويم العملية التربوية التعليمية في إطارها الاجتماعي الشامل؛ لأن الرغبة في الإصلاح لا تكون لذاتها، وإنما تنشأ عن اقتناع بأن الوضع القائم لا يساير التطور المرغوب، ولا يلبي الحاجات، وأن الإصلاح هو الوسيلة التي تصحح، وتيسر الأمور لتحقيق الأهداف المرجوة.

الهوامش

١. الجلال، عبدالعزيز عبدالله، كتاب تربية اليسر وتخلف التنمية، الكويت، المجلس الوطني للثقافة، ١٩٨٥م، سلسلة عالم المعرفة عدد ٩١، ص١٣٠.
٢. النجيحي، محمد لبيب، الأسس الاجتماعية للتربية، بيروت، دار النهضة العربية، ص ٣٧.
٣. وزارة التربية الوطنية: نحو نظام تربوي جديد، ١٩٨٠م، ص١٨.
٤. اليونسكو تقرير عن التربية في العالم، ١٩٩١م، باريس، ١٩٩١م، ص٨١.
٥. إدريس الخرشاف: مقال منشور بجريدة العلم ١٤١٧/٣/٢هـ.
٦. رواه البخاري ومسلم والدارمي وابن ماجه وأحمد.
٧. مهداد، الزبير: مقال آفة الأمية في البلاد الإسلامية، جريدة العلم (الفكر الإسلامي) ١٨ أكتوبر ١٩٩٩م.
٨. الميثاق الأخلاقي لمهنة التربية والتعليم، الصادر عن وزارة التربية والتعليم بقطر عام ١٩٧٩م.
٩. الخوالدة محمد وفريد أبو زينة، دور كليات التربية في تطوير التعليم السابق للتعليم العالي، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، عدد٢٢، ص ١٦١.



الموسوعة البريطانية
الوسيلة الاستشراقية الجديدة

وليد بليهش محمد العمري

المدينة المنورة ـ السعودية

لو سألنا أحد المتخصصين السؤال الآتي: ما الوسيلة الاستشراقية الأكثر خطورة؟ لقال دون تردد: "الكتاب". وهذا حق.

فالكتاب هو أكثر الوسائل الاستشراقية تقليدية وحضوراً، بل أيضاً هو الكتاب المتخصص الذي لا تسهل قراءته من قبل عامة الناس، مما يجعل أفكاره، ولاسيما الأكثر خطورة منها ـ أي تلك المدعومة بتحليلات نقدية، يفهم منها التقصي النقدي والقراءة المستفيضة، وإن لم تكن في حقيقة الأمر سوى آراء جامحة ـ محصورة في تلك الكتب عدا ما تتلقفه وسائل الإعلام من قشور وتصويرات كاريكاتورية مبالغة ينفر منها العقل الناقد.

هذه إجابة مريحة لنا بعض الشيء، ولكن بم سنشعر لو قال لنا أحدهم: إن الوسيلة الاستشراقية التقليدية هي كتب ذوي الاختصاص حقاً، ولكن هناك وسيلة أوطأ كنفاً وأقرب للقبول من قبل من يبحثون عن المعلومة المرجعية السهلة الموثوقة، وأقصد بها دوائر المعارف، ذلك أن كتّابها عادة ينتخبون من أهل الاختصاص الذين حازوا على أعلى الجوائز العلمية في تخصصاتهم.

ودوائر المعارف هي مراجع متأتية وموثوقة فعلاً، فهي تحوي موادَّ عادة تكون مرتبة ترتيبًا هجائياً، ومذيلة بفهارس تسهل على القارئ الوصول إلى



المعلومة المنشودة بسهولة، وعادة يكون هناك مواد تتحدث عن الإسلام لكونه من أشهر الديانات العالمية، وأبعدها أثراً، ومن أكثر هذه الدوائر انتشاراً، وأوفرها حضوراً وموثوقية دائرة المعارف البريطانية Encyclopedia Britannica. وعندما طُلب مني أن أبحث فيما تقوله دوائر المعارف العالمية عن رسول الرحمة إلى البشرية جمعاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لاحت لي عدة أسماء، وهي: الموسوعة العبرية Encyclopedia Judaica، ولكنني استبعدتها من قائمة المبحوثات؛ لأنها لابد متحاملة بسبب الإرث العدائي القديم بين الديانتين الذي سيستشعره محررو الموسوعة؛ ثم فكرت في موسوعة الإسلام Encyclopedia of Islam، التي أصدرتها دار بريل الشهيرة بهولندا، وحرّرها عدد من المستشرقين، واستبعدتها أيضاً؛ لأنها موسوعة تستهدف المتخصصين، وستظهر فيها لا محالة آراء المستشرقين بجلاء؛ ثم توجهت تلقاء الموسوعات العامة التي تزخر بها الأسواق، ووقعت على موسوعة إنكارتا Encarta، الصادرة عن شركة

3 CDs

Encarta 2004

ENCYCLOPEDIA DELUXE

The #1 Best-Selling Encyclopedia Brand[1] That Changes with the Times



Microsoft

The #1 Best-Selling Encyclopedia Brand[1] That Changes with the Times

Encarta 2004

ENCYCLOPEDIA DELUXE 3 CDs



Includes:

- **EASY** and fast access to a world of information
- **TRUSTED** encyclopedia content with Web links selected by Encarta editors
- **RICH** and engaging videos, audio, and 2D/3D Virtual Tours, plus live streaming media
- **CONTINUAL** article updates to stay current[2]

The Complete, Easy-to-Use Encyclopedia for the Whole Family

Microsoft

بقراءة سريعة لما كتب تحت مادة "محمد: النبي ورسالته" يظهر اعتماد محرري الموسوعة المطلق على كتابات المستشرقين وبخاصة آراء مونتجمري وات – المستشرق المشهور صاحب الكتب "محمد في مكة"، و "محمد في المدينة" و"محمد: نبي ورجل دولة"

ميكروسوفت، ولكن عندما بدأت القراءة فيها وجدت أنها تفتقر إلى الرصانة العلمية؛ مما سيفقد بحثي جدواه، وعندها قررت الاقتصار على أم الموسوعات دائرة المعارف البريطانية.

وقرأت في الموسوعة مادة «محمد: النبي ورسالته»، ووجدت فيها بغيتي، إذ كتبت المادة بلغة علمية تتحاشى النقد المباشر في غالبها، ووجدت أن الآراء المطروحة هي آراء أهل الاختصاص، ولكنها محررة بطريقة سهلة يفهمها القارئ العادي. ومما زاد رغبتي في بحث هذه المادة في الموسوعة تنوع الوسائل التي تتوافر بها هذه الموسوعة: فهي متوافرة على أسطوانات ليزرية CDS، وعلى الإنترنت؛ لأنها تشترك فيها الجامعات والمدارس

إذا كان القائمون على الموسوعة سلموا قيادها لمجموعة ضغط ذات أهداف إيديولوجية ضيقة من أجل صياغتها بما يتوافق مع أغراضها من أجل المال. فلا نستغرب إذاً أن تكون الموسوعة موافقة ومداهنة للفكر العام المستقر عن الإسلام

التي تطلب من طلبتها اعتماد الموسوعة مرجعاً في بحوثهم، وتمت ترجمتها إلى بعض اللغات، وصدرت مختصرة، وخرجت منها كتب مخصصة لموضوعات بعينها. كل هذا التنوع إضافة إلى ما يعتقده الناس من الرصانة العلمية في الموسوعة سيزيد من انتشار موادها، وسهولة وصول الناس إليها.

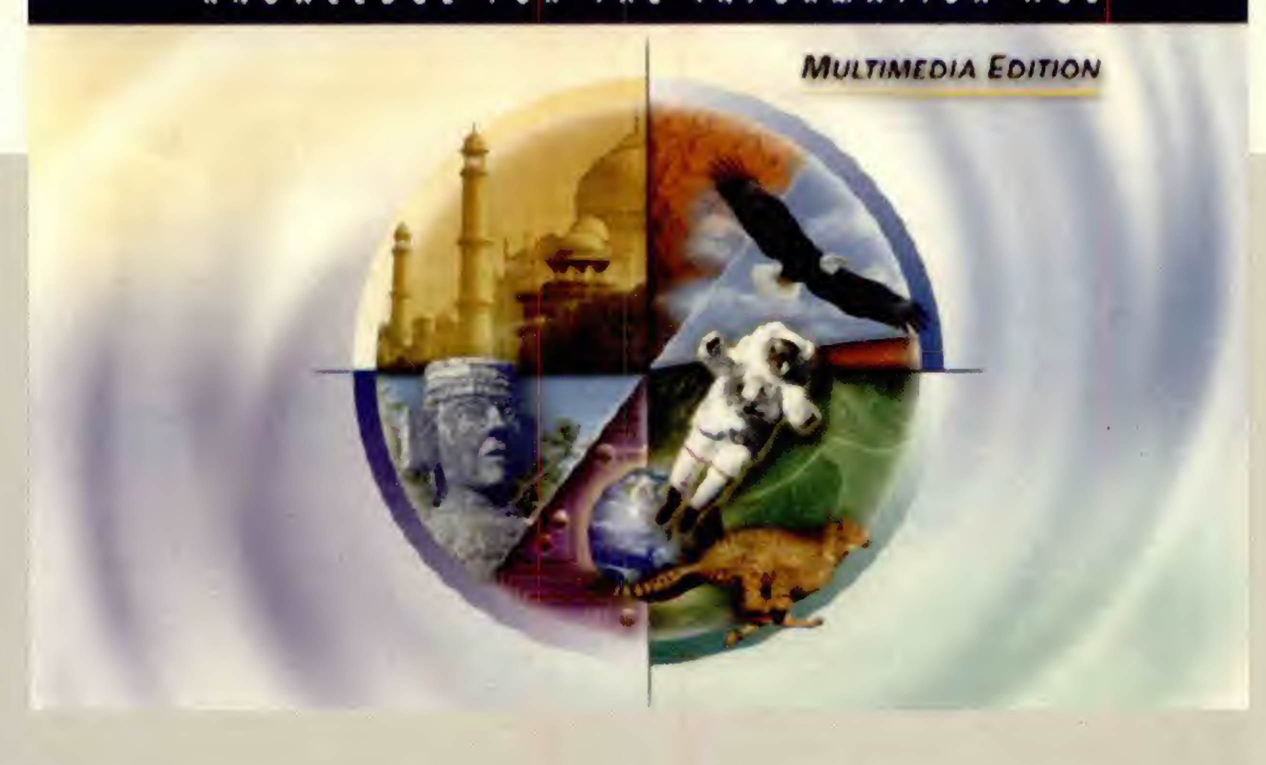
وقبل أن أبدأ بعرض الآراء التي وردت في الموسوعة عن محمد صلى الله عليه وسلم خصوصاً والإسلام عموماً، أرى أنه من الفائدة أن أضع الأمور في نصابها بإعطاء القارئ نبذة من تاريخ الموسوعة وسياستها التحريرية.

الموسوعة البريطانية: تاريخ وأرقام

صدرت الموسوعة البريطانية أول ما صدرت عام ١٧٦٨م، عندما أخرج ثلاثة ناشرين أسكتلنديين كتابًا معرفيًا شاملاً، وأسموه Encyclopedia Britannica أو الموسوعة البريطانية، ليكون بذلك أولى الموسوعات باللغة الإنجليزية المستمرة حتى اليوم ومنذ ذلك الوقت خرج منها ١٥ طبعة، وتعدّ الموسوعة البريطانية أكبر الموسوعات المكتوبة بالإنجليزية، وأوفرها شهرة؛ إذ تنتشر في القارات كافة في الوقت الراهن (١)، وأشملها وأفضلها توثيقًا للمعلومة (٢)، إذ حرصت منذ بدايتها الأولى على جذب أشهر العلماء، وكتب فيها عدد ممن حصلوا على جائزة نوبل بفروعها المختلفة.

وكانت قد طبعت أول مرة في أدنبرة بأسكتلندا في ثلاثة أجزاء تتألف من ٢٦٥٩ صفحة، صدرت كاملة عام ١٧٧١م، ثم طبعت بعد ذلك ١٥ طبعة صدرت الطبعة التي قبل الأخيرة من شيكاغو بأمريكا بعدما نقلت ملكيتها إلى وليام بنتون عام ١٩٤١م الذي ورّثها مؤسسة بنتون، وهي مؤسسة خيرية يدعم دخلُها قسمَ


ENCYCLOPÆDIA
BRITANNICA CD 99
KNOWLEDGE FOR THE INFORMATION AGE


MULTIMEDIA EDITION

الاتصال الجماهيري في جامعة شيكاغو (٣).

وصدرت الطبعة الخامسة عشرة والأخيرة عام ١٩٥٢م، وروجعت عام ١٩٨٥م، وهي لا تزال تراجع سنويا. ووصلت مبيعات الموسوعة البريطانية ذروتها عام ١٩٩٠م؛ إذ حققت مبلغا قدره ٦٥٠ مليون دولار (٤). وتقع الموسوعة اليوم في ٣٠ مجلدًا موزعة في ثلاثة أجزاء:

- الـ Propaedia، وهو عرض شامل لمحتويات الموسوعة في جزء واحد.
- الـ Micropaedia أو الموسوعة المصغرة، وهي ذات مداخل مختصرة تقع في ١٢ جزءًا، كتب على كعب كل جزء عبارة «مرجع متأت».
- الـ Macropaedia أو الموسوعة الشاملة، وفيها كتب عن موضوعات عامة ومهمة، كالإسلام، وتطور البشرية، بإسهاب كتبها علماء ومؤلفون مبرزون، وتقع في ١٧جزءًا، كتب على كعب كل جزء عبارة «المعرفة بعمق».

ومنذ ظهور الحاسوب كانت الموسوعة البريطانية سباقة إلى الاستفادة من الفرص التي تمنحها هذه التقنية الحديثة، فصدرت الموسوعة بالإضافة إلى النسخة الورقية على أسطوانات ليزر، شاملة لكل ما حوته النسخة الورقية، إضافة إلى آلاف الصور والوسائط المتعددة، كما شملت الأسطوانات معجم ماريام، وبستر، وموسوعة أمم العالم التي تحوي معلومات إحصائية.

ولم تغفل الموسوعة البريطانية أهمية الشبكة العالمية؛ لأنها نُشرت كاملة على الإنترنت، ويتحتم دفع اشتراك لمن يريد أن يتعمق ويقرأ المقالات كاملة ولكن البحث والنبذ المقتضبة مجاناً، وموقع الموسوعة البريطانية www.eb.com، كما هو في شكله الحالي تعد من أقوى مواقع جمع المعلومات العامة على الإنترنت فبمجرد إدخال كلمات مثل encyclopaedia؛ أي: موسوعة، أو background information؛ أي: معلومات خلفية عن موضوع ما تظهر الموسوعة البريطانية ضمن أولى النتائج.

ويشترك عدد من الجامعات العالمية والمدارس في الموقع لتوافر خدمة البحث به مجانا للطلبة الذين يريدون أن يكتبوا مقالة حول موضوع ما؛ فبالإضافة إلى آلاف الصور والأشكال التوضيحية والوصلات الكثيرة التي تم اختيارها بعناية من قبل محرري الموسوعة، وتفاعلها مع القضايا ذات الاهتمام





الواسع بإفراد صفحات تحوي معلومات موسعة تتعلق بتاريخ القضية وآراء المحللين حولها، يثق أساتذة الجامعات ومعلمو المدارس بقيمة المعلومة التي توفرها الموسوعة التي حققت بها شهرتها الواسعة عبر أكثر من ٢٠٠ عام من الانتشار.

السياسة التحريرية للموسوعة البريطانية

لا شك في أن مما ضمن هذا الاستمرار والحضور القوي للموسوعة البريطانية هو السياسة التحريرية التي انتهجتها منذ أول ظهور لها، ويلخص توم بانيلاس - مدير العلاقات العامة في الموسوعة البريطانية في اتصال شخصي جرى بيننا - سياسة الموسوعة التحريرية كما يأتي:

«هدفنا هو عرض جميع مجالات المعرفة الإنسانية متخذين موقفًا عالميًا شاملاً، أي: أننا نشمل الثقافات الإنسانية الكبرى كلها دون محاباة لثقافة بعينها. فنحن نسعى بجد لنكون متوازنين في طرحنا على قدر يتوافق مع الطبع البشري، وسعيًا في هذا الاتجاه نقدم جميع الموضوعات، وبالنسبة إلى الموضوعات التي يدور حولها الجدال، ويختلف عليها العلماء، فإننا نستنفد جهدنا في تلخيص جميع نقاط الجدال لقرائنا عوضًا من الإنحياز إلى رأي دون آخر.

وتتم مراجعة وإعادة تقويم جميع موادنا دورياً لتحديثها وتصحيحها ولمعرفة ما إذا كانت متوافقة مع آخر ما توصل إليه العلم، وتساعد شبكة من المستشارين العلميين تنتشر في جميع أنحاء العالم محررينا في هذه المراجعات، وتعاد كتابة المادة إذا دعا الأمر إلى ذلك، وإذا كان حجم التصحيحات كبيرًا قد نكلف أحدًا بكتابة مادة جديدة كلياً».

إذن فسياسة الموسوعة التحريرية هي الحيادية والشمولية والمراجعة والمتابعة المستمرة، ولكن إذا ما أردنا التجرد من هذا الرأي الصادر عن مدير العلاقات العامة في الموسوعة فيمكن التعرف إلى كثير من معالم السياسة التحريرية للموسوعة البريطانية من خلال قراءة متأنية لسطورها، ولا حاجة للباحث إلى أن يذهب بعيدًا في البحث لكي يستشفها، وبخاصة من يريد قراءة مادة ما من مواد الموسوعة قراءة نقدية خلاف ذلك الذي يريد الاطلاع لمجرد المعرفة، ويمكن توزيع سياسة الموسوعة على محورين عامين تنطوي تحتهما عدة عوامل:

أولاً: اختيار المعلومة بدقة، وانتخاب صفوة من الكتاب المتخصصين: عند تصفح مجلدات الموسوعة الموسعة يجد القارئ محلقا بكل موضوع بحث قائمة ببليوجرافية موزعة حسب مواد الموضوع، مثلا تندرج تحت موضوع «الإسلام» المواد: «الإسلام» و«محمد» و«القرآن» و«الحديث» و«اللاهوت والفلسفة» و«الصوفية الإسلامية» و«القانون الإسلامي» و«الأساطير والخرافات الإسلامية»، وتذيَّل كل مادة بثبت بأسماء المراجع والمصادر المهمة التي أخذت منها المادة المكتوبة في الموسوعة، ويمكن البحث فيها للاستزادة من الموضوع، وبالاطلاع على هذه القوائم

لم تغفل الموسوعة البريطانية أهمية الشبكة العالمية؛ لأنها نُشرت كاملة على الإنترنت. ويتحتم دفع اشتراك لمن يريد أن يتعمق ويقرأ المقالات كاملة. وموقع الموسوعة، كما هو في شكله الحالي، يعدّ من أقوى مواقع جمع المعلومات العامة على الإنترنت

يمكن لمختص في مجال ما أن يتأكد من أن الكتابات التي رُجع إليها معتمدة في مجال تخصصها، ولها قيمتها العلمية، وهي قد اختيرت من قبل أكاديمي بارز في مجاله، أو كاتب حاصل على أعلى الجوائز العالمية، كما ذكر آنفًا، وعادة يتخذ القارئ من هذه المصادر أول ما يرجع إليه للتوسع في بحثه.

ولكن عندما نقرأ القوائم الملحقة بموضوع الإسلام نجد أنها كلها كتابات مستشرقين معروفين من أمثال: نولدكه، ووات، وآربري، وأن الزاوية التي تناول منها كتاب المواد أو وجههم فريق التحرير إلى تناول الموضوع مجحفة بحق الإسلام وتاريخه.

ثانيًا: الموضوعية: وهي بناء المعلومة على الحقائق وتجريدها من الرأي والرؤية الشخصية للباحث. ويكاد يكون هناك إجماع عام في الدوائر العلمية، خاصة بعد الازدهار الكبير الذي تشهده النزعة النسبية التي ترى عدم إطلاق الحقائق، وبخاصة فيما يتعلق بوقائع التاريخ. السؤال الذي يطرح هو: من يكتب التاريخ؟ في الجامعات الغربية، على أن الموضوعية شيء نسبي، ومع أن الموسوعة البريطانية تبدو للقارئ غير المتمرس الذي يبحث عن معلومات خلفية ذات صبغة موضوعية حول موضوع ما، إلا أن غطاء الموضوعية ينكشف سريعًا أمام من هو على علم بالموضوع المطروح، وبخاصة فيما يتعلق بطروحاتها عن الإسلام؛ وذلك من خلال اختيار مراجع تكشف لنا الدراسات الاستشراقية الإسلامية أنها عمد في هذا المجال، وشكلت النظرة الغربية، وربما العالمية التشكيكية غير المحببة للإسلام، وهي، وإن كانت تبدو أعمالاً علمية رصينة، تستحق الرجوع إليها، واقتباس طروحاتها، إلا أنها أحادية النظرة، وتفتقر إلى العلمية والموضوعية، ويعوزها كثير من الإنصاف.

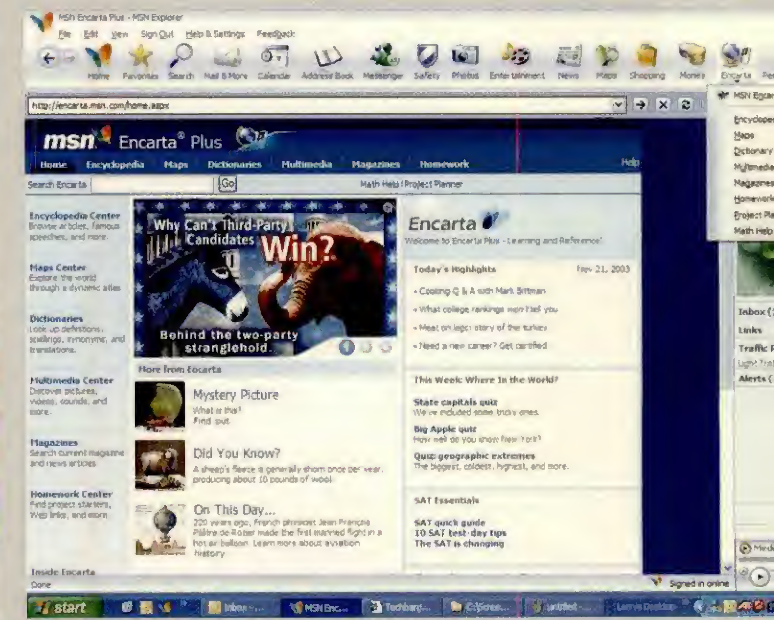
تتميز لغة الموسوعة البريطانية بالسهولة والسلاسة في صياغة الفكرة في عبارات يسهل تحليلها في ذهن القارئ وفهمها بغض النظر عن مستواه الثقافي. فهي تستخدم الكلمات المتداولة، وتتحاشى الألفاظ الغريبة والمتخصصة

ومما يزيد من فرص قبول مادة الموسوعة، والتأثر ببعض أفكارها اللغة التي كتبت بها تلك المواد، فهي قد صيغت بلغة يرى العقل الغربي أنها هي لغة العلم والموضوعية بعينها، وتبدو وكأنها لا تعطي تقريرًا نهائيًا ورأيًا حاسمًا قلما يجد القارئ فرصة كافية لكي ينفك من تأثيرها القوي، وآرائها شبه النهائية، وربما يعجز معها عن تكوين رأيه الخاص عن الموضوع المطروح، وعلى الرغم من هذا فمحصلة ما يكتب عن الموضوع وآرائه هي التي قد يخرج بها القارئ الذي يرى أنها هي بعينها رأي أهل العلم الذين يستحقون ثقته بهم.

ومن ملامح هذه اللغة ما يظهر جليًا في طريقتهم في النقاش والجدال التي تهدف إلى إقناع القارئ بوجهة نظر الكاتب، وهذه الطريقة تختلف بين الثقافات، ولاسيما الثقافتين العربية والإنجليزية الغربية. وهناك أسلوبان أساسيان لطريقة النقاش(٥)، وهما:

الجدال المستمر through-argumentation، والجدال المناقض counter argumentation. ووفقًا للأسلوب الأول يطرح المجادل رأيًا، ويستمر في دعمه حتى النهاية، ويرى كثير من منظري الاتصال بين الثقافات أن أسلوب الجدل المستمر هو الأسلوب السائد في الكتابات العربية، ولكن هذه النظرة بدأت تتغير نتيجة لتأثير حركة الترجمة الواسعة التي تشهدها الثقافة العربية، وأما الجدال





للموسوعة موقعها على شبكة الإنترنت

المناقض فيعمد بداية إلى ذكر الرأي المخالف، ربما بشيء من التقدير، ومن ثم دحض هذا الرأي بهدوء، وتقديم الأدلة المنطقية على موقف المجادل، وعادة يقدم المجادل بهذا الأسلوب تنازلاً مراوغًا false concession، أو اعترافًا بوجاهة الرأي الآخر لكي يوحي للقارئ بأنه فهم الرأي الآخر، ولكن بعد تفكير عميق، وبحث واستقراء للواقع وصل إلى نتيجة مخالفة، وهذا الأسلوب هو المتبع غالبًا في الأوساط العلمية الغربية، والموسوعة البريطانية لا تشذ عن طوق هذه اللغة العلمية، فتحت العنوان الفرعي «الشخصية والإنجازات» الذي كتب عن نبي الرحمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فرأيت الموسوعة تبدأ بالآتي:

«ورغم الإجحاف في حقه كثيرًا من قبل علماء أوربا القرون الوسطى - الذين لا تزال آراؤهم تحتفظ ببعض التأثير - أصبحت النظرة لمحمد أكثر موضوعية في القرن التاسع عشر، فبعض الأدلة ضده، مثل تواطئه في بعض الاغتيالات، وإقراره اغتيال بعض رجال قبيلة يهودية، أمور تاريخية لا يمكن تكذيبها».

فالموسوعة بعد أن تورد تنازلاً مراوغًا يرهف إليه سمع القارئ تذكر من الإجحاف ما قالت إنه شيء لا يحتفظ إلا بقليل من التأثير في الوقت الراهن.

ومن مظاهر هذه اللغة العلمية أيضًا اعتماد لغة التحاشي hedging، وهي لغة يحاول بها الكاتب تحاشي التصريح بالحقائق، وإعطاء انطباع بعدم الوضوح والتأكد، وتوظف هذه اللغة بالاعتماد على عدة وسائل

الموسوعة البريطانية ذات صيت وسمعة تزود القراء بالمعلومات بشتى الوسائل وفي شتى الأشكال (موسوعات معمقة، ومختصرة، وموسوعات للأطفال، وكتب تصدر عن الموسوعة في موضوعات محددة، وبلغات مختلفة)

منها صيغة المبني للمجهول مثل يُقال، ويُعتقد، والقارئ لا يعرف من الذي يقول أو يعتقد، أهو الكاتب نفسه أم أحد العلماء المتخصصين، وعبارات مثل: يبدو وربما، وصفات وتمييزات مثل: قليل، إلى حد بعيد، بشكل ما، وخلافها. ومع أن هذه اللغة هي اللغة السائدة في المراكز الأكاديمية الغربية؛ إذ تعدّ حجر زاوية في أي أطروحة دراسات عليا يراد أن يكتب لها تجاوز المناقشة بنجاح، إلاّ أن مجرد ذكر القول المُضعَّف يُرجِّحه على غيره دون التزام بما فيه من فكر. ومن مزايا لغة التحاشي أيضا جعلها الكاتب يبدو أقل تسرعا، وأكثر روية في قراءة معطيات الواقع، وكذلك إعطاؤها انطباعا بالتشكيك في الموضوع المطروح، وكل هذا يعتمد على الحالة الخاصة معرض الحديث.

وبالإضافة إلى هذا تتميز لغة الموسوعة البريطانية بالسهولة والسلاسة في صياغة الفكرة في عبارات يسهل تحليلها في ذهن القارئ وفهمها بغض النظر عن مستواه الثقافي، فهي تستخدم الكلمات المتداولة، وتتحاشى الألفاظ الغريبة والمتخصصة، وتتميز جمل مواد الموسوعة بالقصر؛ إذ تشكل في جملتها وحدات معنوية semantic chunks مما يجعل القارئ ينخرط في القراءة، ويتتبع الأفكار المطروحة دون تشويش.

الموسوعة البريطانية تبدو للقارئ غير المتمرس الذي يبحث عن معلومات خلفية ذات صبغة موضوعية حول موضوع ما. إلا أن غطاء الموضوعية ينكشف سريعًا أمام من هو على علم بالموضوع المطروح، وبخاصة فيما يتعلق بطروحاتها عن الإسلام

سياسة الموسوعة التحريرية هي الحيادية والشمولية ولكن إذا ما أردنا التجرد من هذا الرأي الصادر عن مدير العلاقات العامة في الموسوعة فيمكن التعرف إلى كثير من معالم السياسة التحريرية للموسوعة البريطانية من خلال قراءة متأنية لسطورها

مادة محمد في الموسوعة البريطانية

تقع مادة «محمد: النبي ورسالته» في الجزء ٢٢ من الموسوعة، في القسم الموسع تحت مدخل «محمد ودين الإسلام» تحت موضوع «الإسلام»، وكتبت المادة في الصفحات من ١ إلى ٥، وهي صفحات من القطع الكبير كتبت فيها المادة بالحرف الصغير في عمودين، وعند سؤالي عن كاتب المادة ردّ توم بانيلاس مدير العلاقات العامة بالموسوعة:

الكاتب الأساسي لمادة محمد هو وليام مونتجمري وات، أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة أدنبرة بين عامي ١٩٦٤ و ١٩٧٩م، مؤلف: «محمد: نبي ورجل دولة»؛ «مفكر مسلم: دراسة للغزالي»؛ والمحرر المشرف على «دراسات إسلامية» Islamic Surveys.

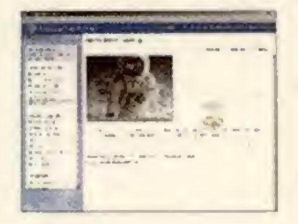
ولكن حياة محمد وتركته التي تم التعرض لها أيضا في مقالتنا الطويلة ساهم فيها عدد من العلماء منهم: فضل الرحمن، أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة شيكاغو بين عامي ٩٦٩ و١٩٨٨م، ومؤلف «الإسلام والآخرون». ومحسن س. مهدي، أستاذ اللغة العربية بجامعة هارفارد ومؤلف «فلسفة التاريخ عند ابن خلدون»، وآن ماري شيميل، أستاذة سابقة للثقافة الإسلامية - الهندية بجامعة هارفارد، ولها «جناح

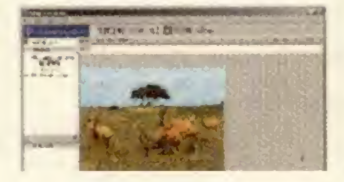
جبريل» (٦) و«الخط الإسلامي»، وغيرهما.

وأوردت الموسوعة قائمة بالمراجع والمصادر التي استقت منها ما كتب في الموسوعة، وهذه ترجمتها:

محمد. أعمال مرجعية: ومونتجمري وات «محمد في مكة» (١٩٥٣) و«محمد في المدينة» (١٥٦، وأعيد طبعه في عام ١٩٧٧م)، وهما معالجة شاملة اختصرا في «محمد: نبي ورجل دولة» (١٩٦١م، وأعيد إصداره في عام١٩٧٤م) بواسطة المؤلف؛ فرانتس بول «حياة محمد» الطبعة الثالثة، وهو ترجمة ألمانية لعمل نشر بالدانمركية عام ١٩٠٣م ولا يزال يعدّ موثوقاً به؛ تور أندريه «محمد: الرجل وعقيدته» ترجمة ثيوفل منسل عام ١٩٣٦م، وأعيد طبعه في عام ١٩٧١م) ويهتم بالجوانب الدينية؛ ابن هشام «حياة محمد: ترجمة سيرة رسول الله لابن إسحاق» (ترجمة الفريد جيّوم) (١٩٥٥م وأعيد إصداره في عام ١٩٦٧م)، وهي السيرة العربية الأكثر أهمية؛ نابيا أبوت «عائشة: محبوبة محمد» (١٩٤٢م وأعيد طبعه في عام ١٩٣٧م) وهو عمل علمي رصين؛ جون باقوت كلوب «حياة محمد وزمانه» (١٩٧٠م)، وهو عمل ذو شعبية واسعة بني على معرفة المؤلف بالحياة العربية.

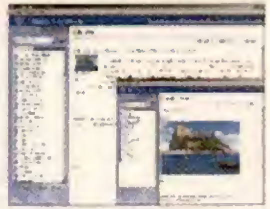
المصادر الرئيسة: القرآن بطبيعة الحال يحتوي على مواد أساسية معاصرة عن محمد، ولكن من الصعب تقويمها دون معرفة تاريخية أوسع. المجموعات الكبيرة للأحاديث، أو ما يروى حول ما قاله محمد وما فعله، يثار حولها جدل تاريخي، وخلافا لهذا فهي نادرًا ما تعطي شيئًا ذا بال عن حياة محمد. والمصادر الرئيسة ذات القيمة التاريخية هي السير المبكرة (من القرنين ٨ و٩) وبخاصة سيرة ابن هشام كما صاغها ابن إسحاق، ومغازي الواقدي، مع المواد المكملة التي سجلها زميله ابن سعد، وهذا يحتوي على مواد عن الصحابة، وعن علاقة الرسول بهم وعمله معهم. وحفظت بعض الوثائق مع عهد محمد في السير المبكرة، وأهمها ما يطلق عليه ميثاق

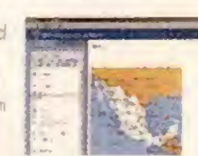




إصدارة عام ٢٠٠٣م

دوائر المعارف مراجع متأنية وموثوقة فعلاً. فهي تحوي موادَّ عادة تكون مرتبة ترتيبًا هجائياً، ومذيلة بفهارس تسهل على القارئ الوصول إلى المعلومة المنشودة بسهولة





المدينة. وهو مدون في ترجمة جيّوم لسيرة ابن إسحاق المذكورة آنفًا، والوثائق الأخرى موجودة في كتاب وات «محمد في المدينة».

وبقراءة سريعة لما كتب تحت مادة «محمد: النبي ورسالته» يظهر اعتماد محرري الموسوعة المطلق على كتابات المستشرقين وبخاصة آراء مونتجمري وات. المستشرق المشهور صاحب الكتب «محمد في مكة»، و «محمد في المدينة» و«محمد: نبي ورجل دولة». وهذا أمر سيلقي ظلاله على الطروحات الواردة في المادة خاصة إذا أخذنا في الحسبان أن الاستشراق وليد حركة الجدل التنصيري ضد الإسلام ونبيه، وأن ميلاده ونشأته في حضن اللاهوت النصراني والإيديولوجية الغربية، قد أخضعت مناهج المستشرقين لتلك الإيديولوجية؛ مما أدى إلى فساد قواعد البحث العلمي، والتغاضي عن المنهجية العلمية، وقلب أصول البحث العلمي رأسًا على عقب، ووضع الافتراضات المسبقة التي توجه عملية البحث (٧). وهذا ما سنحاول الوقوف عليه في المحور الآتي.

عندما نقرأ القوائم الملحقة بموضوع الإسلام نجد أنها كلها كتابات مستشرقين معروفين وأن الزاوية التي تناول منها كتاب المواد أو وجههم فريق التحرير إلى تناول الموضوع مجحفة بحق الإسلام وتاريخه

منهج مونتجمري وات في دراسة السيرة النبوية

كتب وات في مقدمة كتابه Muhammad at Mecca: أي «محمد في مكة» تعريفًا بمنهجه الذي اتبعه في دراسة السيرة النبوية، وأوضح أن دراسته موجهة أساسًا إلى المؤرخين، وأنه حاول التزام الحياد في القضايا الخلافية، ويحاول وات طمأنة المسلمين إلى أنه قد حاول، مع التزامه بقواعد البحث التاريخي الغربية، ألا يقول شيئًا يقتضي رد مبدأ من مبادئ الإسلام الأساسية، وعلى الرغم من هذا الادعاء يرسم الأستاذ عبد الله محمد النعيم (٨) ملامح منهج وات ويفصّله وفقًا للنقاط الآتية:

- القفز على نتيجة، فحواها أن النبي صلى الله عليه وسلم تأثر بالبيئة من حوله وبأفكار ورقة بن نوفل المسيحية واليهودية، وحاول وات جهده إظهار مواطن يزعم أنه انعكس فيها تأثر الرسول صلى الله عليه وسلم بما حوله على الإسلام ليثبت أنه جاء به من تلقاء نفسه.

ـ يلقي وات بظلال المنهج العلماني التشكيكي الذي لا يؤمن بالغيب ولا بالمعجزات على السيرة النبوية، فهو ينكر حدوث أي شيء خارق للعادة، مثل حادثة شق صدره صلى الله عليه وسلم، وحدوث الوحي، وغيرهما من الآثار الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، إذ يقول بشأنها: «إن هناك العديد من القصص ذات الطابع الديني يكاد يكون من المتيقَّن أنها ليست حقيقة من وجهة نظر المؤرخ العلماني الواقعية» (٩).

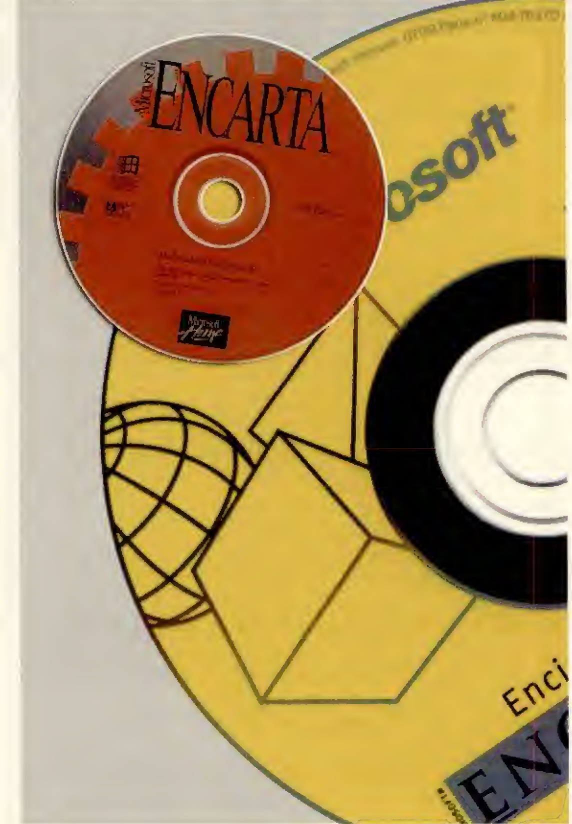
ـ يعمد وات إلى المنهج المادي، ويذكر أن المؤرخ أكثر إدراكًا للعوامل المادية الكامنة وراء التاريخ، وأن مؤرخ منتصف القرن العشرين سيثير أسئلة كثيرة عن الجذور الاقتصادية والاجتماعية والسياسة للحركة التي بدأها محمد، من غير أن يهمل أو يقلل من شأن الجوانب المعتقدية (١٠)؛ ولذا نراه يعزو ظهور الدعوة إلى الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي سادت في مجتمعه صلى الله عليه وسلم، ويفسر الغزوات الإسلامية من هذا المنطلق.

ـ يسقط وات الرؤية الغربية المعاصرة على أحداث السيرة، فنراه يطبق نظرية تدرج تطور الأديان أياً كانت على الدين الإسلامي، فيتحدث عن توحيد غامض في بداية الدين الإسلامي، ويتدرج ليصل إلى ما نعرفه اليوم.

ـ التشدد في اتّباع منهج الإقصاء، واعتماد الضعيف والشاذ، إذ يسرف وات في نفي الروايات الإسلامية، فلا تكاد رواية إسلامية تنجو من تضعيفه لها دون إعطاء مسوغ واضح لإقصاء هذه الرواية أو تلك، ونراه في المقابل يعتمد روايات ضعيفة وشاذة تحمل في طياتها التشكيك في دوافع وقائع السيرة وأهدافها، ليبين أنه موضوعي يعمد إلى المنطق دون الإيمان.

ـ الإكثار من منهج البناء والهدم، فلا تخلو بعض جوانب السيرة من الثناء في كتابات وات الذي سرعان ما يتبعه نقداً، فمثلاً نراه يسهب في الحديث عن حكمة النبي صلى الله عليه وسلم ليقول: إن من له مثل هذه الحكمة لم يكن ليدعو قيصر الروم وكسرى فارس للدخول في الإسلام ليلفت انتباههم بذلك إلى الخطر الذي يشكله على ملكهم (١١). ولكي تكتمل الصورة عن منهج وات، يجدر بنا الحديث عن المصادر التي اعتمد عليها في دراسته للسيرة النبوية، فقد رجع إلى مصادر موثوقة، مثل: ابن هشام، والطبري، وابن سعد، فأخذ منها ما أخذ، ورد منها ما رد، وشكّك في كثير من الروايات الواردة فيها، وكذلك رجع إلى دراسات

تقنيات متعددة في خدمة الموسوعة



غلاة المستشرقين من أمثال ب. هـ. لامانس، وجوزيف شاخت، وليون كاتياني، ورتشارد بي، وتيودور نودلكه، وبروكلمان، ويصل به التأثر ببعضهم إلى القول: «إن مخالفة جولد زيهر ليست بالأمر السهل» (١٢).

وبما أن الموسوعة البريطانية استكتبت وات ليشارك فيها بمادة «محمد: النبي ورسالته»، فليس من الغريب أن يؤثر منهجه في ما كتب في المادة، وأن تعكس كثيرا من آرائه وبخاصة في الافتراءات والشبه الآتية:

الشبهة الأولى: التشكيك في المصادر العربية.

إصدارة عام ٢٠٠٣م



الشبهة الثانية: التشكيك في نزول الوحي.

الشبهة الثالثة: التفسير المادي لوقائع السيرة.

الشبهة الرابعة: دعوى تأثر الإسلام بالبيئة الوثنية.

الشبهة الخامسة: دعوى خصوصية الإسلام للعرب.

الشبهة السادسة: دعوى نبوغ الرسول السياسي وهمته العالية ساعدت على نشر دينه أكثر من كونه نبياً مؤيداً.

الشبهة السابعة: التشكيك في طبيعة علاقة الرسول بالأنصار.

الشبهة الثامنة: دعوى اضطهاد الرسول لليهود الفاعلين في المجتمع المدني.

الشبهة التاسعة: حمل غزوات الرسول على وجه مادي نفعي صرف.

الشبهة العاشرة: التشكيك في مقدار اضطهاد مشركي مكة للمسلمين.

وهذه شبه استشراقية واهية، تم تفنيدها في كثير من الكتابات والبحوث (١٣).

الوجه الآخر للموسوعة البريطانية

ليست لغة التحاشي والجدال المناقض والتعريفات والتركين التي يعترف بها الغرب لغةً للرصانة العلمية، والتي وظفتها الموسوعة بدقة في كتابة المادة قيد البحث، إلا صياغة قريبة من الذائقة الغربية المعاصرة، وحجابًا لا يلبث أن ينكشف وتبرز من ورائه مناهج التشكيك والتفسير المادي والميكافيلية التي طبعت وسمها على الفكر الاستشراقي المعاصر.

وهذه العلاقة لا تتجلى للقارئ الغربي غير المتخصص الذي تستهدفه الموسوعة قبل أي شخص آخر؛ ويورد الدكتور مصطفى السباعي من ضمن أهم وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم، ونشر أفكارهم، إعداد الموسوعات المتخصصة (١٤)، وهم أول من يستكتب في

الموسوعات العامة الغربية فيما يخص العرب والمسلمين، وكل ما له صلة بهم، وذلك لاعتقاد القائمين على هذه الموسوعات الموضوعية والحياد في هؤلاء من جهة، ولجهلهم بحقيقة الإسلام وجوهره من جهة، أو لرغبتهم الخاصة في التعرض للإسلام وأهله.

وتاريخ الموسوعة البريطانية ذات الصيت والسمعة التي تزود القراء بالمعلومات بشتى الوسائل (ورقية، أسطوانات ليزرية، الشبكة العالمية) وفي شتى الأشكال (موسوعات معمقة، ومختصرة، وموسوعات للأطفال، وكتب تصدر عن الموسوعة في موضوعات محددة، وبلغات مختلفة) لم يكن دائمًا مذيلاً بالثناء والذكر الجميل، وبخاصة الطبعة الرابعة عشرة التي درسها جوزيف مككيب Joseph McCabeفي كتابه المعنون «أكاذيب وأباطيل الموسوعة البريطانية» مقارنة مع الطبعة الحادية عشرة، وكشف مككيب فيه أن الطبعة الرابعة عشرة حررت بإشراف اتحاد وستمنستر الكاثوليكي الذي نشر في تقريره السنوي عام ١٩٢٨م ما يأتي: «لقد تمت مراجعة الموسوعة البريطانية أخذا في الاعتبار الحد من الأمور المتحفظ عليها، من وجهة النظر الكاثوليكية، وإضافة ما هو صحيح وموضوعي، ولقد تمت دراسة الأجزاء الثمانية والعشرين كلها، وتمت الإشارة إلى المواضع المتحفظ عليها وذكرت أسباب حذفها أو تعديلها، وهناك أسباب وجيهة لأملنا في أن يجد القراء هذه الطبعة أكثر صوابًا وموضوعية بكثير من سابقاتها»! (١٥).

الهوامش والمراجع

١. كان المسلمون كعادتهم سباقين إلى تدوين كتب يمكن إطلاق اسم موسوعات عليها؛ وذلك منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، ومنها «الفهرست» لابن النديم، و«إحصاء العلوم» للفارابي. ولم تبدأ عناية الأوربيين بتأليف دوائر المعارف إلا في القرن ١٨ الميلادي، ونتج من هذه العناية موسوعات تبلغ كل منها ما يزيد على ١٠٠ مجلد مثل دائرة المعارف الفرنسية الكبرى التي بلغ عدد مجلداتها ١٦٦، بالإضافة إلى ٤٠ أطلس وخريطة، ودائرة دي لاندر de Landerالإنجليزية التي تشمل ١٣٢ مجلدًا، وقد صدرت أجزاؤها تباعا منذ عام ١٨٢٩م حتى عام ١٨٤٦م. (محمد جمال الدين، «الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية»، ص ٤ - ٥).

٢. وتأتي بعدها في المرتبة من حيث الكبر الموسوعة الأمريكية The Ency-clopedia Americana.

3- Evens & Wurster (2000) Order Blown to Bits: How the New Econom-ics of information Transforms Strategy, Hravard Business School Press.

٤. إفانز وورستر، Order Blown to Bits.

5- Hatim & Mason (1997) The Translator as Communicator, London Routledge. Pp. 126-127

٦. جناح جبريل، عنوان ديوان للشاعر الباكستاني محمد إقبال، وآن ماري شيميل قامت بترجمة الديوان إلى الإنجليزية.

٧. محمد خليفة حسن، أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: ١٤٢١هـ، ص١٣٨. وعبد العظيم الديب، «المنهج عند المستشرقين»، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (بجامعة قطر)، العدد السابع: ١٤٠٩هـ، ص٢٢٥ - ٢٧٤.

٨. عبدالله محمد النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية، دراسة تاريخية لآراء وات، وبروكلمان، وفلهاوزن بالرؤية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا: ١٤١٧هـ، ص ٣٨ - ٤٧.

٩. مونتجمري وات، Muhammad at Mecca، ص ٣٢.

١٠. مونتجمري وات، Muhammad at Mecca، ص ٣٣.

١١. مونتجمري وات، Muhammad at Medina، ص ٤١ - ٤٢.

١٢. مونتجمري وات، Muhammad at Mecca، ص ٨٢.

١٣. محمد مهر علي، Sirat al-Nabi and the Orientalsits، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٩٩٧م.

- عبد الرحمن أحمد سالم، «قراءة نقدية في كتابات مونتجمري وات في السيرة النبوية»، مجلة المسلم المعاصر، السنة الحادية والعشرون، العدد ٨٢، رجب - شعبان - رمضان ١٤١٧هـ، ص ٨٦ - ١٦١.

وعلى الرغم من إعلان الاتحاد أنه لم يتدخل في كتابة طبعة الموسوعة الرابعة عشرة الذي أصدره بعد ردة الفعل التي تُلُقّي بها التقرير (١٦)، يورد مككيب في كتابه الذي خصصه للرد؛ لكشف بطلان هذا الإعلان أمثلة كثيرة جدًا على تدخل الاتحاد الكاثوليكي في تحرير الموسوعة، وبخاصة في المقالات التي كتب في آخرها الحرف x: أي مجهول، اختصارًا لاسم المؤلف، بل حتى إن مادة «محمد» التي كتبت في ١٢ صفحة في الطبعة الحادية عشرة (١٧) اختُزلت في ٣ صفحات فقط، ويقول مككيب: إن سبب هذا هو ضمان مبيعات أكثر للموسوعة!

وإذا كان القائمون على الموسوعة سلموا قيادها لمجموعة ضغط ذات أهداف إيديولوجية ضيقة من أجل صياغتها بما يتوافق مع أغراضها من أجل المال، فلا نستغرب إذا أن تكون الموسوعة موافقة ومداهنة للفكر العام المستقر عن الإسلام الذي صاغته كتابات المستشرقين (١٨) ونشاط وسائل الإعلام المعادية للإسلام.

وإذا عرفنا أن الموسوعة قامت بمراجعة ٣٥٪ من موادها (١٩) خلال العامين الماضيين، إلا أنه من اللافت للانتباه أن محرري الموسوعة لم يلتفتوا إلى الأخطاء الفاضحة التي وقعوا فيها فيما يخص الإسلام، وبخاصة الافتراء العظيم على نبي الرحمة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، والشبهات والطعونات الكثيرة التي ساقتها الموسوعة تحت مادة «القرآن» (٢٠).

- جعفر شيخ إدريس، «منهج مونتجمري واط في دراسة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم»، بحث منشور في الجزء الأول من كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، ١٤١٥هـ، ص ٢٠٥. ٢٤٧.
- عبدالله محمد النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية: دراسة تاريخية لآراء وات، وبروكلمان، وفلهاوزن بالرؤية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ١٤١٧هـ.
- عماد الدين خليل، «المستشرقون والسيرة النبوية: بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتجمري وات»، بحث منشور في الجزء الأول من كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، ١٤١٥هـ، ص ١١٣. ٢٠١.
- وليد بليهش العمري، «السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية»: دراسة تحليلية لما كتب تحت مادة «محمد: النبي ورسالته»، بحث مقدم في ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، التي عقدها مجمع الملك فهد في الفترة من ١٥ - ١٤٢٥/٣/١٧هـ.

١٤. مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٥هـ، ص ٢٦ - ٢٨.

١٥. الفقرة الثانية، ص ١٨ من تقرير اللجنة الفرعية لليقظة والاحتراز vigi-lance sub-committee من التقرير السنوي الحادي والعشرين لاتحاد وستمنستر الكاثوليكي.

١٦. جريدة London Times، الصفحة الأولى، بتاريخ ٩ أغسطس ١٩٢٩م.

١٧. قمت بمراجعة مادة «محمد» Mahomet في الطبعة الحادية عشرة التي صدرت عام ١٩١١م، ووجدتها ملأى بالأباطيل والفرى، بل كما يظهر من تهجية اسم نبينا الكريم في هذه المادة فهي تنتمي أكثر ما يكون إلى الفكر الاستشراقي الذي ساد في العصور الوسطى، والموقع لمن أراد الرجوع إليه هو: http://1911encyclopedia.org.

١٨. يذكر الدكتور أكرم ضياء العُمري، «موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية»، مجلة المسلم المعاصر، ص ٥٥ - ٥٦، أنه ما بين عامي ١٨٠٠ و١٩٥٠م نُشر ستون ألف كتاب عن الإسلام، أي بمعدل أكثر من كتاب كل يوم! هذا بالإضافة إلى المجلات والمؤتمرات وبرامج وسائل الإعلام المختلفة.

١٩. كتالوج الموسوعة البريطانية لعام ٢٠٠٤م، ص٤.

٢٠. قام د. فضل حسن عباس بتفنيد الشبهات الكثيرة التي ذكرتها الموسوعة فيما يخص محكم التنزيل في كتابه: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية: نقد مطاعن ورد شبهات، دار البشير، عمّان، ١٩٨٩م.



فيلة: آثار نجت من الغرق

خالد خلف زيدان

المنيا ـ مصر

عندما تتعانق المياه الزرقاء مع الجزر الصغيرة ذات الصخور الحمر والسود، تبدو فِيِّلة بآثارها التليدة. وسحرها البهيج درة متألقة وسط عقد تنتظم حباته مياه النيل.. لذلك ليس غريبًا أن وصفها الأثري الشهير جيوفاني بلزوني فور وصوله إليها قبل أكثر من قرن ونصف القرن بقوله: "وقفت لأشاهد منظرها الجميل. فلما شاهدتها وجدت جمالها فوق ما يتصوره العقل".

الاسم بين الحقيقة والأسطورة

تقع جزيرة فِيِّلة في مجرى نهر النيل جنوب أسوان بالقرب من الجندل الأول بين خزان أسوان والسد العالي، وهي كتل جرانيتية غطتها رواسب طمي النيل على مر العصور.

وقد أطلق على الجزيرة في نهايات العهد الفرعوني اسم «حت خنت» أي حصن الجنوب، بسبب وقوعها على حدود مصر الجنوبية. وفي العهد القبطي أطلق عليها اسم «بيلاخ»، وتعني الحد أو النهاية. كما أطلق عليها في العصرين اليوناني والروماني اسم «فِيِّلة» أو «فيلاي» ومعناه الحبيبة. أما الاسم العربي لها فهو «أنس الوجود» نسبة إلى الأسطورة أنس الوجود في التراث الشعبي التي تذكر أنه كان في بلاد أحد ملوك العرب في إقليم مصر فتى جميل الصورة، طيب القلب، جريء مقدام، اسمه أنس الوجود. وكان لوزير هذا الملك ابنة شابة بلغت حد الفتنة في جمالها، وكان اسمها «زهرة الورود»، وقد حدث أن التقى الفتى بالفتاة فوقع كل منهما في



حب الآخر، وتعددت لقاءاتهما حتى وشى أهل السوء بالحبيبين إلى الوزير الذي اشتد غضبه، وخشي الفضيحة، وصمم أن يبعد ابنته عن العاصمة، وظل يبحث عن مكان حصين يبعدها فيه، حتى أخبروه عن تلك الجزيرة «فيلة» حيث ضخامة مبانيها ومنعة حصونها التي لا تسمح بمن يسجن فيها بأن يخرج بسهولة. ولما طالت غيبة زهرة الورود أشقى الوجد أنس الوجود، وأضناه بعاد المعشوقة، فكان أن هجر البلاط، وهام على وجهه يسأل من يلقاه عن الحبيبة المبعدة. وظل يطوف على ضفاف النيل متنقلاً من بلد إلى آخر حتى وصل إلى صحراء نائية حيث لقي أحد الرهبان فأخبره عن مكانها فأجد الفتى السير حتى وصل إلى ضفة النيل التي تقابل الجزيرة ورأى عن بعد جدران معبد إيزيس الذي تسجن بداخله. ولكن ليس العبور سهلاً، فمياه النهر تغص بالتماسيح، وتوقف الحبيب المشتاق يكتم عجزه، والحسرة تعتصر فؤاده، حتى إن أحد التماسيح الكبيرة أخذته الشفقة عليه فقرر أن ينقله جزاء عطفه على الحيوانات التي



جوسق تراجان

صادفها في الصحراء. ولما وصل الجزيرة - وبينما هو يبحث هنا وهناك - أخبره أحد الطيور أن حبيبته قد هجرت المبنى سرًا، إذ نزلت من نافذة حجرتها على حبل ضفرته من ملابسها، فأخذ الفتى يندب حظه، وظل يتنقل من مكان إلى مكان حتى جمع الله بينه وبينها، وتوسط أهل الخير لدى الوزير الغاضب حتى رضي أخيرًا بزواجهما.

بصمات بطلمية بنقوش فرعونية

قام أول بناء في فيلة قبل ثلاثة وعشرين قرنًا، وبالتحديد في عهد نختانبو الأول (٣٧٨ - ٣٦٠ ق.م) أبرز ملوك الأسرة الفرعونية الثلاثين. وكانت الجزيرة آنذاك حديثة ناضرة - في قلب دائرة متسعة من الجبال المقفرة - يشمخ وسطها ذلك المعبد الذي صنعه نختانبو للإلهة إيزيس التي أسبغت على الجزيرة شهرة واسعة، فما

أطلق على جزيرة فيلة في نهايات العهد الفرعوني اسم "حت خنت" أي حصن الجنوب. وفي العهد القبطي أطلق عليها اسم "بيلاخ". وتعني النهاية. كما أطلق عليها في العصرين اليوناني والروماني اسم "فيَّلة" ومعناه الحبيبة. أما الاسم العربي لها فهو "أنس الوجود"


نقوش متألقة على معبد إيزيس

كادت تمر خمسون سنة حتى كان البطالمة قد شيدوا لها معبدًا تجاوزت شهرته كل الحدود.

والحقيقة أن الأرشيف الجداري لهذا المعبد يعدّ سجلاً للكثير من ملوك البطالمة وأباطرة الرومان الذين ساهموا فيه بإضافات معمارية أو أعمال زخرفية. حيث نجد سيلاً من الكتابات الهيروغليفية في صورتها البطلمية. ففي إحدى الكتل الحجرية التي عثر عليها في فيلة ما يشير إلى إهداء الإسكندر الأكبر (٣٣٦ - ٣٢٣ ق.م) لأراضي ذلك المعبد للإلهة إيزيس. غير أن التنفيذ الفعلي للبناء بدأ في عهد بطليموس الثاني (٢٨٥ - ٢٤٦ ق. م) ثم أكمل البناء ابنه بطليموس الثالث (٢٤٦ - ٢٢١ق. م). ومع فقدان الدولة البطلمية السيطرة على الحدود الجنوبية لمصر ظهر على جدران المعبد أسماء عدد من الملوك الأجانب، مثل الملك النوبي «إيرجامنيس» الذي ساهم في تشييد معبد «أرسنوفيس» الذي لم يكمل بناءه بطليموس الرابع (٢٢١ - ٢٠٥ ق. م). ولما عادت البلاد إلى سابق عهدها أقام بطليموس الخامس (٢٠٥ - ١٨٠ ق. م) معبدًا صغيرًا في جهة الشمال أهداه إلى الحكيم المصري إيمحوتب. كما أقام بطليموس الثامن (١٦٩ - ١١٦ ق.م) معبدًا مجاورًا لحتحور ربة الأماكن القصية. ولم يكتف بطليموس الثامن بذلك، بل نقش اسمه على إحدى المسلات التي كانت تقف أمام الصرح الأول. كذلك صور بطليموس التاسع (١١٦ - ١٠٧ ق. م) نفسه على جدران البرج الغربي لصرح معبد إيزيس. وفي عهد بطليموس الثاني عشر (٨٠ - ٥١ ق. م) تمت زخرفة المساحات الواسعة على الصرحين وواجهات المباني التي تطل على الفناء الأمامي الذي يسبق معبد إيزيس.

وبتولى الرومان مقاليد الأمور ترك الأباطرة: أغسطس (٣٠ ق. م - ١٤م)، وتيبريوس (١٤ - ٣٧م)، ودومتيان (٨١ - ٩٦م)، ونرفا (٩٦ - ٩٨م)، وتراجان (٩٨ - ١١٧م) أسماءهم على زخارف متفرقة من معبدي إيزيس، وحتحور، ولم يقتصر الأمر على الأباطرة، بل إن الولاة الرومان كان لهم إسهامات متعددة في هذه الجزيرة، ومنهم الوالي

مع أن فترة الحكم اليوناني والروماني كانت أكثر أيام فيلة ازدهارًا معماريًا، إلاّ أن الجزيرة لاقت تخريبًا همجيًا مع بداية دخول المسيحية إلى مصر. فقد تم تشويه معبد نختانبو، وطمست معظم نقوشه على يد الإمبراطور البيزنطي جستنيان





رؤوس صخور تعلو تيجان الأعمدة (أعلى) ونقوش بارزة على الجدران (أسفل)

«كورنيليوس جاللوس» الذي سجل انتصاراته على قبائل البليمي على الردهة المكشوفة أمام معبد حتحور.

ومع أن فترة الحكم اليوناني والروماني كانت أكثر أيام فيلّة ازدهارًا معماريًا، إلاّ أن الجزيرة لاقت تخريبًا همجيًا مع بداية دخول المسيحية إلى مصر، فقد تم تشويه معبد نختانبو وطمست معظم نقوشه على يد الإمبراطور البيزنطي جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥م). وقد أبدى المصريون والنوبيون مقاومة شديدة وشجاعة للحفاظ على مقدساتهم ومعتقداتهم الدينية، حتى نجحوا في النهاية في التوصل إلى اتفاق مع الحكام البيزنطيين الذين حكموا مصر في تلك الفترة يقضي باحتفاظهم بتمثال إيزيس، ونقله من فيلّة إلى بلادهم خلال فترة تم الاتفاق عليها مسبقًا، ثم إعادته مرة أخرى إلى مكانه في الجزيرة، وكانوا يعدّون هذه الرحلة من الرحلات المقدسة!.

الغرق ليس نهاية المطاف

طوال عدة قرون ظلت فيلّة تتحدى الزمان وغيره، وتباهي بجمال مبانيها وروعة نقوشها، حتى أقيم خزان أسوان في مطلع القرن العشرين، فبدأت المياه تتسلق شواطئها، وتغمر معابدها. وكإجراء وقائي تم ترميم الجدران، وتقوية الأساسات، وتأهبت المعابد لمقاومة خطر المياه الجارف الذي كان يزداد عامًا بعد عام حتى تمت تعلية الخزان مرتين عامي ١٩١٢ و ١٩٣٣م، فأصبحت المياه تغمر المعابد طوال العام لا تنحسر عنها إلا خلال ثلاثة أشهر من الصيف، وعندئذ كانت تبدو أولاً أفاريز الصروح، ثم تيجان الأعمدة، وأخيرًا الأرض الطينية التي تكسى بعد بضعة أيام بالزروع. ولبضعة أسابيع يلوح من معبد إيزيس في أوج الحرارة خطوط صرحية جميلة، ودقة دهاليزه الطويلة، وصورة مقصورة تراجان الأنيقة مرسومة رسمًا جذابًا على لافتات للسياح. بعد ذلك تقفل أبواب الخزان فترتفع المياه كبحر لا ينحسر مد مياهه، فتختفي الجزيرة بمعابدها ثانية تحت الماء. وحتى بعد إنجاز بناء السد العالي عام ١٩٧٠م ظلت المياه تغمر الجزيرة ولم نعد نرى من المعابد سوى



بقايا معبد حتحور

التيجان والأطراف العليا فقط.

وفي عام ١٩٧٢م تنبهت وزارة الثقافة المصرية ووجهت حملتها بلا هوادة لإنقاذ آثار فيلّة من التدمير والتفتيت، وقد آتت الحملة نتائجها الملموسة بالاشتراك مع منظمة اليونسكو ووزارة الثقافة الإيطالية، فتم التوصل إلى فك المعابد، ثم نقلها لإعادة بنائها في مكان جديد بعيد عن خطر المياه. وكانت الجزيرة المجاورة هي جزيرة أجليكا على بعد ٦٠٠متر، التي تم فيها تركيب المعابد وبناؤها من جديد طبق الأصل بأشكالها وهيئتها. وتخليدًا لجزيرة فيلة تم احتفاظ المعابد باسمها، وتمت زراعة أشجار النخيل والنباتات مثلما كانت في جزيرتها الأصلية، وفي عام١٩٨٠م أقيم حفل عالمي للاحتفال بافتتاح الجزيرة للزائرين.

صرح يبوح بسر النحت

إن الذاهب إلى مشاهدة آثار فيلة يبدأ رحلته من الشاطئ الجنوبي الغربي للجزيرة، حيث مقصورة نختانبو التي كانت تتكون من بهو يتخلله أربعة عشر عمودًا، لم يبق منها حاليًا غير ستة فقط، تحمل تيجانًا ناقوسية بشكل زهرة اللوتس ورؤوسًا حتحورية. وتبدو على الستائر الخارجية للمقصورة مناظر لنختانبو، وهو يقدم الهدايا والقرابين للآلهة المختلفة. وفي الطرف الجنوبي من بقايا صف الأعمدة الشرقي يوجد معبد أرسنوفيس الذي أصابه التخريب، ولم يبق منه سوى الجزء الأسفل من جدران صالته الأمامية تطل منه صور د.«حابي» إله النيل. وبالسير بمحاذاة بقايا صف الأعمدة الغربي نصل إلى معبد إيزيس الذي يعد درة منشآت الجزيرة. وأول ما يقابلنا من مبانيه، صرحه الأول الفخم المهيب الذي يبلغ عرضه خمسة وأربعين مترًا، ويصل ارتفاعه إلى ثمانية عشر مترًا. والواقع أن البوابة الواقعة بين الصرح تعدّ أقدم عهدًا من بقية البناء كله، إذ أقامها نختانبو في الوقت نفسه الذي أقام فيه مقصورته. ويقف أمام الصرح أحد أسدين يرجع تاريخهما إلى عصر بطليموس السابع، كان ينتصب بجوارهما مسلتان ترجعان إلى بطليموس الثامن، وقد راقت إحدى هاتين المسلتين عين بلزوني عند زيارته للجزيرة عام ١٨٣٦م، فنقلها إلى إنجلترا وأقامها بنفسه في حضرة دوق ولينجتون عام ١٨٣٩م، وهي ترتفع سبعة أمتار، وتزن ستة أطنان، وتبدو على عتب البوابة مناظر لنختانبو وهو يرقص ويتعبد أمام إيزيس وأوزوريس وخنوم وحتحور.

وبفحص النقوش التي تزين الواجهات الخارجية للصرح سوف نلحظ أنها لا تشكل أي بروز على واجهة الجدار. فالفنان بعد أن رسم الخطوط الخارجية للشكل، لم يوجه ولا ضربة واحدة من ضربات إزميله خارج نطاقه. فقد أنجز نقشه دون التخلص من الأحجار المحيطة بحيث يتخذ مكانه فيما يشبه التجويف ولا تخرج أكثر أجزائها نتوءًا من واجهة الجدار. وهذا النقش الغائر



أعمدة المعبد التي ظلت تقاوم الغرق وعوادي الزمن

هو من المميزات الخاصة بالقدماء المصريين، ويستخدم دائمًا في خارج المبنى حيث إن طبيعته تحميه من الصدمات، ومن غالبية المشكلات التي تتعرض لها النقوش البارزة العادية.

وتمثل النقوش الموجودة على الواجهة الأمامية للصرح ثلاثة مشاهد واضحة جدًا على كل كتلة: اثنان في الأعلى، وواحد في الجزء السفلي، ويبدو جليًا أوزوريس إما برأس إنسان، وإما برأس صقر، في حين تزين إيزيس رأسها بغطاء على هيئة طائر العقاب، وتمسك بيدها صولجانًا ينتهي بزهرة اللوتس. وفي الجزء العلوي يقوم الملوك بتقديم القرابين والأضاحي إلى الآلهة. وفي الجزء السفلي نجد كاهنًا يمسك ثلاثين أسيرًا من شعورهم، ويبلغ حجمهم ثلث حجمه، ويرفع يده لضربهم. ومع سيطرة النقوش والزخارف الهيروغليفية إلاّ أن هناك نقشًا بالفرنسية حُشر بينها، وهو المدون على السمك الأيمن للصرح الذي يسجل وجود القوات الفرنسية بقيادة الجنرال ديزيه، التي كانت تطارد عساكر المماليك حتى هذه المنطقة.

الأرشيف الجداري لهذا المعبد يعد سجلاً للكثير من ملوك البطالمة وأباطرة الرومان الذين ساهموا فيه بإضافات معمارية أو أعمال زخرفية. حيث نجد سيلاً من الكتابات الهيروغليفية في صورتها البطلمية

ويوجد في خلف الصرح رسم يمثل قاربًا رمزيًا برأس إيزيس يحمله أربعة رجال يرتدون أردية طويلة، ويظهر في الخلفية قارب آخر يجرّه شخص برأس صقر، ويحرك طرفه بواسطة ذنب أفعى يمسك بجسدها بين يديه، وفي وسط القارب نجد مقصورة تأخذ شكل معبد صغير، وفي المقدمة نجد بعض الكهنة الذين يحملون القارب. ويعلو هذا الرسم منظر لبطليموس الثاني عشر في حضرة الآلهة، ومنظر لبطليموس الحادي عشر، وهو يغادر قصره ترافقه أعلام الدولة.

بيت الولادة يستقبل حورس

وينفتح الصرح من الداخل على فناء رحب غير منتظم الشكل يطوقه من الجانبين رواقان من الأساطين المختلفة أطوالها، وأحد هذين الرواقين ممر مغطى، بينما ينفتح الرواق الآخر على صف من الحجرات الصغيرة، وقد تعرضت بعض أحجار أسقف الرواقين للدمار، وكذلك بعض الأساطين والتيجان.

ويوجد في الجهة الغربية قاعة يحدها من الشرق الرواق المكشوف، ومن الغرب هيكل صغير يوجد في مقدمته بهو للأعمدة يمتد حتى الصرح الثاني، وهو يمتاز بالقمم ذات الرؤوس الممثلة لحتحور والنقوش البارزة على الحوائط والمناظر الفريدة على الأسقف،

مع أن فترة الحكم اليوناني والروماني كانت أكثر أيام فيلة ازدهارًا معماريًا. إلاّ أن الجزيرة لاقت تخريبًا همجيًا مع بداية دخول المسيحية إلى مصر. فقد تم تشويه معبد نختانبو وطمست معظم نقوشه على يد الإمبراطور البيزنطي جستنيان

والألوان التي لا تزال تحتفظ برونقها وتوهجها على التيجان التي لم تمسها يد التخريب، وجميعها مأخوذ عن أشكال الطبيعة مثل زهرة اللوتس في البرعم المتفتح والبردي والنخيل. أما القاعة نفسها فتحتوي على رسوم رائعة تتألق على الجدران بشكل بديع، توضح مدى الرقة والبساطة في تفاصيلها الملونة، فهي ناعمة ممتزجة بالزرقة ومتدرجة، فالألوان الوردية مرجانية، والألوان الخضراء ممتزجة بالزرقة، ومخضرة كالفيروز. وجملة هذه الرسوم تمثل إيزيس مع أخيها وزوجها أوزوريس وهي تلد منه حورس، ثم تنتقل الرسوم لتصور قصة طفولة حورس منذ أن كان في المهد رضيعًا يتعلق بصدر أمه مرورًا بمرحلة صباه، وهو يقف عند ركبتيها منصتًا لعازفة جميلة تداعب أوتار القيثارة، حتى وصوله إلى مرحلة الشباب حين بدأ يمارس هواية أجداده الفراعنة ويقوم بزراعة الحبوب. وتيمنًا بهذه المناسبة أطلق على هذه القاعة اسم «بيت الولادة»، وإمعانًا في تخليد هذه الذكرى تم بناء هيكل صغير رسم عليه نقش يمثل كلبين تم تطويق عنقيهما، وتوجد في مواجهة هذا النقش، النسخة الشهيرة من النقوش المدونة على حجر رشيد. ومن وجهة النظر المعمارية تمتاز هذه القاعة بأنها مربعة وصغيرة ومفتوحة من الوسط نحو السماء، وبذلك فإن الضوء يدخل إليها رأسيًا في شكل بقعة مربعة على الأرضية، وينعكس على حنيات السقف المزخرفة، ولقد تعرضت أرضية هذه القاعة المصنوعة من أحجار الخزف الملونة للتخريب؛ إذ تم خلع أحجارها الجميلة على يد الباحثين عن الكنوز الفرعونية، ولصوص الآثار.

ومن الصرح الثاني - الذي لم يكن عريضًا جدًا، مثل الصرح الأول، فيبلغ عرضه اثنين وثلاثين مترًا،

وارتفاعه اثني عشر مترًا ـ ندلف إلى قلب المعبد الذي يتم الدخول إليه عن طريق الباب الأوسط الذي تتفرع منه عشر قاعات وحجرات جانبية تقود جميعها إلى هيكل. ويلفت النظر هنا مجموعة ممرات سرية تشق طريقها في قلب الحوائط السميكة، وتتقابل عن طريق فتحات، وتوجد حجرة صغيرة أخرى مظلمة عند قاع

أخرى، يقف نحو الشرق معبد حتحور، الذي بني في عهد بطليموس الثامن، وتمت إضافات إليه، وأعيد بناؤه في عهد الإمبراطور أغسطس، وهو يتكون من صالة ودهليز أمامي، وعدد من الحجرات المحطمة الآن.

وأبرز الرسوم الجدارية الباقية، منظر للإله «بس» وهو يلعب على آلة موسيقية، ويرقص،





أنجز الفنان نقشه دون التخلص من الأحجار المحيطة مما يحميه ويضمن بقاءه

سلم صغير نقشت على حوائطها صور قصة بعث أوزوريس، وعلى الرغم من التشوهات الواضحة للنقوش إلا أنها تحكي القصة بوضوح، إذ يبدو أوزوريس كما لو كان يناضل بالفعل للقيام من رقاده.

عمارة تتحدى الفناء

يتصل بمعبد إيزيس من الخارج عدة منشآت معمارية

ويرافقه في لهوه الإله «آبي» وسبع من بنات حتحور. ويبدو في منظر آخر بطليموس الثامن، وهو يلبس تاج الوجه القبلي تارة، وتاج الوجه البحري تارة أخرى. غير أن اللافت للنظر هو قيام الكهنة بتأدية الطقوس للإلهة الإغريقية «أفروديت»، ويبدو أن ذلك يرجع إلى تطابقها مع حتحور كربة للأمومة، خاصة إذا علمنا أن هناك نقشًا إغريقيًا على أحد

الجدران يؤكد أن بطليموس الثامن وزوجته كليوباترا أهديا هذا المعبد إلى أفروديت.

وثمة بناء آخر يقع في الطرف الشمالي، وهو معبد إيمحوتب الذي يتكون من فناء يليه حجرتان صغيرتان ثم المقصورة. وتكاد تخلو جدران المعبد من النقوش والزخارف الجدارية إلا من نقش وحيد يؤكد نسب المعبد، وفيه نرى بطليموس الخامس وزوجته وابنه يتضرعون إلى «إسكليبيوس» إله الطب والشفاء عند الإغريق الذي عادله المصريون بـ «إيمحوتب» رائد النهضة العلمية والمعمارية في مصر الفرعونية، إذ يعود إليه الفضل في تشييد أول بناء حجري ضخم عرفه التاريخ، وهو الهرم المدرج بسقارة جنوب الجيزة.

وننهي زيارتنا بمشاهدة ذلك المبنى الذي يبرز بوضوح في كل صورة للجزيرة حتى أصبح عند معظم السائحين رمزًا لها، وهي الصورة التي تتبادر إلى الذهن كلما جاء ذكر فيلة، ونعني بذلك ما يسمى «الكشك» أو «سرير فرعون». ويبدو أن هذا البناء كان مخصصًا للإمبراطور تراجان عند أداء الطقوس الخاصة بالإلهة «إيزيس» عندما يصل تمثالها إلى الجزيرة أو يغادرها؛ لذلك أطلق عليه اسم «جوسق تراجان».

وهذا المبنى صالة مستطيلة محاطة بأربعة عشر عمودًا ذات تيجان زهرية. وهذه الأعمدة تسند الركائز التي تحمل العوارض والأفاريز المجوفة ذات الحليات المعمارية. وقد صممت الركائز بحيث يجري نحتها بتحويلها إلى تيجان في شكل صلاصل برؤوس حتحورية. وكان الاتجاه السائد أن تغطى الجدران الساترة بين الأعمدة بالمناظر، ولكن هذا لم يستكمل إلا في جدارين فقط، وهذه المناظر تظهر الإمبراطور تراجان، وهو يحرق البخور أمام أوزوريس وإيزيس، ويقدم النبيذ لحتحور.

والحقيقة أن الذي أضفى جمالاً على هذا الجوسق هو كونه فناءً مفتوحًا للسماء تسمو أعمدته دون سقف، والواضح أنه بني على غرار الأروقة في الحدائق الإيطالية كمكان بارد يجلس فيه في المساء. فالأكشاك ربما بنيت - بجانب وظيفتها الدينية - كي تعطي نوعًا من الترويح عن النفس.

المراجع

١. آثار جزيرة فيلة وأهميتها السياحية، علاء الدين إبراهيم زهدي، الإسكندرية، ١٩٩٨م.
٢. آثار مصر في العصرين اليوناني والروماني، عزت زكي حامد قادوس، الإسكندرية، ٢٠٠١م.
٣. الآثار المصرية في وادي النيل: جيمس بيكي، ترجمة لبيب حبشي وشفيق فريد، القاهرة، ١٩٨٧م.
٤. أسوان، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، ١٩٨٠م.
٥. الديانة المصرية القديمة، ياروسلاف تشرني، ترجمة أحمد قدري، القاهرة، ١٩٨٧م.
٦. مشروع إنقاذ آثار النوبة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د.ت.
٧. معجم الحضارة المصرية القديمة: جورج بوزنر، ترجمة أمين سلامة، القاهرة، ١٩٩٦م.
٨. موسوعة مصر القديمة: سليم حسن، ج١٠، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٩. نهب آثار وادي النيل ودور لصوص المقابر: بريان فاجان، ترجمة أحمد زهير أمين، القاهرة، ٢٠٠٢م.
١٠. وصف مصر: وضع علماء الحملة الفرنسية، ج٢٠، القاهرة، ٢٠٠٣م.
11- Aswan, Philae, Abo Simbel - Giovanna Magi Florence - 1996.
12- Ashort Architectural History Of Philae - Heany. G - Bifao 1985.



تستور: عبق الأندلس الدائم

عبدالحكيم مولهي

الكاف ـ تونس

اهتم بها الرحّالون والجغرافيون وقادة البعثات العسكرية منذ نشأتها حتى بداية القرن العشرين.. قال عنها الرحالة بايسونال Peyssonnel عام ١٧٢٤م: "عندما وصلنا إلى تستور حسبت فجأة أني نقلت إلى إسبانيا.. "

وحتى الآن، وبعد زهاء أربعة قرون من تأسيسها، ما زالت تستور تحتفظ بطابعها الأندلسي المميز، وتبهر الزائر بجوامعها العتيقة، ومنازلها بالقرميد، وأزقتها الطويلة الضيقة.وتطوق تستور أشجار الزيتون، وحدائق الرمان والمشمش، وحقول القمح والشعير التي تشتهر بها المنطقة منذ أقدم العصور في تناسق وتناغم لا نظير لهما. إن اختيار «تستور» موضوعًا لهذا الاستطلاع يعود إلى الرغبة في تعريف القارئ العربي بأحد أهم الإبداعات الموريسكية في المغرب العربي..

الجغرافيا تصنع التاريخ

تستور اسم يطلق اليوم على إحدى معتمديات ولاية باجة بالشمال الغربي للبلاد التونسية، ومركزها مدينة تستور التي تبلغ مساحتها نحو ٢٩٨ هكتارًا، ويبلغ عدد سكانها ١٢٣٥١ نسمة حسب التعداد العام للسكان عام ١٩٩٤م، وبخصوص التسمية لا يوجد تعريف محدد، على الرغم من كثرة الاجتهادات، وبخاصة تلك التي قام بها الأستاذ أحمد الحمروني في كتابه «تستور: وثائق ودراسات»، غير أننا سنكتفي بالتعريف الذي قدمه



الرحالة خيماناث: «وتسمى تستور Textor بمعنى إجازة (سماح) في اللغة العربية. ولا أدري إذا كان الأندلسيون قد أطلقوا عليها الاسم بسبب الرخصة التي تحصلوا عليها لتأسيس هذه البلدة» (١).

وتوجد المدينة على الطريق الوطنية رقم ٥ الرابطة بين الكاف وتونس العاصمة، وهي لا تبعد عن هذه الأخيرة أكثر من ٧٥كلم، كما يربط هذا الطريق تستور بالقطر الجزائري، ومنذ عام ١٩٨٣م تمت توأمة مدينة تستور بنظيرتها «شفشاون» المغربية.

وتوجد تستور في بيئة طبيعية متميزة، إذ تتكون تضاريسها من مزيج من المرتفعات، كالجبال على غرار جبل الصّخيرة، والروابي، ومنها الربوة التي شيدت فوقها مدينة تستور ذاتها، والسهول على ضفاف وادي مجردة، ووادي سليانة. أما مناخها فتغلب عليه الصبغة القارية، فيكون باردًا وممطرًا في فصل الشتاء بمعدل سنوي يتجاوز ٥٠٠ ملم، وحارًا وجافًا في فصل الصيف، ويتكون الغطاء النباتي للجبال المجاورة لتستور من أشجار الصنوبر والكالاتوس. أما عن نوعية التربة فمعظمها من



من الآثار الرومانية في دقة

النوعية الممتازة التي تميز ولاية باجة عمومًا.

وتكثر في محيط تستور العيون الطبيعية مثل: عين جمّالة وعين طنقّة، وعين يونس.. كما تكثر المواقع الأثرية التي ترقى إلى فترات تاريخية مختلفة، وبخاصة منها الفترة الرومانية، ومن أبرزها دقة Thugga، وتبرسق Thu-bursicum، وعين طنقة Thgnica، والسلوقية Chidibbia، مع الإشارة إلى أن تستور في حد ذاتها شيدت على

تستور من المدن التونسية القليلة التي لها هذا الكم الهائل من الوثائق التاريخية. سواء تلك التي دونتها أقلام الرّحالين والمؤرخين منذ نشأتها.وما ظهر حديثًا من كتب ودراسات وملتقيات اتخذ بعضها صبغة عالمية

أنقاض مدينة قديمة تسمى «تشيلا»، ومعناها باللغة الأمازيغية: الخصب (٢).

المأساة والإبداع

يرتبط تأسيس «تستور» بإحدى أكبر المظالم التي عرفها العالم في العصر الحديث، وهي مأساة من بقي من المسلمين في إسبانياالذين عرفوا باسم «الموريسكيين» (٣) إثر سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م، بعد أن أصدر الملك الإسباني فيليب الثالث ما يسمى بقانون «التهجير العام» عام ١٦٠٩م، الذي يقضي بالطرد الجماعي لكل السكان الذين لا ينتمون إلى غير النصارى الأصليين، فشمل ذلك الطرد: اليهود والمسلمين والموريسكيين. وقد تحدثت المصادر التاريخية بما فيها الإسبانية عمّا تعرض له هؤلاء من اضطهاد وتنكيل من محاكم التفتيش الشهيرة؛ وهذه إحدى الوثائق المهمة التي وصفت لنا الموريسكيين وهم يغادرون بلادهم - إسبانيا - للأب أتنار كاردونا، نشرت عام ١٦١٢م بعد سنوات قليلة من حدوث المظلمة. ومن أهم ما تضمنته: «خرج الموريسكيون التُّعساء في الأيام التي حددها المفوَضون الملكيون، واختلط المشاة منهم بالرّكبان، ساروا مفعمين بالألم، تتساقط دموعهم، يتصايحون، وهم يحملون أبناءهم وزوجاتهم ومرضاهم وشيوخهم وأطفالهم، يعلوهم التراب جميعًا، وتتساقط منهم حبات العرق، كان بعضهم يركب عربة يتزاحم فيها الأشخاص، ومعهم أمتعتهم وأدواتهم، وكان البعض الآخر يمضي ماشيًا على قدميه، ملابسه ممزقة ويضع في قدمه فروة حذاء واحدة.. وكانوا كلهم يلقون التحية لمن ينظر إليهم قائلين حفظكم الله.. كانت العربات والدواب مؤجرة؛ لأنه لم يسمح لهم إلا بحمل أمتعتهم الشخصية كالملابس والنقود التي باعوا بها أثاثهم (٤)». «إن ما عاناه هؤلاء من محاكم التفتيش والمتعصبين والوشاة والأساقفة الكاثوليك يفوق فعلاً سني يوسف ضنكًا وألمًا» على رأي الأستاذ محمد المزي الباحث بالمعهد الوطني للتراث، وبمركز الدراسات الإسبانية الأندلسية.

لقد قدر المؤرخون عدد هؤلاء المهجرين من وطنهم بـ ٣٠٠ ألف نسمة أي ما يعادل ٤٪ من سكان إسبانيا آنذاك (٥)، تشتتوا في أرجاء كثيرة من العالم، وقد توجه عدد كبير من المورسكيين إلى تونس، حيث وجدوا الترحيب؛ ممّا خفف من مصيبتهم، وهدّأ من روعهم، فقد بيّن لنا المؤرخ التونسي أحمد بن أبي الضياف أن عثمان داي حاكم الأيالة التونسية باسم السلطان العثماني أحسن استقبالهم بقوله: «وفي سنة ست عشرة وألف قدمت وفود من الأندلسيين فارين بدينهم، لما أخذت بلادهم فأحسن عثمان داي قراهم، وأكرم مثواهم، وأنس غربتهم، وعظم مقدمهم» (٦) بينما تذكر المصادر أن مصير غيرهم كان سيئًا في الكثير من البلدان الأخرى.

وقد قدّر الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب عدد المهاجرين الأندلسيين إلى تونس بنحو ١٠٠ ألف مهاجر منذ سقوط غرناطة إلى حدود ١٦٠٩م مؤكدًا أن نصفهم وصل إلى تونس إثر قرار التهجير العام، بينما يذهب باحثون آخرون إلى أن عدد المهاجرين عام ١٦٠٩م فقط بلغ ٨٠ ألف

يؤكد القسّ الإسباني فرانسيسكو خيمانات الذي زار تستور أنه قضى مع عدّة أشخاص هناك سهرات يتسامرون باللغة الإسبانية، ويتجادلون في أشياء اعتادوا الحديث عنها في بلادهم، حتى إنه شعر وكأنه موجود في قرية بإسبانيا

نسمة، تمّ توزيعهم على الكثير من مناطق البلا، حيث قاموا بتأسيس عدد مهم من القرى والبلدات الخاصة بهم متمتعين ببعض الامتيازات التي من أهمها الإعفاء من الضرائب (مؤقتًا)، والحفاظ على مؤسساتهم وتنظيماتهم السياسية.. ومن هذه البلدات نذكر بلدة تستور.

الثابت أن تستور أسست عام ١٦٠٩م؛ وذلك بإجماع أغلب المصادر والمراجع التاريخية، ثم توسعت بعد ذلك، ويذكر الأستاذ أحمد الحمروني أن استقرار الأندلسيين بها تمّ على مرحلتين: فقد أسست المجموعة الأولى المكان المعروف اليوم بحي الرّحيبة، وقد قدمت هذه المجموعة مباشرة من إسبانيا، في حين قدمت المجموعة الثانية من المغرب الأقصى عام ١٦٣٠م، وهي التي أسست الحي المعروف باسم «حي الثغريين»، ومن أبرز معالمه الباقية إلى اليوم الجامع الكبير.

ونستنتج من خلال تقارير الرحالين الذين زاروا تستور أن هذه البلدة بدأت تكبر وتنمو تدريجيًا من خلال عدد سكانها، وتزايد منشآتها العمرانية، وما شهدته من نهضة اقتصادية خاصة في المجال الزراعي بفضل وادي مجردة، وخصوبة الأراضي والتقنيات الجديدة التي أدخلها الأندلسيون، من ذلك ما ذكره داركوس في أثناء زيارته لتستور عام ١٦٣١م، وفي هذا الجزء الأخير (من مجردة) أسس الأندلسيون والثغريون والكاتالونيون عدة قرى تبعد إحداها عن تونس اثنتي عشرة مرحلة، وتسمى تستور، وتضم نحو ١٥٠٠نسمة، وهي عامرة جدًا بالسكان، وبمنازل جميلة مشيدة على النمط المسيحي Christianesque (يقصد الأوربي)، وبسبعة مساجد ذات مآذن جميلة (٧).

لقد خصص الأستاذ أحمد الحمروني حيّزًا مهمًا من كتابه «تستور: تاريخ ورحلات» لتقارير الرحالة الأوربيين الذين زاروا تستور، التي تتفق جميعًا أن هذه المدينة



أثر تاريخي

إنجاز أندلسي بحت، كما يصف فيها أصحابها الشبه الكبير الذي وجدوه بين تستور والكثير من القرى الإسبانية، من حيث فنّ العمارة والتخطيط، وتقدّم النشاط الزراعي والحرفي، وطيبة السكان وتسامحهم.

السكان: حكايات عن أندلسيي تستور

الواقع أن «المجتمع التستوري» في بداية القرن الحادي والعشرين مزيج من عدة عناصر تفاعلت فيما بينها، وساهمت جميعها في ازدهار هذه المدينة في مختلف المجالات، غيرأن العنصر الأندلسي ظلّ محافظًا



من مساجد تستور

على شخصيته، من ذلك تمسكه بالألقاب العائلية الإسبانية، وقد تحدثت شخصيًا خلال زيارتي لتستور مع بعض السكان ذوي الأصول الأندلسية، وقد لمست كرمًا ولطفًا لا حدود لهما عندما طلبت من أحدهم - وكان ذلك مصادفة - أن آخذ صورة للمدينة من مكان مرتفع فأدخلني إلى بيته، وبعد أخذ الصورة من أعلى المنزل، فوجئت بالمشروبات والحلوى تقدم - وهو فضل كبير لن أنساه ما حييت - والملاحظ أن «أغلبية الموريسكيين الذين قدموا إلى تونس وتستور من قشتالة وأراغون» (٨).

ويذكر الأستاذ أحمد الحمروني أن الأشكال المعمارية، والألقاب العائلية تبيّن أصول هؤلاء الموريسكيين، وأن بعضهم قادم من طليطلة، وسرقوسة، وبلنسية، وأليكانت، وأغلبها في شمال الأندلس (٩).

وقد تميز الأندلسيون في تونس عمومًا بعدم الاختلاط بالسكان الأصليين للبلاد، ولم يشذّ مجتمع تستور عن هذه القاعدة؛ إذ بقي السكان يتكلمون الإسبانية، وبها يكتبون الشعر، ويؤدون الأغاني، وظلّ استعمال هذه اللغة في الحياة اليومية مدة طويلة؛ وذلك لعدم إتقان هؤلاء اللغة العربية التي منعت في إسبانيا منذ عام ١٥٦٧م، فقد ذكر جورج مارسي - مثلاً - أن سكان تستور لم يكونوا يتكلمون غير اللهجات القشتالية والبلنسية والكتالونية من ذلك - مثلاً - أن إبراهيم التيبلي المسمّى «حوان بيريز» نظم بتستور عام ١٦٢٧م قصيدة بالإسبانية تتكون من ٤٦٠٨ أبيات في الدفاع عن الإسلام، والردّ على النصارى.

كما يؤكد القسّ الإسباني فرانسيسكو خيماناث الذي زار تستور «أنه قضى مع عدّة أشخاص هناك سهرات يتسامرون باللغة الإسبانية، ويتجادلون في أشياء اعتاد الحديث عنها في بلاده، حتى إنه شعر وكأنه موجود في قرية بإسبانيا ...».

ومن الأدلة الأخرى على تواصل استعمال اللغة الإسبانية في الحياة اليومية لأندلسي تستور ما ذكره الرحّالة «مورقن» عام ١٧١٩م، و«بايسونال» عام ١٧٢٤م، و«فيشرا» عام ١٧٤٦م...

بعد ذلك أقبل الموريسكيون على تعلم اللغة العربية ومبادئ الإسلام بلهفة كبيرة، فانتشرت الكتاتيب، وساهم الجامع الكبير والزوايا وغيرها من الفضاءات في هذا المجهود؛ ويذكر أحمد الحمروني أن أندلسيي تستور نجحوا في تعلم اللغة العربية لغة ورسمًا في أقل من نصف قرن.

ومثلما حافظ سكان تستور على اللغة الإسبانية

طويلاً، حافظوا أيضًا على الكثير من العادات والتقاليد الأخرى التي جاؤوا بها من بلادهم، والتي لم يتردد الرحالون في ذكرها، من ذلك:

- تواصل استعمال اللباس الإسباني، وهو اللباس الذي فرض عليهم بإسبانيا، ويقول: فيشرا بهذا الصدد، واصفًا لباس بعض نساء تستور: «وكانت الفتاتان وأمهما مرتديات على الطريقة الإسبانية بتنورة، وليس على طريقة النساء الموريسكيات، وبنفس الملابس» ويبدو أنه، ومع مرور السنوات، بدأ هؤلاء يتخلون عن اللباس الإسباني، ويقبلون على ارتداء اللباس التونسي.

- جلب عدة أنواع من الأطعمة التي تتطلب حذقًا كبيرًا، وإنفاقًا كثيرًا لا تقدر عليه إلا العائلات الميسورة مثل الكيسالس Quisalech (يتركب من قطع اللحم الملفوفة تخلط بالبيض المركوض والجبن المسحوق)، والبناضج Empanadas (عجين محشو باللحم ومطبوخ في الفرن، يقال إن الأندلسيين عند هجرتهم أخفوا الذهب فيه)، والمكرونة Macarona، والعجة Olla، وعين السينيورية In as signora -، (عجين مغطى بمعجون التمر أو الطماطم يقطع إلى مربعات، وتوضع عليها بعد أن تحمى في الفرن في أنصاف البيض المسلوق فهي أشبه بالبيتزا الإيطالية)، والطاجين، والملبس، وكعك الورقة، والمرقة الزعراء بالزعفران والإسفنج (فطائر مغموسة في العسل) (١٠).

- حافظ أندلسيو تستور على الموسيقا الأندلسية، فكانوا يعزفون على عدة آلات مثل الكوريدا Corrida، والقيثارة قبل أن يعوّضوها بالموشحات الأندلسية المعروفة باسم «المالوف»، وكانت زاوية سيدي «أبي غيث القشاش» أولى الزوايا التي ينشد بها المالوف، وقد ورد في كتب الرحّالين الكثير من الشواهد على تواصل الأغاني والموسيقا الإسبانية، ومنها الحكاية التي أوردها فيشرا عن الشيخ الذي كان يغني للجنود الإسبان ضمن «محلة» (١١)

المجتمع التستوري كان مميّزًا، وأنه حافظ طويلاً على الكثير من خصائصه ومازال.. وإن اختفى اليوم الكثير من العادات، مثل مصارعة الثيران، واستخدام اللغة الإسبانية فقد بقيت موسيقا المألوف، وبعض الألقاب الإسبانية، والكثير من الأكلات

الباي المعسكرة قرب تستور عام ١٧٤٦م «غنى ثلاثة أيام بلياليها أغنيات عاطفية إسبانية»، فأطربوه بمنحه زوجًا من الثياب الموريسكية وسكينين...» (السكين sequin: نقد ذهبي إيطالي قديم) كما تحدث «مورقن» إبان زيارته لتستور عام ١٧١٩م عن مشاركة المرأة والرجل في الغناء الجماعي، والعزف على القيثارة: «في بلدة تستور بمملكة تونس استمعت إلى بعض السكان من الجنسين ينشدون جماعيًا على أنغام الأعواد والقيثارات». وإلى اليوم ظلت تستور تحتل مكانة مهمة في الموسيقا التونسية، إذ يقام بها سنويًا مهرجان دولي لموسيقا «المالوف» تمّ بعثه منذ عام ١٩٦٧م.

- نقل الموريسكيون معهم إلى تستور اللعبة الأكثر شعبية في إسبانيا، وهي مصارعة الثيران، إذ ذكر

مثلما كان للمسلمين في تستور فضاءاتهم الدينية، كالجوامع والمساجد والزوايا ومقامات الأولياء، كان للجالية اليهودية في المدينة أيضًا بيعة للعبادة، ومزار هو ضريح الربّي فراجي الذي قدم من المغرب الأقصى، ودفن في تستور حسب وصيته



الفلامنكو تستهوي التستوريين

خيماناث . وقد يكون شاهد ذلك بنفسه . أنّ هذه الألعاب كانت تتم في الساحة الواقعة وسط البلدة، والمعروفة اليوم «بالرّحيبة»؛ أي البطحاء، «وتقع الساحة المربعة وسط البلدة حيث كانت للعرب (الأندلسيين) الذين أسّسوها احتفالات بمصارعة الثيران على الطريقة الإسبانية» ويبدو أن هذه الاحتفالات اختفت منذ بداية القرن ١٨م.

. ليلة الدّرك: من العادات التي ابتدعها الأندلسيون في تستور، وتتمثل في هجوم الفتيان قبيل صلاة العشاء ليلة القدر على الجامع الكبير و«العبث» بمحتوياته و«ترويع» المصلين إلى أن يطردهم المؤذن، والواقع أن المغزى من هذا هو تذكير الأبناء بما تعرّض له الأجداد في إسبانيا من اعتداءات واضطهاد على أيدي رجال الدين المسيحيين، ومحاكم التفتيش، وصلت إلى حدود منع الطقوس الإسلامية، واللغة العربية، والختان، وإجبارهم على التعميد، أو النفي. والواقع أن سكان تستور . الموطن الجديد . من أشد الناس تديناً، فلم يبخلوا بأموالهم في سبيل بناء الجوامع التي وصل عددها ١٤ جامعًا قبيل الحرب العالمية الثانية، والزوايا، ومقامات الأولياء لتعويض الحرمان الذي عانوه في

إسبانيا، كما كانوا من أكثر السكان تكريمًا للعلماء والأئمة، من ذلك مثلاً ما ذكره الأستاذ أحمد الحمروني: «جرت العادة باصطحاب الإمام في العيدين من داره إلى الجامع، ثم إليها في موكب بهيج تنشد فيه المدائح، ويرش المصلون بماء الزهر....»

. يذكر الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب أن أندلسيي تستور خلال الفترة الأولى من حضورهم أسسوا صندوقًا للإنفاق على العوانس (وقف الضعفاء) رافضين تزويجهن ما لم يكن العريس أندلسيًا حفاظًا على نقاوة دمهم، ووحدة أملاكهم. وقد ذكر «فيشرا» اعتمادًا على صديقه «أغسطينو» أن الشيخ الذي غنى للإسبان «كانت له عانستان لا يريد تزويجهما من العرب، تسمى الصغرى آن Anne، والكبرى ماريا Marie. وقال إنه لو وجد لهما بعض المارقين الإسبان لزوجهما، وإلا فلن يدنس دمه حتى ولو ماتتا دون زواج...».

والمرجح أن يكون هذا الشيخ يهوديًا خاصة، إذا ما علمنا أن جالية يهودية مهمة استوطنت تستور قدمت هي الأخرى من إسبانيا، إذ لم يستثن قرار الطرد الجماعي اليهود والمسلمين.. وتوجد حتى اليوم في تستور مساكن يهودية، أشهرها قصر لياهو بن دافيد ميموني (دار الثقافة حاليًا)، ومرقد الولي اليهودي (الربّى فراجي) الذي يعدّ من أهمّ مزارات اليهود، وبقربه المقبرة اليهودية.

الأكيد أن المجتمع التستوري» كان مميّزًا، وأنه حافظ طويلاً على الكثير من خصائصه ومازال.. وإن اختفى اليوم الكثير من العادات، مثل مصارعة الثيران، واستخدام اللغة الإسبانية التي لم يبق منها سوى بعض الكلمات، واللباس الإسباني، فقد بقيت موسيقا المألوف وبعض الألقاب الإسبانية والكثير من الأكلات.

لقد تأثر هذا المجتمع كثيرًا بالعناصر الجديدة التي استوطنت المدينة، مثل الوسلاتية (١٣)، وغيرهم؛ مما ساهم في تفتح المدينة، ووضع حدّ للانغلاق الذي ميّز الموريسكيين في بداية استقرارهم بالمنطقة، وعلى رأي الأستاذ أحمد الحمروني، فإن الهجرة الأندلسية أثرت تأثيرًا بالغًا في تاريخ تستور، ومظاهر الحياة بها، لكن من الخطأ مواصلة كتابة تاريخ المدينة بالطريقة التقليدية التي تمجد العنصر الأندلسي على حساب العناصر التي تشكل مجتمع تستور.

أهم ما بقي من معالم تستور الأندلسية:

تستور من المدن التونسية القليلة التي لها هذا الكم الهائل من الوثائق التاريخية، سواء تلك التي دونتها أقلام الرّحالين والمؤرخين منذ نشأتها، وما ظهر حديثًا من كتب ودراسات وملتقيات اتخذ بعضها صبغة عالمية، أو ما تزخر به من معالم وشواهد حيّة تمثل بدورها رافدًا مهمًا في تاريخ هذه المدينة وتراثها. وتحظى المعالم اليوم بعناية فائقة للحفاظ عليها وصيانتها، حتى لا تلقى المصير نفسه الذي عرفته بعض المساجد والبيوت التي اندثرت؛ بسبب الحرب العالمية الثانية، أو بسبب التفويت فيها للخواص خلال الستينيات من القرن العشرين، مثل: مسجد أحمد منتشينش بالحارة الذي كان معمورًا عام ١٧٩٥م، ومسجد المصري بالسوق الذي أسس في القرن السابع

ليلة الدّرك: من العادات التي ابتدعها الأندلسيون في تستور، وتتمثل في هجوم الفتيان قبيل صلاة العشاء ليلة القدر على الجامع الكبير . و"العبث" بمحتوياته، و"ترويع" المصلين إلى أن يطردهم المؤذن



سياح في رحاب تستور

عشر، واندثرعام ١٩٥٧م، ومسجد الدّقي بالرحيبة، وبئره موجودة، ومسجد ابن عطية بالسوق. ومن المساجد التي بقيت أنصاف مآذنها مسجد حمودة الطبيب بالتغرين، والجامع الكبير الأول بالرّحيبة، ومسجد بوتريكو (١٤) بالحارة. وللحفاظ على ما بقي من معالم تمّ إنشاء «جمعية صيانة المدينة» عام ١٩٩٨م.

وقبل التعرض لأهم المعالم الموجودة حتى اليوم، وأهم ما سجله الرحالون بشأنها يمكن الإشارة إلى أن الزائر لتستور يلاحظ أنها تنقسم إلى: أحياء عصرية توجد على طول الطريق الوطني عدد (٥) الذي يربط العاصمة بالمدن الداخلية والجزائر، وفي هذا القسم تتركز أهم المؤسسات الإدارية والتربوية والصحية بالمدينة، وكذلك المحلات التجارية والمطاعم والمقاهي. وإلى أحياء عتيقة تمثل النواة الأولى للمدينة، وهي ذات تخطيط شطرنجي، يتكوّن من أزقة ضيقة وطويلة، تضم البيوت العربية، والمحلات التجارية، ويعلو فوقها الكثير من الصوامع والقباب العريقة، وأغلب السقف مكوّنة من القرميد الأخضر والأحمر الذي يتناغم مع بيئة تستور، ويدلّ على ذوق رفيع، ولا تخلو المنازل والساحات والشوارع من أشجار النّارنج، كما لا تخلو الشبابيك من الياسمين، والفلّ، والعطرشاة، وتكون أرضيات المنازل والجوامع والحمامات عادة من الرخام، بينما «تزين دور الأثرياء بالجص المنقوش وتكسى جدرانها بالرخام..



ملابس تقليدية



فرقة موسيقية من تستور

وقد تتوسط الفناء نافورة استجابة للذوق الأندلسي رقة وجمالاً ..»، كما ذكر حسن حسني عبدالوهاب» أن الأبواب كانت مزينة بالصليب المسماري على عادة الإسبان في تمييز منازلهم، فصنع هؤلاء مثل أعدائهم تضليلاً لهم، كما توجد في الجامع الكبير أشكال كثيرة مثل نجمة داود، والصليب، إلى جانب ساعة معكوسة (١٥) بالصومعة، كما في الكنائس (لا تشتغل الآن) قال عنها أحد الشعراء عام ١٩٣٢م، وهو محمد المقداد الورتتاني:

عج بتستور وذاك الجامع
رسمته ساعة أعلى المنار
أبدعت فيها يمين الصانع
سيرها يأتي يميناً لليسار

الجوامع والمساجد: بيوت أذن الله أن ترفع

هي أبرز ما يميّز تستور ولعل أكثر ما يلفت الانتباه هو تقاربها الكبير وبساطتها، وصوامعها الشبيهة بحاملات الأجراس في أديرة القرى الإسبانية ـ باستثناء الجامع الكبير ـ ومن أهم هذه المساجد التي مازالت قائمة مسجد ابن الأميرة بحي التغرين» «التغريين»والذي يرجّح الباحثون بناءه في نهاية القرن ١٧م، أو بداية القرن ١٨م. ومسجد درمول (نسبة إلى عائلة درمون الموريسكية اليهودية، وقد أسلم بعضها قبل هجرة الأندلسيين إلى تستور حيث أسس أحد أفرادها هذا المسجد) الذي يرقى إلى بداية القرن ١٨م. وأخيرًا مسجد صاي الذي يفتح على السوق، وتدل النقيشة الموجودة في مدخله على أن مؤسسه هو «محمد الصغير صاي الأندلسي» عام ١٨١٢م.

الجامع الكبير: تحفة تستور

تمّ بناؤه عام ١٦٣٠م من قبل محمد تغرينو أبرز

توجد تستور في بيئة طبيعية متميزة، إذ تتكون تضاريسها من مزيج من المرتفعات، كالجبال على غرار جبل الصّخيرة، والروابي، ومنها الربوة التي شيدت فوقها مدينة تستور ذاتها، والسهول على ضفاف وادي مجردة، ووادي سليانة

أعيان الجالية الثانية على مراحل، كما بيّنت ذلك ترميمات عام ١٩٦٨م بحي التغرين بعد أن ضاق الجامع الأول الموجود بحي الرحيبة الذي يتوافق تاريخ تأسيسه مع تاريخ تستور ١٦٠٩م.

عدّه جورج مارسي أنموذجًا فريدًا، ومدرسة معمارية ثرية ونادرة، استعملت في بنائه الحجارة والأعمدة والتيجان التي جلبت من المواقع الأثرية الرومانية المحيطة بتستور، ثم أضيفت إليه لاحقًا أعمدة تيجان جديدة من الطراز الحسيني من تونس.

والمتأمل في الجامع يلاحظ فعلاً أنه فريد من نوعه بناء وزخرفة، فالصومعة المثمنة الأضلاع لا تخلو من تأثيرات مسيحية، فهي شبيهة بصوامع الكنائس الإسبانية بأسطواناتها المخروطية، وكذلك من تأثيرات يهودية حيث يشاهد في أعلى الصومعة، وفي أكثر من موضع بالجامع نجمة داوود، وتتوسط إحدى واجهات الصومعة الساعة التي تعرضنا لها سابقًا. أما المحراب، بإطاره المثلث القائم على تجويف مقوس، وما تضمنه من أشكال وزخارف نباتية، فهو أقرب ما يكون إلى واجهة معبد بيزنطي.

عن هذا التداخل في الأشكال والتأثيرات يقول الأستاذ أحمد الحمروني: «هذا التزاوج بين المثلث والمسدس في جامع يؤمّه المسلمون، وبين النجمة المخمّسة وقبّتي المحراب والوسط، كما في جامعي القيروان وقرطبة، وبما خط عليهما من آيات من سورة الرحمن، وشهادة وأدعية لدليل رمزي على التسامح بين الأديان، والحوار بين الحضارات، سواء كان بناة الجامع واعين بما يفعلون أو يدسون أم كانوا ينقلون عن حسن نية».


المهرجانات سمة لتستور





الزوايا ومقامات الأولياء: سلاطين المدينة

لا أعرف في تونس مدينة في حجم تستور تزخر بهذا العدد الهائل من الزوايا، ومقامات الأولياء، غير أن هذا قد يفسر التصوف في المدينة، والتديّن الكبير للسكان بعد أن استعادوا حريتهم في ممارسة عباداتهم، وفي حفظ القرآن، وتعلم العربية - وإن كانت الزوايا ومزارات الأولياء لا تقتصر على الأندلسيين فقط، بل تشمل العناصر الأخرى - التي استقرت بالمدينة، بما في ذلك اليهود.

لقد كان لكل طريقة زاويتها الخاصة، مثل الزاوية العيساوية، والرحمانية، والعزوزية، والصالحية، والتيجانية..

وكانت لهذه الزوايا وظائف كثيرة ثقافية واجتماعية واقتصادية، أهمّها التعليم؛ إذ كان يؤمها الطلبة، ويتم الإنفاق على المقيمين منهم والمدرسين من أوقاف هذه الزوايا، ومن أبرز الزوايا التي تحولت إلى أحد رموز مدينة تستور زاوية سيدي نصر القرواشي المشهورة بقبتها الخضرا التي يعود تأسيسها إلى عام ١٧٣٣م، والتي كانت وظيفتها الأساسية تعليم القرآن الكريم.

أمّا عن كثرة الأولياء بتستور الذين تنسج الذاكرة الشعبية روايات كثيرة عن خوارقهم، فيذكر الأستاذ أحمد الحمروني أنهم كانوا «بمثابة الأسوار التي تحمي المدينة من كل الأخطار»... وأفضل مثال على ذلك سيدي علي العريان الذي تصدّى للقائد العسكري ابن صندل (١٦) عندما طلب بعض الفتيات الأندلسيات لجيشه، غير أن الوليّ تصدى له، وأنقذ «شرف» المدينة، وقد خلقت هذه الحادثة - إن وُجدت - تصدعًا كبيرًا في علاقة أندلسيي تستور بالسلطة، إلى جانب عوامل أخرى، أهمها: تراجع يوسف داي(١٧) عام ١٦١٠ - ١٦٣٧م عن الامتيازات التي مُنحت لهم سابقًا تشجيعًا لهم على الاستقرار والإنتاج نحو عام ١٦١٣م، ومن أهمها التراجع عن قرار الإعفاء من الضرائب الذي تمتعوا به في عهد عثمان داي عام ١٥٩٥ - ١٦١٠م.

ومثلما كان للمسلمين في تستور فضاءاتهم الدينية، كالجوامع والمساجد والزوايا ومقامات الأولياء، كان للجالية اليهودية في المدينة أيضًا بيعة للعبادة، ومزار هو ضريح الربّى فراجي الذي قدم من المغرب الأقصى، ودفن في تستور حسب وصيته، ولا يزال قبره حتى اليوم، وكان اليهود يأتونه من جربة وتونس والجزائر والمغرب، وهو ما يذكرنا بمقام الولي اليهودي أبي حصيرة في مصر.

ومن المعالم اليهودية الأخرى - غير الدينية - نذكر القصر المعروف بدار لياهو الذي بناه لياهو بن دافيد ميموني هدية لمشوقته الفنانة حبيبة مسيكة، وعندما يئس في استمالتها، وأفلس، قرّر الانتقام منها، فقام عام ١٩٣٠م بحرقها، ومات معها في الحادثة نفسها، وقد تعرضت السينما التونسية لهذه المأساة في فيلم «رقصة النار» للمخرجة مفيدة التلاتلي.

وقد تم تحويل هذا المعلم إلى دار للثقافة تحمل اسم «إبراهيم الرياحي»، وهي تقع في المدينة العتيقة. ويذكر الأستاذ أحمد الحمروني «أن معمارها وزخارفها تدل على محاولة الجالية اليهودية الاندماج في المجتمع المحلي».

عرض أزياء




رقصة شعبية

الماء والخضرة والجمال

لا يكاد يخلو تقرير من تقارير الرحالين الذين زاروا تستور من ذكر للزراعة والنشاط الفلاحي بها، ومن إعجاب كبير ببساتينها وثمارها المختلفة، والواقع أن الدّارس لتاريخ الأندلس عمومًا، وما بلغته الفلاحة بها من تطور بفعل الظروف الطبيعية من ناحية، والتقنيات والطرق المحدثة من ناحية ثانية، لا يستغرب ذلك. فالأكيد أن المهاجرين الأندلسيين إلى توني، وخصوصًاالوافدين على تستور، وأغلبهم من سكان الأرياف الإسبانية قد جلبوا معهم أساليب فلاحية متقدمة بالنسبة إلى زمانهم، من ذلك تمهيد الطرقات، وحفر القنوات، وإقامة الجسور، واستعمال الخريطة Car-reta للنقل، والطاحونة لرحى الحبوب، وعصر الزيتون، والناعورة لاستخراج مياه الآبار، وإقامة السدود على وادي مجردة للريّ (١٨). ويرجع إليهم الفضل كذلك في جلب عدة زراعات غير معروفة في البلاد، وبخاصة تلك التي جلبها الإسبان من العالم الجديد على أثر الاكتشافات الجغرافية الكبرى، مثل: البطاطا، والطماطم، والفلفل الهندي...

كما لا يخفى على أحد أن المناطق التي اختارها الأندلسيون في تونس هي من أخصب الأراضي؛ إذ لا تكاد تختلف كثيرًا عمّا ألفوه في إسبانيا، سواء تلك الموجودة في الوطن القبلي وبنزرت، أو في زغوان وتستور وغيرها من مناطق مجردة السفلى...

ولئن كانت هذه المناطق مستغلة بشكل جيد خلال العهود السابقة، وبخاصة في العهد الروماني عندما كانت تونس أهم مزوّد لروما بالحبوب، بما فيها القمح الذي تشتهر به ولاية باجة التي أطلق عليها وصف «مطمور روما»، إن هذه المناطق كانت مهملة عند وصول الأندلسيين إلى تونس بفعل الانهيار الدّيموغرافي، وتواتر الكوارث الطبيعية، مثل: الجفاف، والأوبئة، والمجاعات، وعدم استقرار الأوضاع الداخلية على أثر انهيار الدولة الحفصية عام ١٥٧٠م، وتحوّل تونس إلى إيالة عثمانية غير مستقرة بسبب الصراع بين الدّايات و«البايات»، بعد أن تمّ إقصاء الباشاوات مبكرًا، وتصفية الضبّاط السّاميين «البولكباشية» منذ عام ١٥٩٠م، وكذلك اضطراب الأوضاع الخارجية ممثلة في الحروب مع الجزائر عامي ١٦١٣ و ١٦٢٨م، والمناوشات مع المسيحيين على الشواطئ، وقد أحيا الأندلسيون هذه الأراضي، وحوّلوها إلى واحات خضراء تغنّى بسحرها الرحالون.

من ذلك ما كتبه الرحالة الورتيلاني واصفًا مزارع تستور عام ١٧٦٨م: «وهذه القرية لا سور فيها، ذات بساتين ومزارع كثيرة، وفواكهها قليلة الوجود، فلا نظير لها أبدًا، فمن رآها استعظمها وتعجّب منها، يستحليها

الناظر، ويتمناها المقيم والمسافر...» وعن ثمارها كتب الرحالة خيماناث «ولهم أجنّة جميلة في الضواحي، وثمار جيّدة، كالإجاص، والخوخ، والسفرجل، والرمان، والبرزقان، والمشمش، والعنب، وغيرها. ولهم بطيخ لذيذ، وتين هما الآن الأكثر توفرًا...»، بينما ذكر ديفونتان «زراعات مثل الزعفران والتوت الأبيض...». جاء بالأرشيف العسكري الفرنسي في التقرير الخاص بتستور ذكر لبساتين يزرع بها الفلفل والفول والجلبان وخضراوات أخرى مخصصة للاستهلاك المحلي فقط.. كما اشتهرت تستور أيضًا بإنتاج الأجبان، وبخاصة تلك المستخرجة من لبن الماعز.

طبيعة تستور



لقد كانت تستور حسب قول الرحالة بليفير الذي شبهها بالريف الإنجليزي، أهم سوق مزود لتونس العاصمة عام ١٨٧٦م، غير أن هذا الدور سرعان ما تراجع بسبب إثقال كاهل السكان بالضرائب، إذ تؤكد التقارير العسكرية الفرنسية تقلصًا كبيرًا في الإنتاج الفلاحي عمومًا عام ١٨٨١م.

كلمات من القلب:

«أمي لقد سافر حبيبي ولن يعود

فماذا أفعل يا أمي؟

أنا لن أحب إلا صديقي الأسمر» (١٩).

هذه عينات من أغانٍ شعبية نصفها بالعربية، ونصفها الآخر بالإسبانية، تبكي فراق الحبيب ونفيه، تبكي نفي الموريسكيين. الأكيد أنه الندم على «قرار» ظالم عدّه بعض الباحثين «كارثة اقتصادية عظمى» لإسبانيا، و«إضعافًا لطاقتها البشرية» (٢٠).

والأكيد أيضًا أن هذا يساعدنا على فهم ما نسمّيه بالانغلاق الذي ميّز الموريسكيين، وجعلهم يفضلون العزلة على الاختلاط بالسكان في بداية الأمر؛ إنه التعلق بالوطن - إسبانيا - وما احتفاظهم بمفاتيح بيوتهم إلا تعبير عن الرغبة في العودة إليه في يوم ما. وعندما لاحت لهؤلاء في تونس «تباشير صبح الحياة الكريمة، حياة الحرية العقائدية والمساواة والأمن وعزة النفس، أقبلوا على العمل والإنشاء» (٢١).. ولولاهم لما كانت تستور التي كتب عنها ابنها أحمد الحمروني أجمل كلام وأرقه: «إني مسكون بتستور، إليها أنظر بعين الفنان، وقلب العاشق الولهان، فلا أراها إلا محتفلة بتراثها، مشرقة بأحلامها.. محراب الجامع مثلث على مقوّس، حوار تسامح بين الأديان.. يأخذك إلى عتمة

الخشوع الظاهر، ونور الباطن، يخرج من قبلته إلى باب البطحاء ينادي أهل الدنيا إلى حياة الروح، إلى العشق الأزلي، يغريهم بجماله الكنائسي، الصومعة تشع على محيطها المعماري، تدعوه إلى التسامي ليشاركها نشوة الطموح.. كيف أودعك يا تستور الساكنة فيّ، وأنت روحي وهويتي؟...».

وعلى غرار الحمروني كانت تستور وتراثها الأندلسي محل اهتمام التونسيين والأجانب، سواء المتخصصون في التاريخ والآثار، أو طلبة المعاهد التكنولوجية والهندسة المعمارية، وطلبة الفنون الجميلة، أو من الأدباء والفنانين.. ومن أهم الرسامين الأجانب الذين فتنوا بتستور السويسري جاك فينر Jaques Feiner، ومن الذين اهتموا بتدوين أغانيها ومالوفها الألماني روبرت لخمان R. Lachmann المختص بالموسيقا الشرقية، وعلم الموسيقا المقارن خلال الثلاثينيات من القرن العشرين. وفي مجال السينما اهتم بها المخرج لطفي السيّد [٢٢]. ولعل الحظ الأوفر كان من نصيب الصحف والمجلات والنشرات الصادرة خاصة عن هيئة مهرجان المالوف، ومؤسسة التميمي، ومركز الدراسات الإسبانية الأندلسية، والمعهد الوطني للتراث بتونس، والإذاعات الوطنية، ومنها إذاعة الكاف.

الهوامش والمراجع

١. بذل الأستاذ أحمد الحمروني جهودًا كبيرة لتفسير لفظ «تستور» ومما ذكره أنها تعني «الشهود» بالإسبانية و«القلعة» بالبربرية...إلخ.
٢. أغلب هذه المواقع وغيرها سابق للحضور الروماني في المنطقة.
٣. الموريسكيون: تعرّفهم المؤرخة الإسبانية مرثيدس غرثيا أرينال بأنهم «أولئك المسلمون الذين عاشوا في إسبانيا بعد استرداد شبه الجزيرة بالكامل عام ١٤٩٢م، والذين أجبروا على اعتناق المسيحية».
٤. محمود الورداني «جريدة أخبار الأدب» المصرية، العدد ٥٤٦، ص ٣٠.
٥. وردت هذه الأرقام بكتاب «بحوث عن الأندلسيين في تونس» تأليف جماعي. المعهد الوطني للتراث، تونس، ١٩٨٣م.
٦. أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الجزء الثاني، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٩م، ص٣٥.
٧. أحمد الحمروني، تستور: تاريخ ورحلات، ميدياكوم، الطبعة الأولى، تونس، ١٩٩٤م، ص٦٣.
٨. د. نقولا هوبكنس من مقال «نبذة تاريخية عن تستور» ورد بكتاب «بحوث عن الأندلسيين في تونس» تأليف جماعي، صادر عن المعهد الوطني للتراث، تونس، ١٩٨٣م، ص٧٣.
٩. من الألقاب التي ذكرها لي بعض من التقيت بتستور: مركيكو، ماركو، مريشكو، بن هجالة..
١٠. أحمد الحمروني، المرجع السابق.
١١. الباي: حمل هذا اللقب ملوك تونس حتى الاستقلال، وهو يعني في بداية ظهوره الشخص المكلف بجباية الضرائب، ومراقبة القبائل، وكانت تعينه على ذلك فرقة عسكرية تسمى «المحلّة».
١٢. أحمد الحمروني، المرجع السابق.
١٣. ينتسب الوسلاتيون إلى جبل «وسلات» ثاروا ضد السلطة الحسينية في القرن الثامن عشر، وساندوا علي باشا في تمرده ضدّ عمه حسين بن علي عام ١٧٢٨م، وبعد انتهاء الفتنة شتتهم الحسينيون. فالتجأ بعضهم إلى تستور.
١٤. أحمد الحمروني، المرجع السابق.
١٥. كما في الكنائس توجد بصومعة الجامع الكبير بتستور ساعة عجيبة تشتغل عقاربها من اليمين إلى اليسار، لم يبق منها اليوم سوى آثارها.
١٦. من أشهر الروايات الشفوية في تاريخ تستور.
١٧. الداي: ضابط صغير يرأس فرقة من الجيش الانكشاري تتكون من ١٠٠ جندي، وقد تمكن الضباط الساميون«البلوكباشية» عام ١٥٩١م، قبل أن تتم إزاحتهم من طرف البايات المراديين عام ١٦٤٧م.
١٨. أحمد الحمروني، المرجع السابق.
١٩. بحوث عن الأندلسيين في تونس، تأليف جماعي، المعهد الوطني للتراث، تونس، ١٩٨٣م.
٢٠ و ٢١. المرجع السابق.
٢٢. له فيلم قصير عن تستور، كتب نصه أحمد الحمروني الرئيس الشرفي لمهرجان «المالوف بتستور حاليًا».

❖ أتوجه بالشكر للمصور إبراهيم جعفر على الصور التي أثرت هذا الاستطلاع





ما زال منهم هناك

فيصل أكرم

الرياض ـ السعودية

وتوسَّعتْ فيهم قواميسُ المدائن والقرى
نزلوا على كل الشواطئ
كلُّ برٍّ كان يتبعهم، ويمنحهم من الطين المبلّل
ما ترقّ به الشفاه..
كلّ من منهم سيحكي أنهم كانوا هناك..
نظروا إلى الأوراق، حين اخضرّت الأوراقْ
ذهبوا إلى الوادي
وتأمّلوا ترنيمة الشادي، وشدّوا أزرهم
مُذْ دفعة الميلاد مدَّتْ بالحلوق إلى الهواءْ..
كُتبتْ بهم أسماؤهم
وتخرّجتْ من كل عين دمعةٌ
فتمكنّتْ منها الرموشْ
الدربُ طال،
وكم هو التقصير في خطْو الذين تمرّدوا
كسروا الحصار، وفي الغبار تشرّدوا
لا الحفرة الأولى تخطّاها رحيلٌ أولُ
لا الارتفاع سما بهم حتى الضياع..
ولم يته عنهم دليلٌ واحدٌ
حتى يكون المستحيلُ مؤاخذًا، في وقته
هم يعرفون..
هم يسمعون، ويكسرون القولَ
إن كان الذي سيقول آخرَ واحدٍ
منهم.. فما جدوى المقال؟
من يستطيع حماية البلّور في طبقاته،
لو لم يرَ النجم الذي احتفظتْ مسافتهُ بهِ؟
هم يكسرون..
هم يسمعون، ويعرفون حقيقة الأضواء
تنطفئ الحياةُ، ولا يقلّ الضوءُ
تشتعل الحياةُ.. ولا يزال الضوءُ أعلى
من رمادٍ كان كلَّ حياتهم
قبل انخفاض الموج عن شهقاتهم
والبحر ما زالت ملوحته تشدّ الجرحَ
تفتنه بياضًا
ثم تترك في سريرته سوادًا
لا يقرُّ..
ولا إذا اضطُهدتْ قرارته يفرُّ
لأنهم يمشون داخل كل جرحٍ بينهم
وسيأخذون مكانهم
في قلب من كانوا لهم
وسيأخذون إلى المكان حياتهم، وسيرحلون..
هم في الطريق إلى العبورْ،
هم في الطريق إلى الطريقْ،
هم في الطريق إلى العبور إلى الطريق..



رجوع

حفيظ الدوسري

الخرج ـ السعودية

الأغاريدُ لم تنقطع

والبلادُ البعيدةُ

لم تحتفلْ

بالرجوعْ..

والبريقُ الذي

في عيوني

خشوعْ..

والدماءُ التي

في وريدي

دموعْ..

لا تقولوا: شموعْ..

لا تزيدوا الدموعْ..

البقايا التي

في فؤادي..

ركوعْ..

لا تقولوا: خنوعْ

ربَّما قد نجوعْ

ربما نتعرَّى

ولكننا دائمًا

نتمنّى الرجوعْ



كي لا يهرب العصفور

جابر أبو حسين

دمشق - سورية

وَرْدي يفتّح كلَّما

يحبو نهارُك باتجاهي

يا حبيبي

أبلهٌ

ذاك السؤالُ

لأنَّ في أرحام قلبي (عشتروتَ)

وأنتَ بذرتُها

ستحتفلُ الطبيعةُ بالخطيئةِ

إنْ أردتَ

فكيفَ ننجو

من عقاب البوحِ؟

قلْ لي:

كيفَ تنمو تحتَ وطأةِ خوفِنا؟

لا .. لن أجيبَ الآنَ

إن تسألْ

لكي لا يهربَ العصفورُ

من شفةِ الجوابِ

الآن يكفي أن يحلّقَ داخلي

يختار أغصانَ المدى

ليُظلِّنا في ظلِّها

آنَ المسافةُ تعترينا

بينَ مدرستي وبيتي

شاسعٌ أسبوعُ هجرتِكَ الأخيرةِ

ضيّقٌ شبَّاك غربتنا

وصوتُك يرتمي حولي

يحرّضُ وجنتيَّ

أضيءُ

أذهبُ نحوَ نافذتي

لأشرقَ في دموعِكَ

كيف أبدو الآنَ

هل أبدو مشاكسةً

كما يحلو لغيمِكَ أن يراني

أم مراهقةً تحدّدُ شكلَ نهديها غدًا

أمْ طفلةً تأوي إلى دفءِ الحكايات الغريبةِ

ثمَّ تمسكُ شهرزادَ على وسادةِ قلبِها

أم جملةً شعريةً

نضجت لتصبحَ منهجًا

في كونِ شاعرها المحاصَرِ بالمدينةِ

والمدارسِ

والنساءِ العابراتِ

وكيفَ تسألُ يا قُراي

وفيكَ أولُ نبعةٍ

أدركتُها ترنو إلى عري القناديلِ الخفيّةِ

أنشـــــودة لصـغـيـرتي كـــي تنـــام

علي عبدالرحمن جَحَّاف

صنعاء ـ اليمن

عَيْني سَريرُكِ يا ابْنَتي

نامي بعَيْني واسْتريحي

إنّي فرشتُ لكِ الجُفو

نَ ولو قدرتُ فرشتُ روحي

تَتبسَّمينَ

فتضحك الأيَّامُ لي

ولَطَالَمَا أَدْمَتْ جُرُوحي

وتُتَأتِئينَ

فما الفصاحةُ؟ أنتِ سيّدةُ الفصيحِ

وتُزَقزقينَ

فكلُّ صادحةٍ تَودُّ غناءَ ما شفتيكِ تُوحي

تستحمُّ بدفءِ ضحكتِها الخجولةِ

ثم تولدُ في دمشقَ

دمشقُ تخرجُ من بساتيني وأعشقُها

دمشقُ تكبرُ

تدخلُ في شراييني لأحياها

وأنتَ تحبُّني





في لحظة ما..

نارمان عبدالإله العالم

الرياض ـ السعودية

توقعتُ أن أرى كل الناس في هذه اللحظة إلا هي!

كان وقت الظهيرة وكنت أعرف بأن لا أحد سيعودني في هذا الوقت لأنه فترة عمل الموظفين. وعندما طُرق الباب توقعت أن يكون الطارق ممرضة، ولكني عندما رأيتُ وجهها المستدير من وراء الباب أُصبتُ بدهشة كبيرة. قالت مبتسمة وهي تخطو إلى الداخل:

. أتسمح لي؟

فابتسمت قائلاً:

. لقد دخلت!

لا أدري ما الذي جعلني أردّ عليها هذا الرد؟! فبعد تلك الفترة الطويلة من الانقطاع كان لابد أن يحدث تغيّر ولو بسيطًا ولكن الأمر مختلف في هذه اللحظة، فكل شيء يحدث كما سابقًا: فقد كانت دائمًا تقتحم عليَّ مكتبي وبعد أن تتوسط الغرفة تقول مبتسمة: «أتسمح لي؟» وأجيب عنها بدوري: «لقد دخلت». هكذا كنّا نفعل دائمًا وهذا ما فعلناه. كأن هذه اللحظة قد انتزعت من لحظات الماضي، فها هي بشعرها الأسود المنسدل على كتفيها، ومشيتها السريعة، وابتسامتها المحببة إلى نفسي، أمعقول أن تكون ابتسامتها محببة إلى نفسي إلى الآن؟!

كانت تحمل بين ذراعيها طاقة من زهرة البنفسج، وضعتها على المنضدة التي بجواري ثم قعدت على كرسي قريب وقالت بتلقائية:

. سمعت بدخولك المستشفى فرأيت أن أعودك، كيف حالك الآن؟

. بخير، شكرًا على سؤالك.

قالت وقد ضخمت صوتها:

. ليس بيننا رسميات، إنني إن فعلت ذلك فكأنني فعلته لنفسي.

لم أستطع أن أتمالك نفسي فضحكت، وضحكت هي حتى خلت الغرفة قد اختنقت من ضحكاتنا، لقد استطاعت أن تقلدني، فهذه الجملة كنتُ أقولها دائمًا حين تشكرني عندما أفتح لها غطاء زجاجة العصير. كنتُ أضحك بسعادة، وهي كذلك خلتها تضحك بسعادة. تحدثنا طويلاً في كل شيء بدءًا من الطقس حتى أسعار العملات ولكننا لم نتطرق إلى الموضوعات الشخصية ولم نذكر شيئًا عن الماضي، وهذا ما جعلني أتحسس بين الحين والآخر فراشي لأتأكد من أني مستلق عليه حقيقة ولست في خيال ومع ذلك، ينتابني شعورٌ بأن هذه اللحظات التي أعيشها معها تحت سقفٍ واحد حلمٌ سوف يتلاشى.

نظرتُ بطرف عيني إلى طاقة البنفسج، إنها الزهرة المفضلة لديها، وتذكرتُ عندما أهديتها أول وردة، قالت بانزعاج:

. لا أدري لماذا تُغرَمون بالورود؟!

أجبتها بعد تفكير قصير:

. لأنها تعبّر عن المشاعر.

. حسنًا، إن أردت أن تعبِّر عن مشاعرك فعبر عنها بزهرة البنفسج.

. وماذا تعني هذه الزهرة؟

. لا أدري ماذا تعني ولكنها المفضلة لدي.

ومن حينها أُهدي لها زهرة البنفسج في كل المناسبات.

قطعت تفكيري حركتُها وهي تقوم وتتجه نحو النافذة، كنتُ لا أرى منها إلا جانب وجهها الأيسر وهي تتأمل الحديقة، كانت ملامحها هادئة لم أتبين من خلالها فيم كانت تفكر.

ساد صمت طويل كنت خلاله أسترجع آخر اللحظات التي قضيناها معًا قبل الانقطاع. ما كان ذلك الشيء الذي جعلني أتخذ بكل برود قرار السفر؟! وأي نوع من الأحجار تلك التي استبدلتها بقلبي فلم أكترث لدموعها وتوسلاتها؟! وهي، أي من القطبين اكتست حتى لا ترد على

رسائلي؟! الشمالي أم الجنوبي؟

نظرتُ إليها مرة أخرى، كانت لا تزال في مكانها هادئة يحيط بها سكونٌ مريح، سكون يدل على صفاء السريرة فابتسمت وتناولت طاقة البنفسج بين ذراعي ثم دفنتُ وجهي فيها أملأ رئتي بعبيرها الذي غيّبني في حلم جميل.

أيقظني صوتها:

- ما رأيك فيها؟

- جميلة، جميلة جدًا.

قلت ذلك بابتهاج وسرور، ثم أردفت:

- هل عرفتِ معناها؟

ضحكت ضحكةً قصيرة وقالت:

- صدقني، إني أحب البنفسج دون أن أعرف عن ماذا تعبر، وفي الحقيقة، لا أهتم لذلك فهي على كل حال زهرة ولن تعبِّر عن شيءٍ سيئ.

ثم حملت حقيبتها قائلة:

- لقد أمضيتُ معك وقتًا ممتعًا.

ثم سكتت كأنها تنتظر مني أن أقول شيئًا. وسكتَ، فما كنت أتوقع أن تنتهي هذه اللحظة هكذا فجأة كما بدأت، ومرّت عدة ثوانٍ ونحن على هذه الحال قطعتها بابتسامة عذبة قائلة:

- إلى اللقاء.

ثم التفتت متجهة نحو الباب بخطواتها السريعة. حينها، أفقت.. وحينها، كان عليَّ أن أتشبث بها، كنت أشعر في هذه اللحظة أن واحدًا منا بحر والآخر سمك وأنه لا يمكن أن يحتوي البحر غير السمك، وأن السمك لا يمكن أن يعش من غير بحر. كل تلك المشاعر تزاحمت عندما وضعت يدها على مقبض الباب حينها، ناديتها باسمها وفي الوقت نفسه التفتت إليّ ونادتني باسمي ثم ضحكنا؛ فقد كان دائمًا هكذا في الماضي، عندما أوصلها مقرّ عملها أو إلى بيتها وقبل أن تلج - هي - إلى الباب وأنا إلى سيارتي نتوقف في اللحظة نفسها وينادي بعضنا على بعض، ثم نمكث دقائق أخرى في الطريق كل واحدٍ منّا يحث الآخر على أن يتكلم أولاً، وكثيرًا ما تهاتفني من مقرّ عملها قائلة بغضب مصطنع:

- أرأيت ماذا فَعَلَت لباقتك؟ لقد تأخرت عن عملي ماذا لو تكلمت أنت أولاً؟

وأجيبها قائلاً:

- لقد قصدت ذلك حتى تبقين معي أطول مدة ممكنة.

هكذا كنا دائمًا إلا في آخر لقاء بيننا قبل الانقطاع، فقد افترقنا دون أن ينادي أحدٌ منا على الآخر.

قالت وهي لا تزال تضحك:

- ما كنت تريد قوله؟

- قولي أنت أولاً.

وهمّت بأن تعارض لولا أن سمعت الممرضة تنبه على انتهاء موعد الزيارة فقالت:

- حسنًا.. حسنًا.. أنت ربحت هذه المرة.

ثم أخرجت ظرفًا من حقيبتها وتقدّمت نحوي مناولة لي إياها وقالت محذرة بسبابتها ثم أردفت:

- والآن ماذا كنت تريد أن تقول؟

كانت مفاجأة عظيمة عقدت لساني، وشلّت تفكيري، أهكذا بسرعة ينتهي كل شيء؟!

كانت لا تزال واقفة تنظر إليَّ، وأنا أنظر إلى البطاقة التي ذكرتني بتذاكر السفر وكأن الزمن يعيد نفسه مرة أخرى ولكن بفارق بسيط وهو أني لن أتوسل إليها لتبقى لأنه ليس هناك أي احتمال ولو ضئيلاً لأن تبقى.

قلت لها وأنا أجتهد لأبتسم:

- إلى اللقاء.

وكأني لمحت وميضًا في عينيها لم أفهم مغزاه، تلاشى بسرعة وحلّ مكانه نظرتها العادية.

لوّحت لي بيدها ثم أسرعت نحو الباب وخرجت منه كالبرق وعادت الغرفة خالية كما كانت لا أثر لوجودها إلا من طاقة البنفسج.

أغمضتُ عيني على دمعة كادت تخرج، كان كل شيء غريبًا عليَّ لم أفهمه؛ كان لحضورها معنى، ولهدوئها وهي تقف أمام النافذة معنى، ولسكوتها في آخر اللقاء معنى، وذاك الوميض الذي لمحته في عينيها معنى، كل تلك المعاني لم أفهم منها شيئًا فقد ظللتُ جاهلاً بها كما أجهل معنى زهرة البنفسج.



خليل السواحري

عمّان ـ الأردن

الآن فقط عرفت ما الذي شدّني إليه. عرفت سر هذه الرغبة الملحّة في مغادرة شقتي للحوار معه، رغم برودة الجو في المدينة الموغلة في الصقيع. في هذا الفضاء ذي البنايات المتقابلة حول خلاء أخضر، تشوبه صفرة أوراق تذروها رياح الخريف في زوايا الأرصفة والبنايات.

مدينة «هلستا همر» السويدية تبدو غارقة في البرودة، برودة الجو وبرودة التواصل مع الآخرين، وبرودة الانزواء الموحش حتى الموت. لا شيء هنا يتحرك حتى في ضحى النهار، السكون يستولي على كل شيء، على شرفات الشقق ونوافذها، وعلى الشوارع الخالية من السابلة والضجيج. هنا تنطلق الدراجات منذ الصباح الباكر يمتطيها الطلبة المتوجهون إلى مدارسهم والعجائز الذاهبون إلى التسوق، عالم آخر مغاير تمامًا لذلك العالم المتدفق الذي غنّى له «سيد درويش» البنت دي قامت تعجن من الفجرية، والديك بينده كوكو في الفجرية.

عشرات الشقق في هذا المجمع السكني تبدو ميتة، لا شيء يؤشر على الحياة فيها سوى أضواء خافتة يمتصها السكون، أضواء تبدو هي الأخرى باردة مثل أرصفة هذه الشوارع المحاصرة بالثلوج والأشجار الممتدة إلى ما لا نهاية.

كنت أخرج إلى الشرفة للتدخين فقط، هنا لا يدخنون في المنازل، يرتدون معاطفهم، يخرجون إلى الشرفات الباردة، يسابقون النار المشتعلة في سجائرهم ليدلفوا إلى المنازل من جديد، وكأنهم يهربون من الصقيع إلى الصقيع.

بمحض المصادفة لفت هذا العجوز انتباهي فأخذت أراقبه، أتابع نزوله اليومي من شقته في الدور الثاني من العمارة المقابلة، في حوالي التاسعة صباحًا والخامسة مساءً، كان يهبط إلى موقف السيارات المجاور للساحة، يدور حول سيارة ظلت تربض هناك بعيدًا عن الشوارع، يفتحها يخرج من داخلها خرقة التنظيف، يمسح بقعة هنا أو غبارًا عالقًا هناك، يتفقد إطاراتها، يدور حولها من جديد، أحيانًا كان يفتح صندوقها الخلفي وكأنه يتفقد شيئًا، يغلق الصندوق، ويعيد الخرقة إلى موضعها تحت مقعد السائق، يربت على السيارة يبتعد عنها خطوات قليلة يتأملها، ثم يعود يربت عليها، كأنه يتلمس عشيقة يلتقيها بعد طول غياب.

هذا الحوار اليومي بين العجوز وسيارته كان يستمر بضع دقائق، يطول أو يقصر وفقًا لحالة الجو، أو ربما لحالة العجوز النفسية، ولكنه حوار لم ينقطع يومًا، راودني حب الاستطلاع أو ما هو أكثر منه للتعرف إلى الرجل، لعلي أكتشف سر هذه العلاقة الغريبة بينه وبين سيارته.

هذا الصباح قررت النزول إلى الساحة والمرور من جانبه واختلاق ذريعة ما لفتح حوار معه، وحين طرحت عليه تحية الصباح ردها علي باقتضاب شديد وكأنه يستغرب أن يقوم أحد بطرح السلام عليه، فالناس هنا يلتقون في الشوارع والأسواق دون أن تلتقي عيونهم، ودون أن يبادر أحد بطرح السلام على أحد، تمامًا مثلما تلتقي الأشباح.

لم يلتفت العجوز إليّ، فهو لا يتوقع أن أدير معه حوارًا أو حتى كلامًا عابرًا، وانصرف إلى سيارته دون أن يعبأ بي أو تلتقي عيوننا، ومضيت في طريقي على أمل أن أعاود الكرة في يوم آخر.

صبيحة اليوم التالي وقبل موعد نزوله كنت أتمشى في الساحة أدخن وأسترق النظر إلى مدخل البناية في انتظار نزوله.

كان متهدمًا ينوء تحت وطأة سنوات طويلة من الإهمال، وهذا المعطف الرمادي لم يبارح كتفيه منذ بدأت أتابع نزوله وحواراته اليومية مع السيارة. قلت له:

- هل هذه السيارة للبيع؟ أراك تتردد عليها كل يوم، ولكنني لم أشاهدك تسوقها.

انتفض العجوز وكأنه يصحو من حلم بعيد، حلم يمتد إلى البدايات الأولى حين كان للسيارة معنى آخر غير هذا الطواف من حولها، وكأنها أيقونة يبتهل إليها أو يستنهض منها ذكريات ما، وكم من الذكريات تستطيع هذه العلبة من الصفيح أن تختزن؟

قال وهو يختنق بالكلمات:

- كنا نسكن جبل إيكمان المطل على سراييفو، نهبط أو نصعد تلك الشوارع المتعرجة المسيجة بالخضرة والسقوف القرميدية. حين غادرنا في ذلك الصباح الأسود، كان البيت قد احترق بأكمله، وحدها السيارة لم تحترق لأنها كانت خارج المنزل، هبطنا دون أن نحمل شيئًا لأنه لم يبق ثمة شيء نحمله، عبر شوارع سراييفو التي يملؤها الدمار، بنايات تحولت إلى أنقاض، إلى ركام أسود بعضه لا يزال يحترق، هياكل سيارات ومدرعات متفحمة اتخذ منها المقاتلون متاريس يحتمون بها من رصاص القناصة الصربيين.

وصلت إلى هنا وحيدًا، زوجتي ماتت جوعًا وإرهاقًا وخوفًا، وابنتي سقطت صريعة برصاصة قناص صربي بينما كنا نجتاز حدود المدينة، وحدي نجوت، وهذه السيارة هي كل ما تبقى من الوطن ومن الأهل أيضًا، هنا وجدت المأوى الآمن. لو كان بالإمكان استرجاع الموتى لكانت زوجتي وابنتي هنا، كل يوم أسمع صوتهما وهما تهبطان من السيارة بل وأراهما تهبطان منها وتصعدان الدرج إلى هذه الشقة الغارقة في وحدة تشبه الموت.

غابت عني كل الكلمات التي يمكن أن تعبر عن تعاطفي معه، صمت قليلاً؛ ثم استطرد:

- هل يبيع أحد وطنه أو بقايا وطنه؟ إن بيعها يعني بالنسبة إلى الموت، هذه السيارة هي الرمز الوحيد المتبقي لديّ من أسرة ضاعت، تناثرت مثل أشلاء عمري الذي يوشك على الانطفاء. اسمع إذا كنت ترغب في شراء سيارة فهناك أكثر من مكان لهذا الغرض، يمكنك العثور فيه على السيارة التي تريد.

عاودني الإحساس الفاجع بالغم:

- أردت فقط أن أتحدث إليك. فالسيارة لا تعنيني في شيء.

كان وجهه مثقلاً بالحزن:

- هذه السيارة هي كل ما تبقى لي، كل شيء ضاع، الأهل والمال والعمر، لم يبق لي إلا هذه أستثير بها الذكريات، وأبكي حين أصعد إلى شقتي، لقد أصبحت جزءًا من تاريخي الشخصي، اشترتها لي ابنتي التي ضاعت على قارعة الطريق في سراييفو، تركتها تسبح في دمائها دون أن أتمكن حتى من تقبيلها أو ضمها إلى صدري، ها أنذا أعيش (هل أعيش حقًا؟) دون أن أجد من أجلس إليه، أو أحدثه أو أحتسي القهوة معه، لا أحد أشاطره السرير أو طعام الإفطار أو الجلوس إلى التلفاز.

لا أحد يزورني وليس ثمة من أحد أزوره، لا أحد سوى هذه السيارة أحدثها وتحدثني، أزورها في الصباح وقبيل المساء، أحيانًا تراودني الرغبة في النزول إليها ليلاً، أجلس فيها، أتحسس المقعد المجاور حيث كانت تجلس زوجتي.

حين أتحسسها أشعر بأن قشعريرة تجتاحني، هل تصدق أنني أحس بها ترتعش أيضًا، حين أتطلع إلى أضوائها الأمامية أو الخلفية أراها عيونًا حزينة تحدق بي والدموع تكاد تطفر منها.

كانت عيناه دامعتين، وجسده النحيل يرتعش، وكأن عاصفة توشك أن تذهب به. انصرف بدموعه عني وهو يتمتم:

الأرض الخراب

ملأى بالأنقاض والحطام

يا إلهي المنقذ: كل شيء يحترق

لكن النار لا تستطيع التهام كل شيء.❖

أعربت له عن أسفي الشديد. قلت له: بإمكانك أن تزورني، أنا أقيم هناك في الطابق الثاني، الشقة رقم ٣.

ولكن العجوز لم ينبس بشيء، أدار وجهه عني وكأنه يداري دموعه، تركني وعاد يدور حول السيارة يتلمسها، يمسح بأصابعه أضواءها، يفتح صندوقها الخلفي ثم يعيد إغلاقه، ويعاود الدوران من حولها كفراشة تحوم حول نار مطفأة.

❖ من قصيدة للشاعر الكرواتي «سريكو ديانا»

ردا على تعقيب المغرب الكبير عربي لا فرنسي

أكتب هذا التعليق ردًا على تعقيب الأخ الفاضل إسماعيل بلقاسم قراري الجزائري الأصل السوري إقامة، على ما نشر بعدد الفيصل رقم ٣٢٢ (ربيع الآخر ١٤٢٢هـ/يونيو ٢٠٠٣م المعنون « المغرب الكبير عربي لا فرنسي»..

بادئ ذي بدء أشكر للأخ الكريم إسماعيل بلقاسم قراري نخوته وشهامته ومروءته العربية، فالعرب من قديم أهل شهامة وعروبة، وهذا ليس بغريب عن ديارهم ومواطنهم، سواء في المشرق أو في المغرب؛ وأشكر له أيضًا غيرته على اللغة العربية، فكلنا مهتمون بأمر هذه اللغة الآن، سواء في المشرق أم المغرب، كما لا يسعني إلاّ أن أقدم شكري أيضًا للأخ على مشاطرته لي ومؤازرته في بداية مقالي بأن القرآن الكريم هو الحافظ للغة العربية مصداقًا لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لحَافِظُونَ﴾. الحجر:٩.

أما نقطة الخلاف التي لا يوافقني عليها الأخ الكريم هي وصفي لأهل المغرب بوصف لا يليق، كما يدعي حين قال: إنني قلت في تعقيبي «إن أهل المغرب يتكلمون الفرنسية بطلاقة، وتعدّ لغتهم الأولى»، ويقول أيضًا: «إن الحكم على بلاد المغرب العربي عامة بهذا الحكم غير صحيح، بل هو حكم جائر».وأقول للأخ إبراهيم: من أين لك هذا التصور الذي اعتمدت عليه حتى حكمت بهذا الحكم؟

والرد يتلخص في الآتي، وببساطة شديدة:

أولاً: إن هذه البلاد، وأقصد بلاد المغرب العربي، قد مكث فيها الاستعمار الفرنسي مدة تزيد على ١٣٠ عامًا، وأقصد الجزائر بالذات من هذه البلاد، وأعتقد أن هذه المدة الطويلة التي قاربت على القرن وثلث القرن قد كبلت هذه البلاد باللغة الفرنسية؛ لأنها قد عاصرت أكثر من جيل، وكلّ هؤلاء قد درسوا، بل تعمقوا في دراسة هذه اللغة منذ نعومة أظافرهم، حتى الذين تخرجوا في الجامعات منهم؛ مما جعلني أقول: إن هناك تأثيرًا شاملاً وكاملاً في أولوية هذه اللغة على اللغة العربية، فضلاً عن اعتبارها خلال فترة الاستعمار البغيض هي اللغة الأولى دون العربية!!

ثانيًا: كانت تأتيني مراسلات من أقارب لي عاشوا في الجزائر في السبعينيات من القرن الماضي (أيضًا من جزائريين من أهل الجزائر) وهم مدرسون للغة العربية، وليس اللغة الفرنسية، كانت تأتيني رسائلهم باللغة الفرنسية حتى العناوين، كانت تكتب بالفرنسية، وعلى سبيل المثال صورة مظروف وصل إليّ من ابن عم لي (من العائلة)، كان معارًا لتدريس اللغة العربية، ويكتب على مراسلاته العنوان باللغة الفرنسية، أرفق الكاتب صورة للمظروف، وصورة

أخرى من رسالة من أخ جزائري يعمل مدرسًا للغة العربية، يطلب مني بعض الكتب في اللغة العربية، ويقول بالحرف الواحد في رسالته، حتى أشتريهم أو أرسل لي بعضهم آخذ عنه نسخة طبق الأصل (PHob Copy) وأرجعهم لك شاكرًا ممتنًا.

وفي النهاية أرجو من الأخ بلقاسم قراري ألاّ يفهم من تعقيبي هذا على كلامه أني ضد اللغة العربية في بلاد المغرب العربي.. أبدًا أتمنى أن تسود العربية، ويشتد عودها ويقوى؛ فهي هُويتنا، وهي مسارنا، وهي مستقبلنا لأننا نحارب حربًا شعواء على هذه اللغة التي حفظها الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم خصوصًا في هذه الآونة التي تمر بها أمتنا العربية. ومن الدسائس والأحابيل التي تنسجها أمريكا ومن حالفها، وهم يحاولون طمس هويتنا ولغتنا العربية، ويُزجون بنا في حرب ضروس تحت مشعل صراع الحضارات والثقافات، وهذا - والله - زعم باطل، ووهم لا طائل من ورائه..

وأقول في نهاية تعقيبي: من لا يحافظ على هويته ولغته لا يكن محترمًا من الآخرين، ودعونا نكاشف بعضنا بعضًا بل نصارح أنفسنا بأن اللغة هي أساس حياتنا ومستقبلنا، وما حدث في العراق الشقيق ليس ببعيد عن أعين الجميع..

نسأل الله العلي القدير أن يهبنا الرشد في القول، والعزيمة في القصد، والتمسك بالهُوية، والحفاظ على لغتنا العربية؛ حتى ننجو من أحابيل الأمريكان وشركائهم.

إبراهيم عبدالوهاب شرف
المحامي لدى النقض
المدير العام للإدارة القانونية بجامعة المنصورة
مكتب بريد جامعة المنصورة ٣٥٥١٦ - مصر



آثار فلسطين والعراق

اطلعت في العدد ٣٣٧ من مجلة الفيصل على مقال نشر تحت عنوان «آثار فلسطين والعراق تحت الاحتلال» للدكتور فرج الله أحمد يوسف، الذي شدّني مقاله، ووجدت من واجبي أن أقدم بعض التعليق عليه؛ لما احتواه المقال من المعلومات الأكاديمية المهمة التي تستحق منا الشكر والتقدير. وأحسن الكاتب باختياره لقضية تعدّ من أهم القضايا التي يدور حولها الجدل بين الباحثين في علمي التاريخ والآثار الفلسطينيين، وهي «المصداقية التاريخية لروايات العهد القديم، وتزييف التاريخ الفلسطيني» وهي قضية كانت موضع بحث جامعي حصلت من خلاله على تقدير ممتاز؛ وأود أن أعلق على المقال بما يأتي:

- كانت مرويات العهد القديم تتمتع بالمصداقية بين الباحثين في تاريخ الشرق الأدنى القديم عمومًا والتاريخ الفلسطيني خصوصًا، إلا أن إخفاق الحفائر الأثرية في أرض فلسطين التاريخية في الكشف عن الوجه التوراتي ألقى بظلال من الشك العميق حول إمكانية كتابة تاريخ لأورشليم وفلسطين استنادًا إلى روايات العهد القديم، وقد طرحت هذه القضية وقضايا أخرى في عدد من المؤتمرات، كان من بينها مؤتمر أقيم في عمان في شهر أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠١م تحت عنوان «القدس: أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ»، شارك فيه نخبة من الأكاديميين وعلماء الآثار، أذكر منهم على سبيل المثال توماس تومبسون، ونيلز بيتر لامكة، والأثرية مارغريت شنايتر، وجون سترينج، وفي أغلب الأحوال يلاقي علماء الآثار في الغرب المهتمين بهذه القضية اضطهادات واتهامات محفوظة عن ظهر قلب لمعاداة السامية.

- إن التوغل الصهيوني في المؤسسات العلمية الأوربية والأمريكية التي تهتم بعلم الآثار الفلسطيني حاول دائمًا طمس المنحى العلمي والموضوعي في التنقيبات والأبحاث التي تصدر عنها لإبراز الوجه التوراتي للدولة العبرية في فلسطين المحتلة.

- قدم عدد من المؤرخين طروحات ترى أن المسرح الحقيقي للأحداث المروية في أسفار العهد القديم ليس في فلسطين التاريخية ومحيطها، فإذا كان د. كمال الصليبي رئيس قسم التاريخ السابق في جامعة بيروت الأمريكية قد تقدم بفرضية فحواها أن جغرافية التوراة ليست فلسطين، بل عسير في جزيرة العرب، فإن البروفيسور توماس تومبسون يرى أن أحداث التوراة لم تقع اصلاً، فهي نوع من القصص الذي ابتدعه مثقفون يهود من أجل التدليل على أفكار كانوا يعتنقونها، وتتصل بالخلاص الروحي، فلا يتوافر دليل على أن الإسرائيليين كانت لهم مملكة على النحو الذي ترويه التوراة أو على وجود قوة سياسية موحدة متماسكة هيمنت على فلسطين الغربية، فضلاً عن إمبراطورية بالحجم الذي ترويه الحكايات الأسطورية، ولا يتوافر دليل على ملوك

يدعون شاول أو غيره، ولا نمتلك دليلاً على وجود هيكل في أورشليم في هذه الفترة المبكرة. ومن خلال دراسته للتوراة يصل تومبسون إلى القول: «إن الثقة في وجهة النظر القائلة بأن التوراة وثيقة تاريخية هي في طور الانهيار، فقد تم التعبير عن الشك الواسع الانتشار، ليس فقط حول تاريخية آباء سفر التكوين، بل تاريخية القصص حول موسى ويشوع والقضاة وسائر الأسفار» كل ذلك يكشف أن اليهود جملة وتفصيلاً ليس إلا لحظة عابرة في تاريخ فلسطين القديم، والمأمول أن يكون كذلك في تاريخها الحديث .

- في كتاب «اختلاف إسرائيل القديمة وإسكات التاريخ الفلسطيني» لـ «كيث وايتلام»، ترجمة الهنيدي، عالم المعرفة، العدد ٢٤٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يرى وايتلام أن النموذج السائد حتى الآن نتيجة لتزييف التاريخ القديم للمنطقة على أيدي الباحثين التوراتيين هو أنه كان هناك «مملكة اسرائيلية عظمى»، حكمها داود، ثم سليمان، عليهما السلام، في فلسطين نحو عام ١٢٠٠ق.م، لم يتجاوز طول هذه الفترة ثمانين عامًا، ويوضح وايتلام أن هذا مجرد وهم زائف، ويدعو إلى إحلال نموذج آخر محله، موضحًا أن إسرائيل التاريخية هذه لم تكن إلا لحظة عابرة في مسيرة التاريخ الحضاري لفلسطين القديمة، وأن على الباحثين على كل المستويات الاهتمام بموضوع تاريخ فلسطين القديم، كموضوع قائم بذاته، وليس كخلفية لتاريخ إسرائيل، كما هو الحاصل في الدراسات العلمية اليوم، ومن ثم يدعو إلى ضرورة كتابة التاريخ الفلسطيني القديم من منظور فلسطيني؛ لأن المنظور الفلسطيني السائد الآن لم يركز في صراعه مع الصهيونية إلا في الفترة الحديثة لإثبات هويته القومية، والحصول على دولة خاصة به، فالتاريخ القديم قد تم التنازل عنه لمصلحة الغرب، ودولة إسرائيل الحالية.

وقد حدثنا وايتلام عن تهويد الأراضي الفلسطينية بقوله: «إن الإسرائيليين يعتقدون أن رسم الخرائط، وأعمال المسح الميدانية التي تجرى في الوقت الحاضر، وإطلاق الأسماء التوراتية على الأرض تعطيهم حق ملكيتها، كل هذا لمجرد إثبات أن لهم حقًا تاريخيًا بها، والواقع أن هذه الأسماء هي أسماء فلسطينية كنعانية قديمة، وهي التي كانت سائدة في فترة ما قبل وأثناء وبعد الوجود العبراني في فلسطين القديمة» . إن صح ذلك الوجود في الأصل - ثم يضيف قائلاً: إن هذا الموضوع يحتاج إلى جهد كبير من الباحثين العرب؛ لكي يستكملوا النقاط الناقصة في بحوث الآثار، ويثبتوا تحيز الباحثين الغربيين واليهود في كتابة التاريخ القديم.

هاني مشرف علي
جامعة عين شمس
كلية التربية - قسم التاريخ
الجيزة - مصر







اتهام الأشرار (*)

ترجمة: صلاح يحياوي

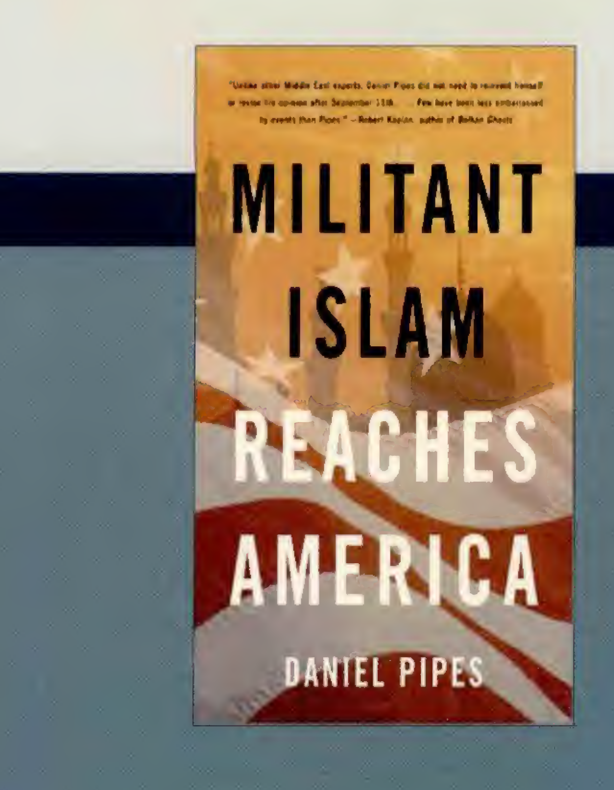
ماديسون ــ أمريكا

في مراجعة لكتاب «يبلغ الإسلام المناضل أمريكا» (١)، بقلم دانييل بايبس Daniel Pipes. تقول جوديث ميلر Judith Miller، وهي كاتبة رئيسة في Times، وقد ألفت مع أسطيفان انجلبرغ S. Engelber، ووليام برود W.J.Broad كتاب «الجراثيم: الأسلحة البيولوجية وحرب أمريكا السرية» (٢): إن دانييل بايبس يحدد هوية الإسلامية Islamism الاستبدادية كعدو لأمريكا.

احتدمت المناقشة اللاذعة في أحوال كثيرة بين الأكاديميين ومحللي الأمن القومي حول انتهاء احتمال أن يهدد الإسلام المناضل - أو الإسلامية Islamism - كما غدا يعرف - الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر.

إن تحذير الرئيس بوش للحركات والبلدان التي كانت سواء معنا أو ضدنا يتضمن حملة عالمية ليس فقط على القاعدة وطالبان، بل أيضًا على مجموعات إسلامية أخرى سعت إلى استبدال دول إسلامية بحكوماتها. أي دول محكومة بالشريعة أو بالقانون الإسلامي كما عرَّفها الإسلاميون.

أثارت كلمات بوش عددًا من الجماعات الإسلامية في الولايات المتحدة، وبما أن هذه الجماعات قد شجبت سياسات وقيمًا أمريكية قبل ١١ سبتمبر، وشجعت رفاقها المسلمين على التبرع بالمال «للأعمال الخيرية»، المال الذي مَوَّلَ الإرهاب في الخارج، فقد اندفعت إلى إدانة الهجمات، مطلقة على أفرادها اسم مواطنين، مؤكدة أن «إسلام» يعني «سلامًا»، ولكن وزير العدل جون أشكروفت J.Ashcroft تصرف بحماقة، وحصل على سلطات غير عادية ذات دستورية مشكوك فيها للتحري والمساءلة، وعلى أغلب هؤلاء المناضلين ألاّ يقلقوا. لقد قاومت الإدارة تعريف الإسلام المناضل كعدو، بخاصة في الوطن. لقد كان بوش غامضًا حول هوية أعداء أمريكا، لم يكونوا مسلمين مناضلين، ولا إسلاميين ناصروا قضية العنف، بل «أشرارًا»، «طفيليين»، أولئك «المُحَرَّضين بالكراهية».



«يبلغ الإسلام المناضل أمريكا»
دانييل بايبس

غموض

إن هذا الغموض هو في قلب المشكلة التي يُعَرِّفها دانييل بايبس في كتابه «يبلغ الإسلام المناضل أمريكا» الذي هو مجموعة من مقالات كان قد كتبها خلال القرن الماضي. إن بايبس مثقف عالم بالشرق الأوسط، بالإضافة إلى كونه مدمناً على الجدل العنيف، إنه القائل: إن الإدارة أخفقت بالفعل في تحديد الهوية الإسلامية نفسها، وأخفقت في استهدافها، وبخاصة الإسلامية ضمن أمريكا. لقد قصَّرت الإدارة عن الإدراك. ولما كان استهداف جميع الإسلاميين هو إقامة تيوقراطيات (دول خاضعة لحكم رجال الدين) أوتوقراطية مضادة للغرب في دولها شبه الدنيوية تقريبًا، فلا يهم أن يناصروا طرائق سلمية أو طرائق عنيفة.

إن الديمقراطية بالنسبة إليهم هي مجرد وسيلة أخرى إلى نهاية. وهو يحذر من تبوؤ الإسلاميين السلطة؛ لأنهم عندئذ سينبذون الديمقراطية، ويعارضون وجهات النظر الأخرى اللاهوتية والفكرية، ويحدون من حقوق النساء والأقليات الدينية، ويهدمون اقتصاديات البلدان الأخرى، ويعارضون إسرائيل، ويهود العالم، والولايات المتحدة والغرب.

يعتمد بايبس في تقويمه القاسي على السجل البائس للأنظمة الإسلامية المناضلة في إيران والسودان، وسابقًا في أفغانستان.. الأماكن الوحيدة حيث كانت الإسلامية قد انتصرت.

ويورد على سبيل المثال علي بلحاج مرشد جبهة الإنقاذ الإسلامي في الجزائر، الذي كان رابط الجأش للفوز بانتخابات عام ١٩٩٢م: «عندما نكون في السلطة، لن يكون هناك مزيد من الانتخابات؛ لأن الله سيكون حاكمًا». لقد شجعت هذه التصريحات الكليلة الطبقة الجزائرية الوسطى على السماح للجيش بإلغاء الانتخابات، وقبول الحكم العسكري القاسي الذي

يستمر حتى هذا اليوم. لقد قُتل في الصراع ١٠٠ ألف جزائري حتى الآن.

فـــــروق

يُعنى بايبس الدقيق بالتمييز بين الإسلام، العقيدة التي يمارسها ما يزيد على بليون مسلم، والإسلامية التي يدعوها إيديولوجية (مذهب) القرن العشرين الاستبدادية، يجادل بإقناع أن العلماء والرسميين يشددون على الفروق - أن الغالبية العظمى للمسلمين لا تتفق مع المقدمات المنطقية للإسلام المناضل، إن على الولايات المتحدة ألا تبحث عن «صِدام حضارات» (مفهوم هو يرفضه)، ولا عن مجابهة مع الإسلام نفسه.

كما أنه يرفض مع عدد من العلماء والمعلقين - فؤاد عجمي، وأوليفر روي، وأنا، بين آخرين - الذين قد جادلوا بأن النزعة الإسلامية المناضلة التي مثلها أسامة بن لادن قد بلغت الذروة، على الأقل في أغلب أراضي العرب، إنه يقول عكس ذلك: «إن الإسلامية كانت في صعود خلال ربع قرن كامل»، وهي تغدو أكثر صعودًا إلى أبعد حد.

يركز بايبس في أكثر الأحيان في التشابهات بين بنية الجماعات الإسلامية وطرائقها من جهة، وبنية الفاشستية وطرائقها والشيوعيين من جهة أخرى.

ففي الوقت الذي يحذر فيه من رؤيتهم كمكافئين، يتراءى لرسالته وجوب مقارعة الرجل الإسلامي الجديد بوسائل (تكتيكات) تشابه الوسائل المستخدمة خلال الحرب الباردة. إنه يجهل كلفة هاجس أمريكا مع الشيوعية، العبث الخطير بإبادة نووية، وانتهاك حقوق مدنية وحريات في الوطن، وعدم مبالاة في كثير من الأحيان بقبول أي حركة خارج الحدود مهما كانت فاسدة أو أوتوقراطية - بما في ذلك الجماعات

AUDIO
BIOLOGICAL WEAPONS AND AMERICA'S SECRET WAR
GERMS
JUDITH MILLER
STEPHEN ENGELBERG
WILLIAM BROAD
READ BY MURPHY GUYER

غلاف كتاب: الجراثيم: الأسلحة البيولوجية وحرب أمريكا السرية

الإسلامية المناضلة - إذا قَبِلَتْ الالتحاق بالولايات المتحدة في قتالها ضد الاتحاد السوفياتي.

يجادل بايبس بأن المسلمين المعتدلين الذين كان الراديكاليون قد أسكتوهم بتركيبة الجزرة والعصا، اشتركوا في جريمة النهضة الإسلامية.

وذكر أيضًا أن الإسلاميين هددوا، وقتلوا بعض أشد منتقديهم وضوحًا. ولكن من المؤكد أن جذور سلبية

لا يعير بايبس إلا القليل من الانتباه إلى إسرائيل وإلى الأسلوب الذي استطاع به الإسلاميون الإفادة من الحنق والغضب بحيث يحس عدد من المسلمين بما يحدث للفلسطينيين

يعتمد بايبس في تقويمه القاسي على السجل البائس للأنظمة الإسلامية المناضلة في إيران والسودان، وسابقًا في أفغانستان.. الأماكن الوحيدة حيث كانت الإسلامية قد انتصرت

المسلم الحديثة آخذة في التعمق، لا يعير بايبس كثيرًا من الاهتمام إلى هذه القضية الرئيسة التي تدعو إلى الأسف؛ لأنه يجادل بأن دعم الأصوات الإسلامية المعتدلة هو حرج يحول دون إلحاق الهزيمة بالإسلامية.

مع ذلك ليس هدف بايبس التحليل الدقيق. وهو يلح على أننا ما لم نركز في حرب ضد إرهاب الإسلامية، وبخاصة ضد الإسلاميين في الولايات المتحدة، فإن المناضلين سينتصرون.

جورج دبليو بوش

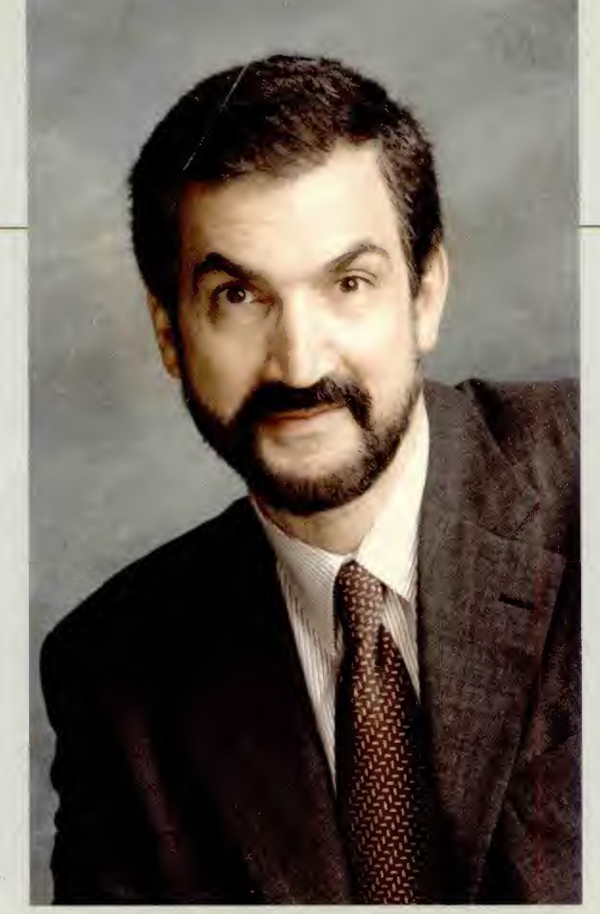


إن جهودًا من قبل الإدارتين السابقتين للتمييز بين الإسلاميين «الجيدين» و«السيئين» - على الرغم من مفهومية ذلك نتيجة لخوف واشنطن من الإساءة إلى المسلمين عمومًا - كانت في وجهة نظره إخفاقًا ذاتيًا، وهو يجادل على نحو مقنع بأن واشنطن بالفعل جهلت، لا بل تملقت الجماعات الإسلامية التي شجعت على نحو معلوم إرهابًا في الخارج ما دامت بقيت مسالمة ضمن الولايات المتحدة.

إن بايبس في أحسن أحواله في التهجم، وهو يبرهن على نحو مقنع بأن المناضلين قد ربحوا شرعيةً نتيجة لـ «نصيحة سيئة» قُدمت إلى حكومة الولايات المتحدة من قِبَل علماء على صواب من ناحية إسلامية. يتمسك بايبس بأن الفقر ليس مسببًا للإسلامية، ويرى أيضًا كيف أن أمة الإسلام بقيادة «لويس فرقان» قد أشعلت نار العداء للسامية بين الأمريكيين السود.

ومع ذلك لا تزال هناك مقالة أخرى تستنكر المدى الذي بلغته بعض الجماعات الإسلامية لبلد ما هي الأكثر بروزًا - أو الأكثر صراحة بتوليها الدفاع أو مساندة الإرهاب ضد المدنيين الإسرائيليين، واستخدامها حريات أمريكية لتعزيز برنامج الإسلامية ضمن الولايات المتحدة. غير أن مشاعر كهذه تكون محمية على نحو دستوري بحرية الكلام، لذلك يجب عدم الخلط بينها وبين دعم الإرهاب، ويبدو أن بايبس قد جعل ذلك غير واضح أحيانًا.. وفي الوقت نفسه، فإن مناقشته للمدى الذي كانت الجماعات الإسلامية قد دافعت، وحتى مَدَحَت الأعمال الإجرامية التي قام بها جميل الأمين الذي يعرفه الأمريكيون خلال الخمسينيات باسم H. RAP BROWN، هذا المدى ينبغي أن يقلق القراء.

كذا أيضًا يتأكد وصفه الحكومة بعدم الكفاءة لو


دانييل بايبس

لم تنجح في آخر المطاف في البحث عن خلية لحزب الله في شمال كارولينا.

إن كتاب بايبس الكليل والانفعالي كتاب غير متماسك أحياناً، وتظهر توصياته في السياسة رديئة الدراسة أحياناً؛ إنه يدعم إظهار الجانب العرقي. «إن صح أن أغلب المسلمين ليسوا إسلاميين، فليس أقل صحة كون جميع الإسلاميين هم مسلمون». غير أنه يخفق في مناقشة الأخطار الكامنة.. وهكذا يطالب باحترام الإسلام ومعتنقيه، إنه يجد في الحرب على الإرهاب أن جميع المسلمين لسوء الحظ مشبوهون.

يمكن التماس العذر لأسلوب بايبس المفرط:لأنه الآن، وخلال ما يزيد على عقد من الزمان، قد كان أحد العلماء القليلين الذين كانوا قد حذروا بشجاعة من التهديد الإسلامي، وكان في أغلب الأحيان عرضة للهزء بسبب تنبيهه على الخطر. ومع ذلك فإن وصفاته لما يدعوه الحركة العالمية الأكثر خطورة قلما تُنَوِّهُ بالحاجة إلى الدفاع عن دنيوية أمريكا، أو المدى الذي تكون فيه القوانين والقيم والتقاليد الدنيوية معرضةً لهجمة، ليس فقط من قِبَل مسلمين مناضلين، بل أيضًا من قبل إدارة بوش وحلفائه على الحق المسيحي.

لا يعير بايبس إلا القليل من الانتباه إلى إسرائيل وإلى الأسلوب الذي استطاع به الإسلاميون الإفادة من الحنق والغضب بحيث يحس عدد من المسلمين بما يحدث للفلسطينيين. وفي الوقت الذي هو مُحقٌ في الجدال بأن حلاً للنزاع الفلسطيني - الإسرائيلي لن يهدم الإسلامية أو يحرف عداء الإسلاميين نحو اليهود، ولا يساوي شيئًا كون حماس والجهاد الإسلامي والجماعات الإسلامية الفلسطينية مرتبكة على نحو عميق باتفاقيات سلام أوسلو عام ١٩٩٣م بين الفلسطينيين والإسرائيليين، إن الإسلامية لا توجد في فراغ سياسي.

يقدم بايبس في هذا الكتاب ما يعتقد أنها أساليب ذرائعية لردع نزعة الإسلام النضالية واحتوائها. كمراجعة قوانين الهجرة الوافدة، وحراسة حدودنا على نحو أشد عن كثب. دون تنفير مسلمي الاتجاه السائد. غير أنه لا يستطيع تجنب طرح السؤال: هل مشكلة الإسلامية متأصلة في الإسلام ذاته؟. قضية

الغالبية العظمى للمسلمين لا تتفق مع المقدمات المنطقية للإسلام المناضل. إن على الولايات المتحدة ألا تبحث عن "صِدام حضارات"، ولا عن مجابهة مع الإسلام نفسه.

يقدم بايبس في هذا الكتاب ما يعتقد أنها أساليب ذرائعية لردع نزعة الإسلام النضالية واحتوائها - كمراجعة قوانين الهجرة الوافدة، وحراسة الحدود على نحو أشد

عميقة لم يتناولها هذا الكتاب بإمعان. إن الواقع البغيض هو عدم وجود مجتمعات مسلمة تقدم لشعبها حكم قانون وتطويرًا اقتصاديًا، ومساهمة مدنية فعالة. إن تلك الأقرب إلى ذلك كتركيا وماليزيا، هي تلك التي في أغلب الأحيان قد فرضت الدنيوية بالقوة على نحو همجي، ومع أن هذا ليس موضوع بايبس، إلا أنه لم يتمالك نفسه من ملاحظة «أن العمل الشاق لتكييف الإسلام على العالم المعاصر عليه في الحقيقة أن يبدأ الآن» وما يجب أن يكون هكذا يبقى منتظرًا الاستكشاف والتحري.

الهوامش

* Naming The Evildoers.

(1) Militant Islam Reaches America.

(2) Germs: Biological Weapons and America's Secret War.

أحداث الحادي من سبتمبر



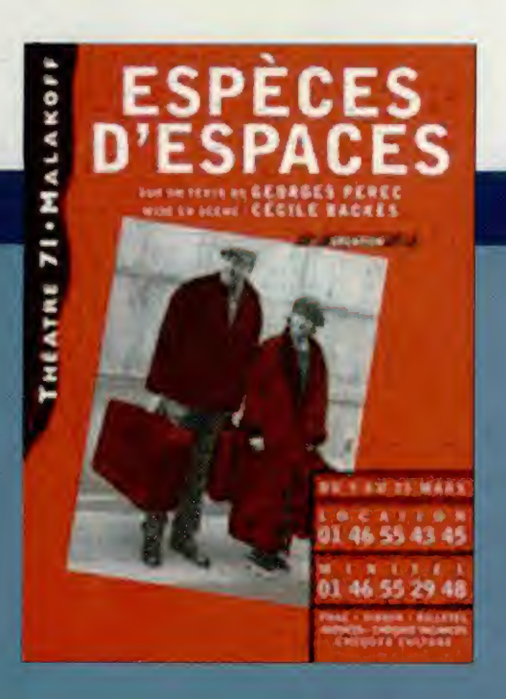
فصائل الفضاءات: التقاطع بين شكل الواقع وهندسة الحلم

إبراهيم الحجري

الجديدة ـ المغرب

عن دار توبقال، وفي طبعة أنيقة، صدرت ترجمة لكتاب «فصائل الفضاءات» بعد أن حوّل المترجم عبدالكبير الشرقاوي متن كتاب جورج بيريك إلى لغة عربية رائقة تزدهي بالشعرية والإيحائية، لغة تنسى أنها محوَّلة، لتصوغ نفسها في حلة تخالها الأصل والأصيل، وعندما تتناغم الغايات بين حلم الكتابة وإغراء هندسات التصفيف والتصنيف يصبح عسيرًا تمييز الفضاءات والأمكنة، بجغرافيتها المتداخلة، وعتباتها الموغلة في التشابك، بما هي انزواء في الرؤى والدواخل والعتمات، وانبثاق للأبيض من الأسود والأسود من الأبيض، ربما يبدو القبض على هذه الثيمات والموضوعات أشبه ما يكون بالقبض على النص، لذلك تتواشج الفضاءات بطقوس الكتابة وإكراهاتها وتمرداتها العصية وحلولها وارتحالها وأحلامها وإخفاقاتها ... كذاك يبدو القبض على فصائلها المستحيلة المنفلتة عن العد؛ لذلك فضل الأستاذ عبدالكبير الشرقاوي أن يقدم لهذا العمل، بصياغة لغوية منفلتة، تتحبك مثل الشعر، مثل اللغز تمهيدًا لمتاهة تقصي أنواع الفضاءات وفصائلها وأجناسها التي تتوارث عالم الصفحات والأذهان والأشكال قبل أن تصير حلبات ومنتظمات على بساط الواقعي والمتخيل، ولا أظن أن هناك لغة أجمل من لغة الكشف الملغز عن صنوف التوالدات الزمكانية وتداخلاتها الجغرافية والتاريخية النفسية، إذ يستعصي فرز الأمكنة عن الوجوه المشحونة بالتقلبات، كما يعسر تمييزها بعضها من بعض، وذلك لما يسِمُها من تداخل وتوالد وتناسل، تنبثق الأشكال والدوائر بعضها عن بعض، وتنسل من عجين الحروف والكلمات.

كان التقديم مميزًا بتعابيره، بأفكاره، كأنما يريد أن يسربل النص بكشفية السؤال الفلسفي عن فحوى الفضاء وكينونته المتشكلة من الحروف والكلمات! وجاء القفل (المثبت على ظهر الغلاف) ليزكي هذا الطرح، وهذه الرؤية،



غلاف الطبعة الفرنسية من
«فصائل الفضاءات»
تأليف: جورج بيريك

جاء ليعزز ما ذهب إليه بيريك بخصوص انفتاح فضاء الكتابة، وتعدد تحابكاته وإسقاطاته، بل ليثبت أن فضاء الكتابة ليس بأقل تنويعًا وتغايرًا وتعالقًا من الفضاء المعيش نفسه، ومن هنا تبدو صعوبة تناول هذا المجال العصي من أقانيم الكتابة، إذ كلما تعلق الأمر بالكتابة أصبح الارتياد صعبًا، وعر المسالك، بطيء الخطوات...

يستفتح بيريك تناوله للفضاء بعرض نصين: الأول مسرحي قصير يكتفي بتحديد سمات فضاء معين، ثم ينتهي، والثاني شعري لبول إيلوار تحت عنوان «أغنية أطفال»، وينشغل المتن الشعري برسم فضاء متناسل ومركب، وبعد نهاية عملية التأثيث، يفرغ مكون من مكونات التفضية الشعرية، فيتغير بناء كل الفضاء المرسوم؛ مما يدل على تماسك الفضاءات وتعلقها بعضها ببعض في شكل مكثف.

وتأثيث الصفحة خلال عملية الكتابة إبداع خالص ورؤية للكون المتزاحم، لذا يُتناول فضاؤها بمناظير متعددة تتوالد وتتناسل وتتحطم، تعيش، وتموت، مثلها مثل الكائنات الحية؛ لذا أضحى تأثيث الورقة، وطرائق تنظيمها ضربًا من التشكيل، وتداخلت الكتابة مع صنوف إبداعية أخرى.

يلج، بعد ذلك، جورج فضاءً آخر ليس أقل أهمية من سابقه: إنه السرير الذي يتلقف الإنسان في أغلب أوقاته، حرجة كانت (لحظات الولادة، الألم، المرض، الموت..) أو مرحة (النوم، الكتابة، الرغبة، الاستيهام ..)، لهذا الفضاء الحميمي سلطة على الذات لكونه الملاذ الذي يمنحها الدفء واللذة واستعادة الحماسة من التعب اليومي المكرور. ويتعدى فضاء الأسِرَّة المعتاد ليرتاد الطبيعة والمنتجعات.

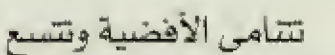
ويبقى السرير، كفضاء حميمي، ملازمًا لفضاء لا يمكن فصله عنه إلا من قبيل التمثل الذهني الصرف، وهو الغرفة بمعناها العام، وهنا يسترسل بيريك في لغة ساردة لوصف الغرف التي لا تزال تخط أوشام ذكراها

في مخيلته الثرية، مستعينًا بذاكرة قوية ساعدته على استحضار أدق التفاصيل والملامح، بل ذكر حتى فصائل الغرف الأخرى الوقتية والعابرة، كالقطارات والسيارات ... ونلمس هنا النظرة الإبداعية عند بيريك، بحيث يغدو عنده الفضاء شيئًا ورقيًا، قد يؤسسه الكاتب من خلال ترميم ما تبقى في الذاكرة المثقوبة من شظايا الأمكنة والفضاءات، وقد يلفُّه من تسابيح واستيهامات المخيلة المبدعة، كل ذلك عن طريق التداعي والوصف.

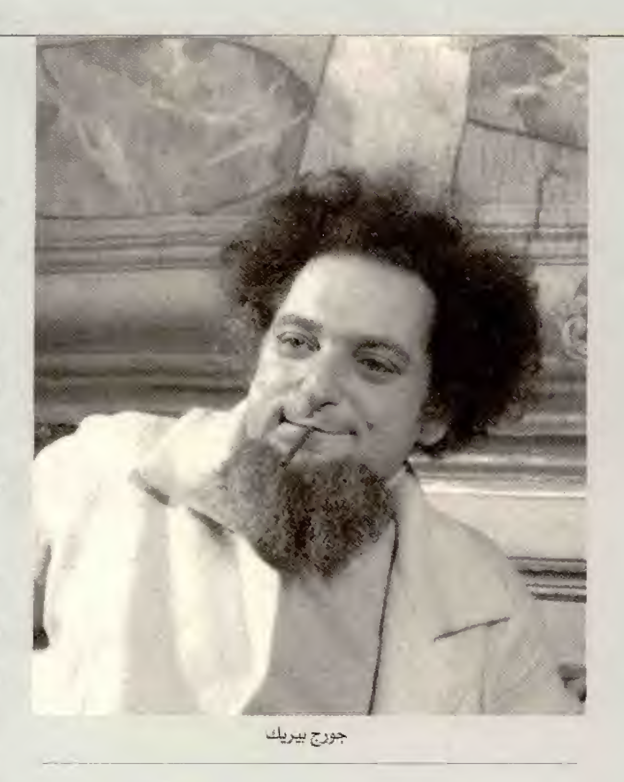
الغرفة لا تستقل عن الشقة، التي لم يستطع الكاتب تحديد نمط موحد لها وذلك لاختلافات ظروف العيش، وتمايز مستواه، وعلى الرغم من ذلك صنّف الشقق، ورتّبها حسب برامج حياة أهلها، وما يتوافر فيها من أثاث وغرف وصالونات دون أن ينسى ما يجعلها مثيرة للإعجاب من أصص ورد ومزهريات وأدراج ومكتبات وأبواب. الشقة رحلة توقف الكتابة. إما أن تركن حيث تشتهي وإما أن تنزح حيث لا فراغ موجود. في حين يتحول الجدار إلى حواجز وحدود وترسيخات لفراغات مكشوفة، أليس الجدار نفسه فضاءً؟ المهم في هذا الجدار هو أنه يحجب خلف شبحه الأسرار، ولو أنه ينتمي إلى نمط الجدارات المشكلة لفضاء أوسع يدعى العمارة، التي لم تعد تعادل في نظر جورج بيريك سوى مشروع رواية لم تكتمل بعد؛ بكل تلويناتها، طقوسها، شخوصها، هياكلها المتعددة، صخبها اليومي.

تتنامى الأفضية وتتسع، تتهاوى، تستطيل، تتحول العمارة من المفرد إلى الجمع تتجاور، وتتناص، وتتراصف لتصبح طابورًا من المشاهد المتوازية، مشكلة خطين ينمو بينهما فراغ مهندم بالإسفلت والأرصفة واللافتات وعلامات المرور، فضاء ضاج بصخب الناس؛ مرحهم، لغوهم، تسارعهم، تباطئهم، وحركتهم التي لا تفتر، وذلك هو الشارع الذي لولاه لما تواصل الناس مع حاجاتهم، ومقر سكناهم واشتغالهم. إنه العتبة الأساسية للوصول إلى عالم ما وراء أسوار الغرف والشقق والعمارات، عالم يحبو، يشبُّ، يشيخ كل يوم، فضاء من لا فضاء له، فضاء يفتح الأحضان للكل. لا يقف بيريك عند هذا الحد، بل يستفيض في وصف سلوكات الناس وحركاتهم خاتمًا فصله برسالة إلى مُخاطبَة مجهولة، يحنّ إليها، ويرفع لها آي التذكر كل لحظة من لحظات الشارع/ الفضاء الثمل بالملامح والمواقف والحوارات، ويستطرد ليقف على طرائق تناوله لوصف الأمكنة والفضاءات، وعلى المعاناة، ومراحل التقاط ملامح هذه الأمكنة الهروب.

يمكن الخلوص إلى أن بيريك كاتب مهووس بالفضاءات وهاجسياتها، خاصة عندما ينخرط في تلاحم نصي واصف للحيّ، لحركته الدائبة، وتجانس أهله، يضحي الحي كائنًا يعيش، يشيخ، يموت؛ لأنه


تتنامى الأفضية وتتسع




جورج بيريك

يذوب في صخب المدينة وجلبتها، وتسارع شساعتها. الأمكنة يلتهم بعضها بعضًا كأنما تدور دوائر بعضها حول بعض، يغوص الصغير في الكبير، وتلف العتمة الكون الفسيح الذي يُذوبّ العالم والبلد والقارة. أشياء لم تعد ترى داخل فضاء أرحب، يجتهد الإنسان طوال عمره لتلمس قدماه بعض البقع والأتربة، فضاء نهيم به على وجوهنا دون أن نلمس سرًا من أسراره، إنه - بلا شك - لغز الخالق ...

ويدرج ضمن السفر المترجم فصلاً خاصًا بالفضاء، تناول فيه مجموعة من الباحثين مفاهيم متعددة للفضاء، وعلاقتهم به كمتضمن حتمي لا محيد عنه. نذكر منهم (إيطالو كلفينو، ولورنس ستيرن، وبيير ضاك، وجوناثان سويفت ...)

ولم ينس بيريك تناول الفضاء المطلق بما يضم من خطوط وفراغات، متعرضًا لدهشة الأسفار وخيبتها، وأوهام هزْم المسافة أو محو الزمن. ولم يفته أيضًا التطرق إلى قياسات الزمن والمسافات بوصفها مشكلات فضاء أعم (الفضاء الجغرافي)، وقد لبس هذا المحور لون علم الرياضيات والمنطق للتعبير عن قياس الدرجات والمستويات، وختم هذا العرض حول المفهوم العام للفضاء بذكر أفضية لا مسكونة أو لنقل هامشية (البحر، المزبلة، الأنهار، المستنقعات ..).

ينهي بيريك مبحثه هذا عن فصائل الفضاءات، بالتعبير عن مطمحه في أن يجد أماكن مستقرة تكون مرجعيات متجذرة، ثابتة لا ينالها العكر ... ويبقى هدف الكتابة هو لملمة هذه الآثار المتبقية من الأفضية التي جرفها الزمن، ولم يبق منها سوى آثار وبقايا شائهة، تذوب مثلما ينسرب الرمل بين الأصابع ...

صفوة القول: أن الأستاذ عبدالكبير الشرقاوي وفق جيدًا في تبليغ فحوى النص أو العمل للقارئ في عربية رائقة تتضمخ بحنّاء الشعر، ودقة السرد وانسيابيته، وقد كان النص الأصلي وصفيًا محضًا؛ لذلك نستشف المعاناة الحقيقية للمترجم والمجهودات المضاعفة التي بذلها في سبيل الحفاظ على خصيصات النص النوعية، حتى إن القارئ لا يجد أدنى صعوبة في التواصل مع المتن، وقد ذيل الأستاذ عبدالكبير عمله هذا بهوامش وإضافات موضحة، وكذا ختم كتابه المترجم بملحق تناول فيه حياة الكاتب بيريك بتفصيل، بالإضافة إلى معجم خاص ببعض الكلمات...

الواقع أننا، مع جورج بيريك، فطنّا إلى أهمية ما حولنا من كلمات نتداولها، فإذا هي فضاءات شامخة يصعب الإحاطة بها، حتى إنها أصبحت رديفة الحياة، وهل هناك حياة من دون فضاء؟ قد يغدو الجسد فضاءً، والذهن والمخيلة ملاذًا لبقايا أفضية ينخرها التحول والنسيان.



الخليفة محمد بلو بن عثمان: رجل الدين والسياسة

عبدالله عبدالرازق إبراهيم

القاهرة ــ مصر

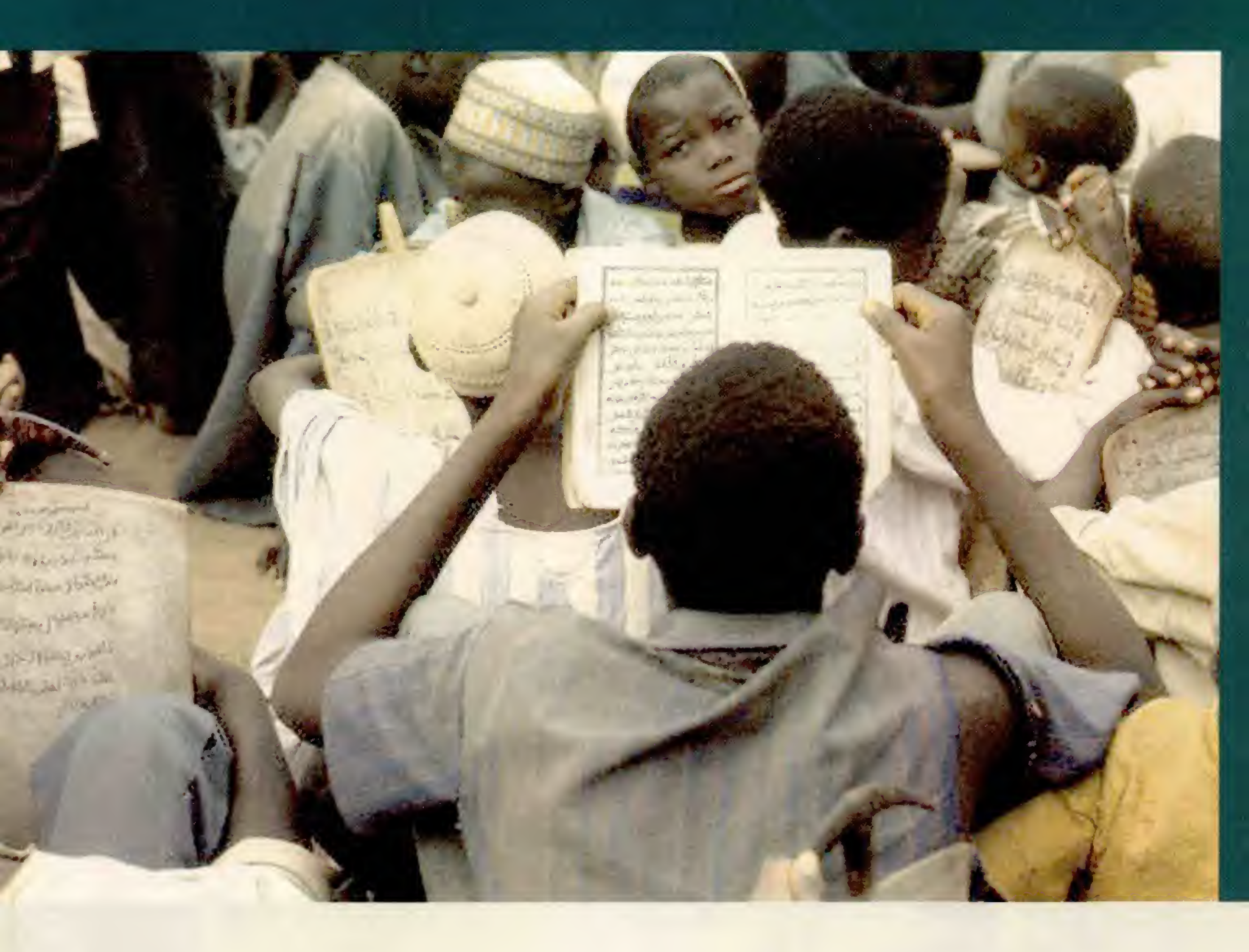
لقد كانت جـهـود الشيخ عثمان بن فـودي لنشر الإسلام وحضارته العربيـة في بلاد الهوسا، وغرب إفريقية من أبرز العلامات المضيئـة لهذا الجهاد الإسلامي في مطلع القرن التاسع. وقد انتـقل الشيخ عـثمـان إلى الرفـيق الأعلى في عام ١٨١٧م، بـعد أن أرسى دعـائم إمبـراطورية إسلاميـة كبرى حافظت على تراث الإسـلام وحضارته في هذه البقـعة من غرب القارة فـيما أطلق عليه دولة سوكوتو الإسلامية، أو إمبراطورية الفولاني، كما وصفها الرحّالون الأوربيّون.

وبوفـاة الشيخ عثمان انتقلت الخلافة إلى محمد بلو بن عثـمـان، الذي تولى أمـور هـذه الإمبـراطورية الناشئة، وظل يحكمها عشرين عامًا من عام١٨١٧م حتى عام ١٨٣٧م، فمن هو هذا الخليفة؟ وكيف نشأ في كنف والده، وشاركه في كل مجالات جهاده لبناء الدولة الإسلاميـة؟ وما نظم الحكم التي طبقهـا هذا الخليفـة المسلم؟ وما المؤلفات التي خلفها فصارت ركـائز للدعـوة إلى الدين الإسـلامي، وتاريخًا لتلك المنطقة الإسلامية؟ ولا تزال نيجيريا حتى اليوم أكبر دولة إسلامية في غرب القارة على الرغم من أنها تقع جنوب الصحراء.

تحـاول هذه الدراسـة إلقـاء الضوء على الخليفـة محمد بلو وجهوده، ثم مؤلفاته في مشروعات المعرفة كافة، وجهود هذه الحركة في ميدان الجهاد.

من هو الخليفة محمد بلو؟

ولد محمد بلو بن عثمـان في شهر ذي القعدة سنة ١١٩٥هـ (عـام١٧٨٠م)، في بيت علم ودين، فقـد أسلم



أجداده منذ زمن طويل، وتأثر، كغيره من علماء الدين، بالطرق الصوفية، وبخاصة القادرية، التي كانت منتشرة في شمال إفريقية، وامتدت إلى غرب القارة، وصار والده الشيخ عثمان من أبرز أقطابها الذي نادى بالعودة إلى منهج السلف الصالح، والكتاب والسنة المحمدية.

نشأ محمد بلو، وترعرع في كنف والده الشيخ عثمان بن فودي، وعمه عبدالله، وتأثر بكل أعمالهما وسلوكهما، فقد شاهد محمد بلو النهضة العلمية والثقافية التي استهلها والده في بلاد الهوسا، وتفاعل معها بكل أحاسيسه، كما احتك بعلماء الدين، وسبح في بحر الثقافة الزاخر، وتأثر بشكل فعّال بكل معطيات البيئة العلمية والثقافية والدينية، وقد استعرض محمد بلو أسماء عدد من العلماء الذين تأثر بهم، أمثال، عداد بن ليما، والعالم سليمان، وأحمد الرناي.

بدأ محمد بلو حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم في معهد والده الشيخ عثمان، ولازم والده في كل مراحل الجهاد، حتى صار ساعده الأيمن في كل المعارك التي خاضها ضد حكام الهوسا من الوثنيين، أو الذين



سعي في الأرض بعد أداة الصلاة في الجامع الكبير

يعتنقون الإسلام بالاسم، وفي كتابه المشهور: «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور» يوضح محمد بلو قضيته العلمية مع الشيوخ الذين أخذ عنهم، وتأثر بهم، فيقول: إنه أخذ علم النحو عن أخيه محمد سعد الذي قرأ عليه «ألفية ابن مالك» حتى باب جمع التكسير، وأخذ التفسير وأصول الدين عن والده الشيخ عثمان بن فودي، كما أن عمه عبدالله بن فودي درّسه علم اللغة العربية والبلاغة، و«لامية الأفعال وشرحها» الجامع بين اللغة والتصريف، كما درس على الشيخ محمد بن أبي بكر الونقري «تحفة الحكام» لابن عاصم، و«المنتقى»



للباجي، و«الشفاء» للقاضي عياض، و«صحيح البخاري»، و«صحيح مسلم»، ثم «مدخل ابن الحاجب» و«الرسالة» و«الألفية»، وكل هذا يوضح مدى ما وصل إليه محمد بلو من ثقافات وعلوم وفقه، كان لها أكبر الأثر في تكوينه العلمي، وبناء دولته الإسلامية (١).

ومهما يكن من أمر فقد أثبتت الحقائق التاريخية أن الخليفة محمد بلو كان بحرًا في العلوم، يعرف أسرارها ودقائقها، سهلها وغوامضها، أصولها وفروعها، ويعرف علوم الحرف والسياسات والإدارة والأديان والطب والصيدلة وأنواعها، والفقه واللغة والتصوف والتاريخ، يقول عنه والده الشيخ عثمان بن فودي: إنه كان مشتغلاً غالبًا بحفظ علم سياسة الأمة بحسب الأشخاص، والمقاصد والأزمان والأمكنة والأحوال (٢).

وقد تحلى محمد بلو بأخلاق كريمة، وخصال حميدة، فهو أمير المصالح، ووليّ النصائح، كانت خصاله جميلة، فهو رجل زاهد ورع، اتسم بالعفّة والحلم والفهم الشامل، والبصيرة النافذة، والرأي السديد، والحزم للأمر، والوفاء الثابت، وتفقد أحول الضعفاء، والإعراض عن الجهّال، وإنفاذ الشريعة، ولا تأخذه لومة لائم عن تطبيق الحقوق (٣).

وعندما زاره الرحالة البريطاني كلابرتون عام ١٨٢٣م قال: «إنه بحر في العلم، تقي زاهد متواضع، رحيم بالأمة، كريم يعين العباد، عارف بالشريعة الإسلامية، يتفقد أحوال عماله، ويسعى في مصالح أمته، مجاهد، شجاع، يحبه الكل، يحضر المحاكم بنفسه، ويفتش أعمال القضاة، ويوجههم أيضًا (٤).

وعندما تولى محمد بلو الخلافة في دولة سوكوتو بعد وفاة والده عام ١٨١٧م، رأى أنه من الضروري أن تتوافر فيه صفة حسن إسلام الخليفة، وطاعته لربه، وأداؤه لفروض دينه، وأن يكون لين الجانب، وعليه أن يحسن اختيار عماله ومعاونيه، وأن يتفقدهم دائمًا، كما أوصى الدعاة بالعلاقة الطيبة فيما بينهم، ولا يظلم بعضهم بعضًا، وأوصى بأهمية العناية بأصحاب الحرف، وتعمير البلاد، وبناء الحصون والجسور، ورعاية الأسواق والطرق، وأن يُهتَمَّ بنشر التعليم (٥).

إن من يتأمل ما جاء في هذا المخطوط الذي تبادله

محمد بلو مع الأمراء في دولة سوكوتو يجد أنه أمام إمام عالم، ورجل سياسة من الطراز الأول، وفقيه مسلم يطبق الشريعة الإسلامية في هذه المنطقة من غرب إفريقية، ولا غرو أن يكون لهذه التعاليم آثارها في بناء مجتمع مسلم في إفريقية جنوب الصحراء، صار نموذجًا للكثير من حركات الجهاد والإصلاح في غرب إفريقية في القرن التاسع

في تلك المنطقة من غرب إفريقية، وكانت جهود الشيخ عثمان وابنه محمد بلو من النماذج المضيئة لتلك الحضارة الإسلامية، فقد تم إحياء الخلافة الإسلامية بأجلّ صورها وأعظم أشكالها.

لقد صار محمد بلو رمزًا للازدهار الإسلامي، ونشر الدين الحنيف بين السكان الوثنيين، أو الذين اعتنقوا





عشر، وهذه هي عظمة تراث الإسلام وحضارته في كل مكان حلت بها الشريعة الإسلامية، والدين الإسلامي.

محمد بلو ونشر الثقافة الإسلامية

لقد كان لقيام الدولة الإسلامية في سوكوتو في مطلع القرن التاسع عشر أثره الفعال في إحياء الثقافة العربية

هذا العالم الجليل كان مؤرخًا وأديبًا ورجل دين وسياسة، إلى جانب تمكنه من التعبير باللغة العربية نثرًا وشعرًا، وهو في ذلك الإنتاج المتنوع والمتعدد يكمل ما أنتج والده الشيخ عثمان، وعمه الشيخ عبدالله بن فودي

الإسلام بالاسم، وظهر ذلك الجهد من خلال الأجهزة التعليمية والمؤسسات العلمية التي لقيت دعمًا ومساندة وتأييدًا من محمد بلو، والتي انعكست على غرب إفريقية على وجه العموم.

وكان انتشار الإسلام يعني ظهور اللغة العربية، والسعي إلى تعلمها لمحاولة قراءة القرآن والسنة النبوية، وظهر الكثير من المؤلفات العلمية باللغة العربية، وكان لمحمد بلو دور ملحوظ، وجهد ملموس في هذا المجال، إذ أسس أربعين مدرسة، ودعا العلماء للتدريس في هذه المدارس، كما كان يعقد حلقات التعليم والتدريس في منزله (٦).

لقد أنفق محمد بلو الكثير من بيت المال على نشر الثقافة العربية والإسلامية، وكان اهتمامه الأول بالثقافة واللغة العربية، وقد أدى هذا الاهتمام إلى ازدهار العلوم، ولاسيما علوم التفسير والحديث والفقه والنحو والصرف والتصوف وعلوم الزراعة (٧).

وكانت مؤلفات محمد بلو حجر الزاوية الثقافية في دولته، كما كانت نبع الحضارة الإسلامية في القرن التاسع عشر (٨).

وظهرت مجموعة من العلماء الذين عكفوا على تعليم اللغة العربية وآدابها، وظهرت مجموعة من المؤلفات التي عالجت الكثير من المشكلات الدينية والاجتماعية والسياسية؛ ومن هؤلاء العلماء الشيخ سعيد بن عثمان، وأخوه عبدالقادر اللذان صارا من كبار العلماء في الفقه، وكان محمد بلو من أهم العلماء الذين عرفتهم إفريقية، كما كان له الفضل الأكبر في ازدهار الحياة العلمية والثقافية في دولة سوكوتو.

نشأ محمد بلو في كنف والده الشيخ عثمان بن فودي، وعمه عبدالله وشاهد النهضة العلمية والثقافية التي استهلها والده في بلاد الهوسا، وتفاعل معها، كما احتك بعلماء الدين، وسبح في بحر الثقافة الزاخر

التراث الحضاري لمحمد بلو

من الطبيعي في ذلك الجو العلمي الذي عاش فيه الشيخ عثمان وأخوه عبدالله أن يترعرع الابن على حب العلم والتأثر بهذا المناخ الثقافي. وفي هذه البيئة نشأ الشيخ محمد بلو بن عثمان حيث حفظ القرآن، وتعلم العلم، ولازم والده في كل مراحل جهاده، وأخذ عنه التفسير والحديث وأصول الدين، وقرأ عليه التصوف، كما قرأ على عمه عبدالله «الألفية» و«لامية الأفعال

وشـرحـهـا»، و«الجوهر المكنون»، وقرأ على أخيـه الكبيـر محمد سعد بن عثمان «الألفية» حتى وصل إلى باب جمع التكسير. وكـان محـمـد بلو موفقًا في تعليمه ودراسته وجـهـاده. وقـد بـرع في علوم السـيـاسـة والشـريـعـة. ألف الكثير من الكتب مثل والده وعمه، غير أنه يمتاز منهما بولعه الكبير بالتاريخ، وكتابه «إنفاق الميسور في تاريخ

الأعمـال، إلى أنه شـارك في الكثيـر من الأحـداث التي وقعت في بلاد الهوسا في القرن التاسع عشر. كما أن المؤلف خصّ الجزء الأكبر من هذا الكتاب بترجمة لسيرة والده الشيخ عثمان، فقد تحدث بإسهاب عن حياته ودعوته إلى الإسلام، والمعارضة التي واجهها من أمراء الهوسا، وغزوات الشيخ وجهاده بشكل مفصل، وكراماته





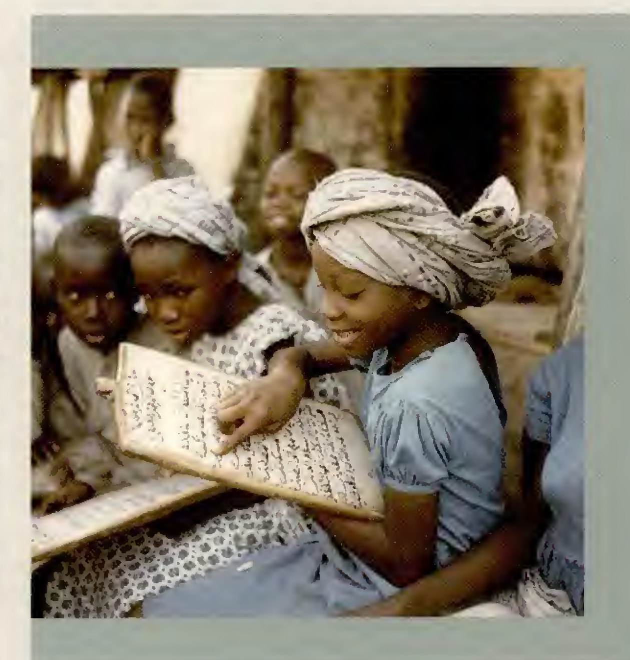
بلاد التكرور» يعدّ من أكبر مؤلفات محمد بلو، ومن أهم المصادر الموثوق بها في تاريخ بلاد الهوسا (٩).

ويعدّ كتاب «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور» المصدر الاساسي لتاريخ الدعوة الإسلامية وجهادها، والدولة الفولانية في مطلع القرن التاسع عشر، وترجع أهمية هذا الكتاب، الذي كتبه مؤلفه في زحمة من

أثبتت الحقائق التاريخية أن الخليفة محمد بلو كان بحرًا في العلوم، يعرف أسرارها ودقائقها، سهلها وغوامضها، أصولها وفروعها، ويعرف علوم الحرف والسياسات والإدارة والأديان والطب والصيدلة، والفقه واللغة والتصوف والتاريخ

ومصنفاته ووزرائه وقواده، وأبنائه وبناته، كما تطرق إلى الحديث عن مملكة صنعاي وعلمائها، واختتم الكتاب بالحديث عن ورد الطريقة القادرية وفوائده (١٠).

وإلى جانب هذا العرض التاريخي يضم الكتاب بين جوانبه الكثير من القصائد التي نظمها المؤلف، أو التي نظمها عمه الشيخ عبدالله، وهي تكشف مدى



ساعدت مؤلفات محمد بلو، وأبيه الشيخ عثمان، على دخول آلاف الكلمات العربية إلى اللغات المحلية، مثل لغة الهوسا، كما أن اللغة العربية تتفوق من حيث الانتشار بسبب مكانتها المقدسة، وبسبب كثرة المؤلفات بها

الاهتمام باللغة العربية وآدابها. كما يضمّ الكتاب بحوثًا في السياسة الشرعية، حرّرها محمد بلو ردّاً على قضايا معاصرة، أو أحداث جسام في حروب الدولة وجهادها (١١).

ومن مؤلفات الشيخ محمد بلو «كف الإخوان عن اتباع خطوات الشيطان» وفيه يتحدث عن التعصب الديني، وأقسام العلماء، والترهيب من تزكية المرء نفسه، وسوء الظن بالآخرين، كما يخصّص فصلاً للحديث عن المنكرات، ويتحدث عن النصيحة.

وفي كتاب «شفاء الأسقام في ذكر مدار الحكام» يتناول المؤلف الحديث عن الأحكام الشرعية بصفة عامة، وعن الكتب التي درسها، والأساتذة الذين تتلمذ لهم.

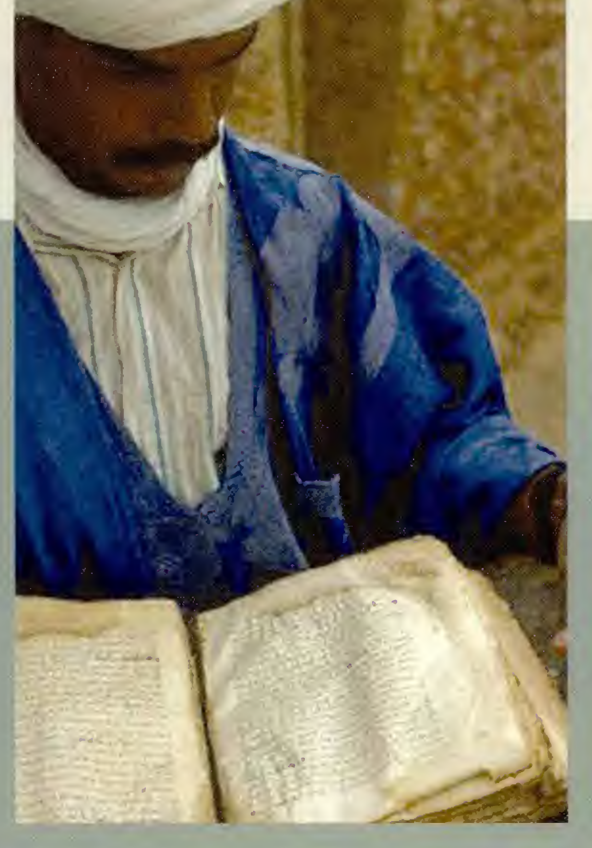
ويتناول كتاب «الغيث الوبل في سيرة الإمام العدل» الحديث عن سياسة السلاطين في الأقطار الإسلامية، ومن خلال أحد عشر بابًا يناقش محمد بلو وجوب الطاعة للسلطان، ووجوب النصح له، والواجب عليه نحو حماية الإسلام والمسلمين، والواجب نحو حفظ الدين، وضرورة إقامة الشعائر، وعمارة المساجد، وإعلان الجهاد.

وفي كتاب «روض الأفكار» يتحدث الشيخ عن ملوك السودان الغربي الوثنيين وتقاليدهم، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية.

وإلى جانب هذه المؤلفات التاريخية قام محمد بلور ووالده بالتأليف في المجالات الفقهية الدينية، والمجالات الاجتماعية، وأيضًا المجالات الطبية.

أولاً: المجالات الدينية:

نلحظ بين مؤلفات الشيخ محمد بلو عددًا من الكتب التي تناقش مسائل دينية، ومن الكتب «وثيقة أمير المؤمنين محمد بلو» و«التنبيهات الواضحات فيما جاء في الباقيات الصالحات» و«الرباط والحراسة» و«النصيحة المضيئة في بيان أن حب الدنيا رأس كل



خطيئة» و«تنبيه الراقد على ما يعتور الحاج من المفاسد» وكتاب «تنبيه الفهام على اجتناب آهل الشعبذة والنجوم» و«رفع الاشتباه في التعليق بالله أهل الله» وكتاب «شمس الظهيرة في منهاج أهل العلم والبصيرة» وأيضًا «وثيقة إلى جماعة المسلمين» ومن مؤلفاته أيضًا: «الترجمان عن كيفية وعظ الشيخ



عثمان»، و«شمس الظهيرة فيما يجب على الوالي من إحسان السيرة»، و«فن البحث في اسم الله الأعظم»، و«جلاء الصدور» و«تنبيه الغافل على التوسل بأعظم الوسائل»، و«مفتاح السداد في شأن الأربعة الأوتاد»، و«ضياء العقول في التحذير عن الفلول» و«المسائل المهمة» و«مرآة القلب في معرفة الرب» و«مسائل الاجتهاد وتنبيه الجماعة على أحكام الشفاعة» و«تنبيه الأفهام على المهدي».

ثانيًا: المؤلفات الطبية والعلمية؟

اشتهر الشيخ محمد بلو بن عثمان بين زعماء الجهاد بتأليفه في المسائل الطبية، وله في هذا المجال عدة كتب، منها: «تنبيه الإخوان على أدوية الديدان»،

وكتاب «مختصرة الطب الهين»، وكتاب «الموارد النبوية في المسائل الطبية»، وكتاب «تلخيص طبّ النبي»

ثالثًا: المؤلفات في قواعد اللغة العربية وغيرها:

للشيخ محمد بلو بعض المؤلفات في قواعد اللغة، ومنها: «فن علم الجمل النحوية» وله أيضًا «مقالة في التصوف» حول «السلسلة القادرية»، ومقالة بعنوان «بيان الأركان والشروط في الطريقة الصوفية»، ومقالة عن المهدي «تنبيه الأفهام على المهدي».

رابعًا: الشيخ محمد بلو الشاعر:

برع محمد بلو في نظم الشعر أسوة بأبيه عثمان، وعمه عبدالله، ولكنه كان أقل من عمه بكثير كمّاً وكيفًا، وكانت أحسن أشعاره تلك التي خاطب فيها الشيخ الكانيمي في الكتابات التي تبادلها معه، مثل:

ألا مَنْ مُبلغٌ عني الأمينا
رسالةَ ناصحٍ يبدي اليقينا
أتعلم أننا مما رُمينا
بهَ بَرَاء أوفِ العذر فينا
وأنا ما تغلبنا عليهم
علوّاً أو فسادًا قاصدينا

ولما خاطبه الشيخ عبدالقادر غطا المواطن ليما وزير الشيخ عثمان بكثرة الفتن في المملكة الشرقية كان جواب محمد بلو:

نطقت يا وزيرنا بالحقّ
فقم بجدٍّ نصرِ دينِ الحقّ
فاطلب إعانةً من السلطانِ
والأمراء أهلِ ذا الديوانِ
قوموا جميعًا دفع ذا الفسادِ
ليحصل الأمكن للعبادِ
ثم تقومون إلى جهادِ
تَركُ الجهاد أصلُ ذا الفسادِ

ولما بنى للشيخ عثمان معسكرًا وحصنًا في قرية سكت قال:

لسعدى ديار يالها من منازل
بسكت فذات التل دون المناهل
بلاد تمناها ذوو الرأي قبلها
وجاد عليها كل أسحم طائل

وفي مدح العالم المختار الكنتي يقول الشيخ محمد بلو:

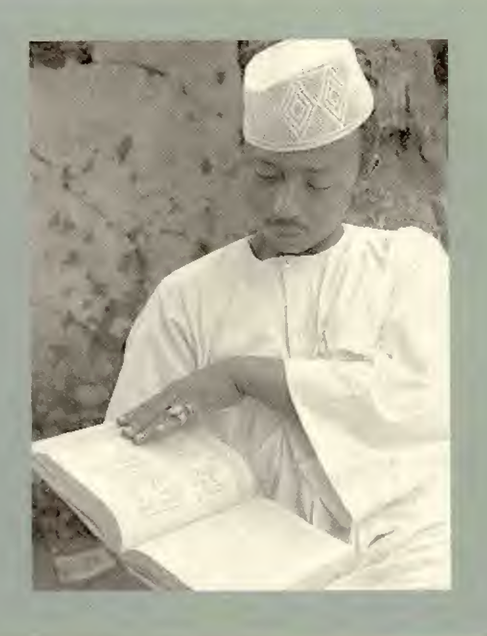
يا قاصدًا نحو الهدى يعتام بي
ويقودني في ليلتي ونهاري
أبلغ تحياتي لكنت بأسرها
لا سيما للسيد المختارِ
أبلغ تحية مشتكٍ زلاتِهِ
للغوث مع أقطابه الأخيارِ

واطلب لنا منه الدعاء فإنه

بدعائه نرجو قضا الأوطارِ

هذا إلى جانب عدد من القصائد الأخرى سواء باللغة العربية أو لغة الفولاني. وسوف نورد بعضًا منها، على سبيل المثال لا الحصر. ومن هذه القصائد «أحمدك الله يا رب»، و«ألا يا نفس ويحكِ حدِّثيني»، و«التوسل بغير الرسل»، أخرى «تخميس القصيدة العشرية»، وقصيدة «تخميس آنا عمو»، و«تخميس بانت سعاد»، وقصيدة إلى أحد أقطاب الطريقة القادرية، ويدعى أحمد البكائي بعنوان: «خذ المكتوب من إملائي»، وقصيدة «صلّى الله على النبي المختار»، وقصيدة «في غزوة فافرا»: لأهل أتاها أن غزوة فافرا، وقصيدة «في مدح النبي»، وقصيدة في مدح محمد بن سعيد «ما بال عينيك طولَ





وقصيدة أخرى بلغة الفلفلدي بعنوان «أن غت الله دو الإسلام شلمنين»، وقصيدة «باب السهو في الصلاة»، وقصيدة أخرى بالفلفلدي «بانت فعز على الفؤاد سعاد».

وللشيخ محمد بلو عثمان قصائد أخرى سواء باللغة العربية أو بلغة الفلفلدي ومنها أيضًا «تخميس البردة»، وهي من القصائد المهمة التي جاءت في اثنتين وأربعين صفحة، وقصيدة الليل لم تَنَم»، وقصيدة في رثاء أخته وبقية إخوانه الماضين، وقصيدة «مرثية عبدالقادر ومحمد ابن الأستاذ العم»، وقصيدة أخرى «يا أهل توبة» لعمه عبدالله بن فودي.

ومن هذا الحصر للقصائد التي أمكن جمعها للشيخ محمد بلو، إلى جانب ما أشار هو إليه في كتابه: «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور» نجد أن هذا العالم الجليل

كان مؤرخًا وأديبًا ورجل دين وسياسة، إلى جانب تمكنه من التعبير باللغة العربية نثرًا وشعرًا، وهو في ذلك الإنتاج المتنوع والمتعدد يكمل ما أنتج والده الشيخ عثمان، وعمه الشيخ عبدالله بن فودي، ويقدم بهذا العمل الكبير ذخيرة من التراث الأدبي والعلمي لا تزال نيجيريا تعيش في نهضتها الأدبية على مؤلفاته، ومؤلفات غيره من كبار رجال الأدب والفقه. كما تكشف هذه القصائد المتوعة للشيخ محمد بلو القدرة على التعبير بلغة الشعر في كتاباته في العلوم الطبية، واهتماماته بالعلوم الرياضية، حتى إنه عندما زاره الرحالة الإنجليزي كلابرتون في عام ١٨٢٤م، قدم إليه مجموعة من الكتب العربية من بينها كتاب إقليدس في الرياضيات.

خاتمة

وهكذا كان هذا التراث الحضاري للخليفة محمد بلو قد ترك آثارًا ثقافية في شمال نيجيريا في القرن التاسع عشر، وتجسدت هذه الآثار في النقاط الآتية:

أولاً: صارت اللغة العربية ينبوع الفكر والثقافة؛ بكونها لغة القرآن والسنة المحمدية، وأصبحت المعاهد العلمية في دولة الخلافة مراكز لتدريس الفقه والحديث واللغة العربية.

ثانيًا: لقد ساعدت مؤلفات محمد بلو، وأبيه الشيخ عثمان، على دخول آلاف الكلمات العربية إلى اللغات المحلية، مثل لغة الهوسا، كما أن اللغة العربية تتفوق من حيث الانتشار بسبب مكانتها المقدسة، وبسبب كثرة المؤلفات بها.

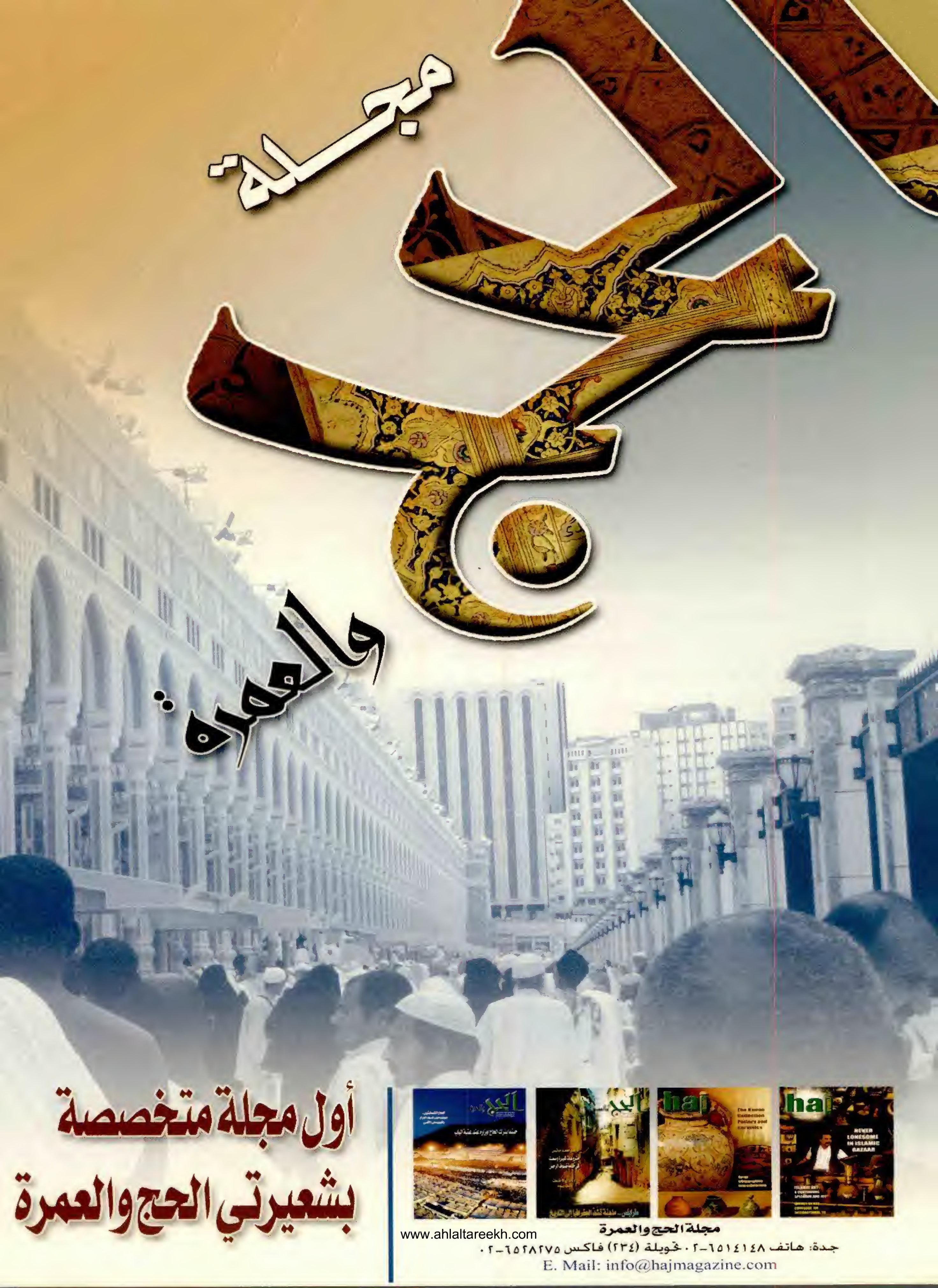
ثالثًا: لقد ساهمت مؤلفات محمد بلو في انتشار الدين الإسلامي بالشكل الصحيح بعد أن ساهمت هذه المؤلفات في تنقيته من الشوائب التي اختلطت ببعض العادات الوثنية البعيدة عن الإسلام الصحيح.

رابعًا: لقد ساعدت مؤلفات زعماء الجهاد، وهذا التراث الإسلامي الكبير، على القيام بأول تجربة إسلامية في تاريخ السودان الغربي، تجمع سكان تلك المنطقة تحت لواء واحد، ودولة واحدة، جمعت أوطانًا وممالك مختلفة من بلاد الهوسا، وفرضت السكينة والأمان في ربوع المنطقة بعد صراعات دموية بين الممالك المختلفة، ومن ثم أعطت هذه الدولة دفعة قوية للإسلام والمسلمين.

وباختصار فإن تراث الشيخ محمد بلو كان استجابة لحركة الوعي الإسلامي التي قامت في القرن التاسع عشر، وكانت تعبيرًا عن الحقائق التي يتطلبها المجتمع حسب ما يستجد من أحداث وتغيرات، وكانت ردًا على ما ظهر من بدع وشبهات حول الإسلام، وترسيخًا للأسس الإسلامية في تلك المناطق من القارة الإفريقية.

الهوامش

١. محمد بلو: الغيث الوَبْل في الإمام العَدْل، تحقيق عمر بلو، جامعة بايرو، نيجيريا، ١٩٧٩م، ص٦٦.
٢. عثمان بن فودي: نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله تعالى في أمور الزمان. المجلد الخامس، مركز بحوث بايرو، ص٨٣.
3- Gwla Umar: The Life of Mohamed Bello, Oxford 1967, p.25.
4- Clapperton and Major Denham: Narrative of Travels and Discoveries in northern and central Africa 1822 -1824,London 1826, p50.
٥. محمد بلو: مخطوط لمحمد بلو عن السياسة الشرعية التي سار عليها الفولانيون المسلمون، رسالة متبادلة بين محمد بلو والأمراء حول أصول السياسة، المخطوط موجود في جامعة بايرو - نيجيريا.
6- Fage, J. D: An Atlas of African History Cambridge, 1958, p10.
٧. حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقية، القاهرة، ١٩٦١م، ص٦٥.
8- Hiskett, M: The State of Learning in The Western Sudan, London 1966, p577.
٩. محمد بلو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٤٥- ٦٠.
١٠. علي أبو بكر: الثقافة العربية في نيجيريا، ١٩٧٢م، ص ٢٨٥.
١١. حسن عيسى عبدالظاهر: مسائل مهمة يحتاج إلى معرفتها أهل السودان، حولية كلية الشريعة بقطر، العدد الثالث، ١٩٨٤م.


مجلة
الحج
والعمرة
أول مجلة متخصصة
بشعيرتي الحج والعمرة
مجلة الحج والعمرة
جدة: هاتف ٠٢-٦٥١٤١٤٨ تحويلة (٢٣٤) فاكس ٠٢-٦٥٢٨٢٧٥
E. Mail: info@hajmagazine.com



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٣٧) رجب١٤٢٥هـ/ أغسطس- سبتمبر ٢٠٠٤م.

الفائز الأول: أروى مصلح إبراهيم عبدالعال. فاقوس. مصر.
الفائز الثاني: أحمد عبدالرحمن المطرد. الدلم. السعودية.
الفائز الثالث: نجيب شكري زيوار. صنعاء. اليمن.
الفائز الرابع: صفوان ودجني. فاس. المغرب.
الفائز الخامس: رضوى محمد عدنان ويس. حلب. سورية.
الفائز السادس: تميم خالد حسن. الدوحة. قطر.
الفائز السابع: خضر نبيل يعقوب. عمان. الأردن.
الفائز الثامن: عالية نور الدين فرحان. أبو ظبي. الإمارات.

حل مسابقة العدد (٣٣٧)

١- لسان الفتى نصف، ونصف فؤاده
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
قائل البيت هو: زهير بن أبي سلمى.
٢- بلانك ماكس: فيزيائي ألماني، وضع نظرية الكمّ.
٣- عقدة إليكترا: ميل البنت إلى أبيها جنسيًا.
٤- التشارق: خط على خريطة يربط المواطن التي تتساوى فيها مدة استمرار إشراقية ضياء الشمس.
٥- الكروكيت: كتلة من لحم أو سمك مفروم بالبيض وتقلى بالسمن.

أسئلة مسابقة العدد (٣٤٠)

ضع علامة ✓ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: كان الشباب خفيفة أيامُهُ والشيب محمله عليَّ ثقيلُ

- ☐ أعشى قيس
- ☐ المقنّع الكندي.

(٢) الكوجر:

- ☐ الأسد الأمريكي
- ☐ شجر مثمر من الفصيلة الوردية.

(٣) البزاز:

- ☐ تاجر الأقمشة وبخاصة الحريرية
- ☐ صانع المسامير.

(٤) المايا:

- ☐ شعب يقطن هندوراس وغواتيمالا
- ☐ معبد شهير في الهند.

(٥) المامبو جامبو:

- ☐ إله إفريقي زعموا أنه يحمي قرى السودان الغربي الزنجية
- ☐ رقصة إفريقية اشتهرت بها قبائل الماساي.

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخاصة باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

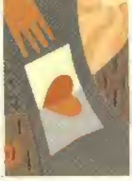
عنوان المجلة

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



- ألفريدة يلينيك تفوز بنوبل للآداب
- معرض للفن الإسلامي في واشنطن، ومؤتمر دولي للآثار الإسلامية
- فارس يفوز بجائزة البابطين
- مؤتمر دولي للحضارة اليمنية
- رحيل غسان عبد الخالق، وجاك دريدا
- ● ● خاتمة المطاف: عالم يحكمه الكبار .. أطفال في سوق العمل



ألفريدة يلينيك تفوز بنوبل للآداب

أعلن هوراس أنغدال السكرتير الدائم للجنة جائزة نوبل في السابع من أكتوبر/تشرين الأول فوز الكاتبة النمساوية ألفريدة يلينيك بجائزة نوبل للآداب لهذا العام ٢٠٠٤م لتكون الكاتبة العاشرة التي تفوز بهذه الجائزة الأدبية التي تعد الأرفع في العالم منذ انطلاقها عام ١٩٠١م. ووضع هذا الإعلان الحد لكثير من التوقعات والترشيحات التي سبقته كما هو الحال في كل عام. وأشار بيان الأكاديمية في حيثيات الجائزة إلى «الزخم الموسيقي الجارف للأصوات والأصوات المضادة التي تحفل بها رواياتها ومسرحياتها، والتي تكشف بحماسة لغوية نادرة عبثية القوالب الجامدة في المجتمع ونفوذها الطاغي».

ووصف أنغدال ألفريدة يلينيك بأنها: «من الكاتبات المميزات، يتميز أسلوبها بشغف لغوي استثنائي. ونحن نتوقع في (الأكاديمية) أن نواجه نقدًا من بعض الجهات، إنها كاتبة ذات مقاييس عالية لغويًا، إذ يتوجب على القارئ أن يعيد قراءة نصوصها كي يفهم ما تعنيه».

ولدت ألفريدة يلينيك في ٢٠ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٤٦م من أب يهودي تشيكي في مدينة مورزوشلاغ في جنوب النمسا. ودرست الموسيقا والتأليف في معهد فيينا للموسيقا ونالت الإجازة عام ١٩٦٤م، ثم تابعت دراستها في المسرح وتاريخ الفنون في جامعة فيينا، مع متابعة دراساتها الموسيقية في الوقت نفسه، حتى نالت إجازة عازفة أرغن من المعهد الموسيقي عام ١٩٧١م.

وتقيم ألفريدة يلينيك بين فيينا وميونخ في ألمانيا. وقد اكتشفها الجمهور بعد أن قام أحد المخرجين باقتباس روايتها «مدرسة البيانو» التي أصدرتها عام ١٩٨٣م، وأخرجها في فيلم نال ثلاث جوائز في مهرجان «كان» عام ٢٠٠١م، بالإضافة إلى بعض المؤلفات الأخرى التي لا تقل شأنًا عن هذه الرواية مثل: «العاشقتان» ١٩٧٥م، و«الرغبة» ١٩٨٩م، و«المهمّشون» ١٩٨٠م، والمسرحيات: «نورا» ١٩٧٩م، و«كلاراش» ١٩٨٤م، و«مرض، أو نساء عصريات» ١٩٨٧م، و«رغبة وإذن بالتجول» ١٩٨٩م.



ألفريدة يلينيك

ونشطت الحركة في بعض أجنحة معرض فرانكفورت للكتاب الذي تزامنت فعالياته مع إعلان فوز ألفريدة يلينيك بجائزة نوبل للآداب لهذا العام، فهرع الناشرون الأجانب إلى الأجنحة النمساوية والألمانية بغرض التعاقد على ترجمة أعمالها الأدبية ونشرها في لغات شتى.

وعرف عن ألفريدة يلينيك موقفها الناقد للحرب الأمريكية على العراق، حتى إنها ألّفت مسرحية بعنوان «بامبي لاند» تعكس فيها الموقف الرافض للحرب، وللسياسة الأمريكية تجاه العراق، وقال السكرتير الدائم لجائزة نوبل: «مسرحيتها هذه تصف كيفية تحول حب الوطن إلى جنون، وأنا أتفق مع الكاتبة في مضمون مسرحيتها. ونتوقع في الأكاديمية أن نواجه نقدًا أمريكيًا لاختيارنا يلينيك للجائزة».

رحيل صاحب التفكيكية

توفي في الثامن من شهر أكتوبر/تشرين الأول الماضي في باريس الفيلسوف الفرنسي الشهير جاك دريدا عن عمر يناهز ٧٤ عامًا بعد أن أصيب بمرض سرطان البنكرياس. وبرحيله تكون فرنسا قد فقدت آخر رموزها في العصر الراهن، بل إن رحيله يعدّ نهاية لنموذج خاص من الفلاسفة تميزت به فرنسا منذ بداية عصور الحداثة والتنوير، وهو أشهر فيلسوف يكتب بالفرنسية داخل أوربا وخارجها، وأكثر مفكر فرنسي مقروء ومترجم له من الفرنسية إلى لغات العالم.

ولد دريدا في الجزائر في الخامس عشر من يوليو/تموز عام ١٩٣٠م، والتحق بدار المعلمين العليا في في باريس عام ١٩٥٠م، قبل أن يصبح مساعدًا في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة، ثم جامعة السوربون في باريس، وعين في عام ١٩٦٥م أستاذًا للفلسفة في دار المعلمين العليا، وشغل منصب مدير الدراسات.

ودريدا هو صاحب نظرية «التفكيك» التي أصبحت أهم حركة ما بعد البنيوية في النقد الأدبي، وقد أثارت هذه النظرية جدلاً ما زال قائمًا في أوساط النقاد والمهتمين بتدريس العلوم الإنسانية، ولدى الفلاسفة والمبدعين. ففي حين يراها بعض الدارسين مدرسة في النقد الأدبي، واتجاهًا في الفلسفة، ومنهج تحليل سياسي وقانوني، يراها بعضهم الآخر ترهات وعدمية فارغة تعتمد اللعب على الألفاظ والتناقضات والأضداد. وكان دريدا يقول: إن هذا الصخب لا يزعجه، وإنه بقدر ما كان هذا المجال محتدًا وصاخبًا كان المولود في صحة جيدة، ويعني بالمولود نظرية «التفكيك».

وقد رشح دريدا لجائزة نوبل أكثر من مرة، وكان يتوق إلى الفوز بها، على الرغم من اقتناعه أن صيته العالي كان أفضل من جائزة نوبل، التي يقول: إنها أصبحت مسيَّسة في الربع الأخير من القرن العشرين.

وقد عُرف عن دريدا دفاعه المستميت عن حقوق الشعب الفلسطيني، على الرغم من أصله اليهودي، وقد حمل على سياسة التوطين التي تنتهجها إسرائيل في فلسطين، وكان يطلق كلمة «مارق» على كل من يستخدم القوة، وقد علق على الحرب التي تشنها أمريكا حاليًا في العراق بقوله: «ما تقوم به الولايات المتحدة وحلفاؤها، وما تزعمه هذه القوى من رعاية القانون الدولي، وما تتخذ من ذرائع لشن الحرب على بعض الدول، تجعل الولايات المتحدة الأمريكية في طليعة الدول المارقة».

وخلّف دريدا عددًا كبيرًا من المؤلفات، أشهرها: «الكتابة والاختلاف»، و«الانتشار»، و«هوامش الفلسفة»، و«الحقيقة بالرسم»، و«من أجل بول تسيلان».

جاك دريدا





معرض للفن الإسلامي في واشنطن

يشهد معرض الفن الإسلامي المقام حاليًا في الصالة الوطنية للفن في واشنطن إقبالاً متزايدًا من الجمهور عامة، والمثقفين خاصة؛ رغبة منهم في زيادة معرفتهم بالإسلام من خلال الفنون الإسلامية.

ويضم المعرض مجموعة كبيرة من ذخائر الفنون الإسلامية من مقتنيات متحف فكتوريا وألبرت في لندن، وعلى أكثر من مئة عمل فني تغطي مختلف جوانب الحضارة والفنون الإسلامية في مجالات الخط العربي، والزخرفة الإسلامية، وصناعات الخزف الإسلامية، وكذلك النسيج والبناء والمعمار، وغيرها من الفنون التي كانت سائدة في عصور الحضارة الإسلامية.

ويقام هذا المعرض بدعم من السيد محمد عبداللطيف جميل، المتبرع بصالة جميل للفن الإسلامي في متحف فكتوريا وألبرت في لندن، التي خصصت لإحياء ذكرى المرحوم عبداللطيف جميل مؤسس مجموعة عبداللطيف جميل المحدودة.

الجدير بالذكر أن هذا المعرض سيستمر في واشنطن حتى السادس من شهر فبراير/شباط ٢٠٠٥م، يرحّل بعد ذلك إلى متحف كيمبل للفنون في ولاية تكساس في الفترة من ٣ أبريل/نيسان إلى ٤ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٥م، ثم بعد ذلك إلى متحف سيتاغيا للفنون في العاصمة اليابانية طوكيو في الفترة من ٢٢أكتوبر/تشرين الأول إلى ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٥م، وأخيرًا إلى متحف ميلينيوم غاليري في العاصمة البريطانية لندن في الفترة من ١٤يناير/كانون الثاني إلى ١٦أبريل/نيسان ٢٠٠٦م.

العرب والهيروغليفية

أكدت الدراسة التي قام بها الباحث السوري يحيى مير علم عن مخطوطة «شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام» لابن وحشية النبطي، أن «العرب كانوا أول من فك رموز اللغة الهيروغليفية» قبل عالم المصريات الفرنسي جان فرانسوا شامبليون بما يقرب من ألف عام. ونقل موقع إيلاف أن الباحث أكّد أن العالم العربي أبابكر أحمد بن علي بن قيس بن المختار المعروف بابن وحشية النبطي الكلداني الذي يرجح العلماء ولادته في منتصف القرن الثالث الهجري أو القرن الرابع الهجري كان «أول من فك رموز اللغة المصرية القديمة وميّز أنواعها»، وأكد مير علم أن المستشرق النمساوي جوزيف همر لابد أن يكون قد اطلع على هذه المخطوطة قبل أن يقوم بفك رموز حجر رشيد الذي عثر عليه بالقرب من مدينة رشيد الواقعة على بعد ٦٥ كلم شرق

توثيق المؤلفين السعوديين

وثّقت مكتبة الملك فهد الوطنية نحو خمسة آلاف ومئتين واثنين وأربعين علمًا من أسماء المؤلفين السعوديين، الأحياء والمتوفين، وذلك ضمن خططها المستمرة في رصد أسماء المؤلفين القدامى والمعاصرين وتوثيقها ممن لهم كتب مودعة في المكتبة.

وتشمل عملية التوثيق حصر أسماء المؤلفين، وإيجاد صيغ مناسبة موحدة وكاملة لمداخل الأسماء المتفاوتة، ومعرفة الأسماء الحقيقية للأسماء المستعارة، مع إتمام الأسماء الناقصة، والتأكد من هوية المؤلف، وتثبيت تواريخ الميلاد للأحياء، وتواريخ الوفاة للمتوفين قديمًا وحديثًا.

وقد اعتمدت المكتبة على عدد من المصادر الأولية والمطبوعة للمؤلفين الذين تقتني المكتبة أعمالهم الفكرية المنشورة داخل المملكة أو خارجها. ومن المتوقع إصدار الطبعة الثانية من مرجع (الأسماء الاستنادية للمؤلفين السعوديين) الذي يعدّ الأداة المرجعية الوحيدة لضبط الأسماء وتنظيم الفهارس في المكتبات ومراكز المعلومات، وستكون القائمة متاحة لاستخدام المؤلفين عبر شبكة الإنترنت.

مؤتمر دولي للآثار الإسلامية

تشهد مدينة إستانبول التركية في الفترة من ٨ إلى ١٠ أبريل/نيسان من العام القادم «المؤتمر الأول حول الآثار الإسلامية» الذي ينظمه مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا)، ويعدّ هذا المؤتمر الأول من نوعه الذي يجمع علماء هذا المجال ومتخصصيه من أنحاء العالم كافة. ويهدف هذا المؤتمر إلى تأسيس تقليد علمي خاص بالآثار الإسلامية في إطار الاختصاص، كما يعمل على تحديد المواقع والتحف الفنية التي ترجع إلى الفترات الإسلامية، والحفاظ عليها من الدمار والاندثار، وعدت الآثار الإسلامية مجالاً مستقلاً منفصلاً عن تاريخ الفن والآثار الكلاسيكية، مع مراعاة الحفاظ على التعاون مع تلك المجالات.

وكان المركز الذي يضم في عضويته سبعًا وخمسين دولة هي الدول التي تشكل منظمة المؤتمر الإسلامي قد تسلم عددًا كبيرًا من الطلبات من الدول الأعضاء، بالإضافة إلى طلبات من جامعات ومؤسسات ثقافية مختلفة تدعوه إلى بحث وضع الآثار الإسلامية في مختلف أنحاء العالم، واقتراح الحلول المناسبة للحفاظ عليها، مما حدا به إلى الدعوة إلى عقد هذا المؤتمر.

مدينة الإسكندرية، وتعود أهمية هذا الأثر التاريخي إلى وجود نصوص مكتوبة باللغة الهيروغليفية، وما يقابلها من مضمون باللغة اليونانية القديمة منقوشة عليه، وقد قام العالم الفرنسي بترجمة هذه النقوش عام ١٨٢٢م.

والجدير بالذكر أن هذه المخطوطة قد تم نسخها سنة ٢٤١هـ/٨٦١م، وكان أول من كشف عنها المستشرق النمساوي جوزيف همر، وقام بطبعها في لندن عام ١٨٠٦م.

ويشار إلى أن ابن وحشية ولد في ضواحي الكوفة، وكان ملمًا بعدد كبير من اللغات القديمة المعروفة في زمنه، مثل: الكردية، والنبطية، والفارسية، والهندية، حتى قيل إنها بلغت ٨٩ لغة من بينها الهيروغليفية التي تضمنتها المخطوطة موضوع الدراسة، وقد وصفه ابن النديم بالساحر؛ لأنه كتب بالطلسمات والصنعة. كما كتب عن السحر وأصحاب السحر، وعن (الكيمياء) التي بلغت مصنفاته فيها نحو الثلاثين مصنفًا.

تحية تقدير متوسطية

من المقرر أن يصدر عن مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات في تونس خلال الأيام القادمة كتاب من جزأين بعنوان «تحية تقدير متوسطية لأندري ريمون»، تكريمًا للأستاذ أندري ريمون أحد أبرز أعلام البحث التاريخي الفرنسي عن تأريخ الولايات العربية في أثناء العهد العثماني، وقد قام بجمع الكتاب وتقديمه الدكتور عبدالجليل التميمي، ويتكون هذا الكتاب من عدد من البحوث كتبت بعدة لغات، شارك في إعدادها عدد من المؤرخين التونسيين.

ويجيء هذا التكريم تقديرًا للمسار العلمي الاستثنائي للأستاذ أندري ريمون الذي استمر منذ عام ١٩٤٧م إلى يومنا هذا، وللعدد الكبير من البحوث التاريخية والأثرية التي قام بها، والتي تمسح جزءًا مهمًا من الولايات العربية خلال العهد العثماني، والأهم من ذلك كله هو الشعور الرفيع بالمسؤولية والصرامة العلمية التي جعلت منه سلطة يلجأ إليها، ليس فقط على الساحة الفرنسية، وإنما أيضًا الدولية، حتى إن المئات من الطلبة العرب والفرنسيين والدوليين استفادوا من علمه الواسع، ونزاهته الفكرية، وخبرته العلمية الواسعة والعميقة بإشرافه على بحوثهم التاريخية حول الولايات العربية في العهد العثماني.

بدأ أندري ريمون دراسته بباريس، ثم التحق بجامعة السوربون، وحصل على الإجازة العليا في التاريخ عام ١٩٤٥م، ورحل إلى تونس في عام ١٩٤٧م، وعمل بالتدريس في المدرسة الصادقية، وتعلم اللغة العربية الفصحى ليستوعب خصوصيات تاريخ الدول العربية، واهتم بدراسة تاريخ تونس في القرن التاسع عشر، وأعدّ أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في جامعة أكسفورد «حول السياسات البريطانية في تونس بين عامي ١٨٣٠ و١٨٨١م» تحت إشراف الأستاذ ألبرت حوراني، معتمدًا على أرشيف الخارجية البريطانية بلندن، ليكون أول باحث أوربي وفرنسي بشكل خاص يستعمل المصادر الأرشيفية البريطانية.

عبدالجليل التميمي



فارس يفوز بجائزة البابطين

فاز الشاعر السوداني محيي الدين فارس بجائزة (عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري)، ونال الجائزة التكريمية للدورة التاسعة التي أقيمت في مدينة قرطبة الإسبانية تحت عنوان «دورة ابن زيدون» في الفترة من ٤ إلى ٨ أكتوبر/تشرين الأول الماضي تحت رعاية ملك إسبانيا خوان كارلوس.

وقد جاء هذا الاختيار، لأن الشاعر (فارس)، كما يقول رئيس المؤسسة: «من الرعيل الأول الذي جذّر الشعر الأصيل في حقول الإبداع منذ بداية الخمسينيات من القرن الماضي. وقدم أسلوبه الخاص والمتميز عن أقرانه من الشعراء. وقد تجلى هذا واضحًا في دواوينه الخمسة وهي: «الطين والأظافر» ١٩٥٦م، و«نقوش على وجه المغارة» ١٩٧٨م، و«صهيل النهر»، أخرى و«القنديل المكسور» ١٩٩٧م، و«تسابيح عاشق» ٢٠٠٠م، كما أن للشاعرمؤلفات أخرى أرّخت للحركة الشعرية في حقبة مهمة من تاريخ (ديوان العرب)».

محيي الدين فارس



وقال رئيس المؤسسة: إن الشاعر محيي الدين فارس «من الأقلام التي شغلت النقاد زمنًا حيث كتبت عنه العديد من الدراسات والأبحاث التي أثرت الحركة الشعرية»، وأوضح الرئيس أن هذه الجائزة لا تخضع للتحكيم بل لآلية خاصة يضعها ويشرف عليها وعلى تنفيذها رئيس مجلس الأمناء، والجهة المخولة بالترشيح هي مجلس أمناء المؤسسة فقط.

وقد حضر هذا الحدث الثقافي جمع غفير من المثقفين والأدباء من المستعربين الإسبان وغيرهم، وتميزت فعاليات هذه الدورة بتناول قضايا فكرية ركزت في إشكالية العلاقة بين الغرب والإسلام من الخلاف إلى المشاركة، بالإضافة إلى المحاور الأدبية التي ركزت في إعادة الاعتبار إلى شعر الشاعر الأندلسي ابن زيدون، والنظر في التأثيرات المتبادلة بين الشعر العربي والإسباني.

ومن أبرز القضايا التي تناولتها محاور الدورة ورقة سلمى الجيوسي التي قدمت قراءة في شعر ابن زيدون وموقعه في الشعر الأندلسي من خلال تبيان علاقة نصه الشعري بالنصوص الأخرى في زمنه، وفي ما سبق زمنه، وعلاقته بالأعراف الشعرية المتوارثة، كذلك وضع وهبة رومية شعر ابن زيدون في ميدان النقد، محصيًا عدد قصائده في الرثاء والمديح، والغزل والحنين والشكوى والتهديد والعتاب والشفاعة، وقدّمت المستعربة ماريا خيسوس بيغيرا دراسة بينت من خلالها موقع ابن زيدون بين المستعربين والأوربيين في الغرب، وغير ذلك من الدراسات التي تناولت هذا الشاعر الأندلسي الشهير.

حريق في مكتبة ألمانية

اندلع حريق في الشهر الماضي في مكتبة (آنا آماليا) التي تقع في مدينة فيمار الألمانية، وأتى على نحو ٣٠ ألف كتاب، وقالت الشرطة: إن جانبًا من الجزء العلوي من المبنى انهار على قاعة (الروكوكو) الشهيرة التي لحقت بها أضرار فادحة. وكانت ألسنة اللهب قد ارتفعت إلى نحو عشرة أمتار لتصل إلى الجزء العلوي من المبنى المعروف باسم (القلعة الخضراء)، الذي يبلغ عمره نحو ٤٠٠ عام.

وتضم مكتبة (آنا آماليا)، وهي من مواقع التراث وفقًا لقوائم اليونسكو، نحو مليون كتاب بينها ألفا مخطوطة نادرة من العصور الوسطى، ومجموعة من الأناجيل التي يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر، ومرسوم بابوي صدر ضد مارتن لوثر، ورسائل لاوتو فون بسمارك أول مستشار لألمانيا.



مؤتمر دولي للحضارة اليمنية

أقيم مؤخرًا في العاصمة اليمنية صنعاء «المؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية» شارك فيه أكثر من مئة عالم آثاري عربي وأجنبي، وممثلون عن الجامعات والهيئات ومراكز الأبحاث المحلية والعربية والدولية، وكان من أبرز الشخصيات التي حضرت المؤتمر البروفسور والتر مولر من ألمانيا، والبروفسور كريستيان روبان من فرنسا، والبروفسور عدنان البخيتي من الأردن، والبروفسور عبدالحليم نور الدين من مصر، وغيرهم من الشخصيات العلمية.

ويعدّ هذا المؤتمر الخامس ضمن سلسلة المؤتمرات التي بدأ تنظيمها حول الحضارة اليمنية منذ عام ١٩٧٥م في عدن، ثم عام ١٩٨١م في صنعاء، وفي عدن مرة أخرى عام ١٩٨٩م، وفي صنعاء أيضًا مرة أخرى عام ١٩٩٧م.

وبدأت أعمال المؤتمر بعقد ثلاث جلسات، ترأس الجلسة الأولى الدكتور عبدالكريم الأرياني المستشار السياسي للرئيس اليمني علي عبدالله صالح، وتحدث فيها الدكتور ولتر مولر الألماني عن لوحتين برونزيتين تم اكتشافهما حديثًا، وقدّم الدكتور يوسف محمد عبدالله مستشار وزير الثقافة في الجلسة الثانية دراسة بعنوان «نقش جديد من مأرب»، في حين قدّم الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري من السعودية في الجلسة الثالثة دراسة حول «جبل مأسل ونصوص المسند التي ترجع إلى فترة التاريخ اليمني القديم».

وناقش المؤتمرون خلال جلسات المؤتمر، التي استمرت ثلاثة أيام، أكثر من مئة بحث قدمت بثلاث لغات، وجاءت ضمن محورين رئيسين: تناول المحور الأول الآثار والكتب القديمة والفنون في الحضارة اليمنية القديمة، وجاء الثاني حول صنعاء العمارة والتاريخ والتراث الحضاري.

وصاحب انعقاد هذا المؤتمر معرض معماري يبرز أساليب البناء اليمني وطابعه المعماري الهندسي، كما عرضت بعض النماذج الفلكلورية عن الأزياء اليمنية التقليدية.

مركز زايد الثقافي في كوسوفا

افتتح في الشهر الماضي في مدينة فوشتري في إقليم كوسوفا مركز زايد الثقافي، وقد احتفل أهل المدينة بهذه المناسبة التي شارك فيها وفد من مؤسسة زايد للأعمال الخيرية والإنسانية بحضور وزير الصناعة والتجارة الكوسوفي، ورئيس بلدية فوشتري، ومفتي المشيخة الإسلامية في كوسوفو.

ويتكون المركز الثقافي من مسجد يتسع لنحو ثلاثة آلاف مصلٍ، ومصلى خاص بالنساء، ومكتبة، ومعهد تعليمي، وقاعة للاجتماعات، بالإضافة إلى مجموعة من الملحقات تستخدم أوقافاً للمركز. وتبلغ تكلفة هذا المشروع أربعة ملايين و٤٠٠ ألف درهم إماراتي.

أما مشروع كلية الدراسات الإسلامية فقد قدرت تكلفة مبانيها وتجهيزاتها بنحو ٧ ملايين و٣٤٢ ألف درهم، وتعدّ هذه الكلية، التي يقدر عدد طلابها بنحو ٤٥٠ طالبًا وطالبة، الوحيدة في المنطقة التي تدرس العلوم الإسلامية بجانب العلوم العصرية الأخرى بمختلف فروعها، وتستوعب طلابًا من كوسوفا وألبانيا ومقدونيا والجبل الأسود.

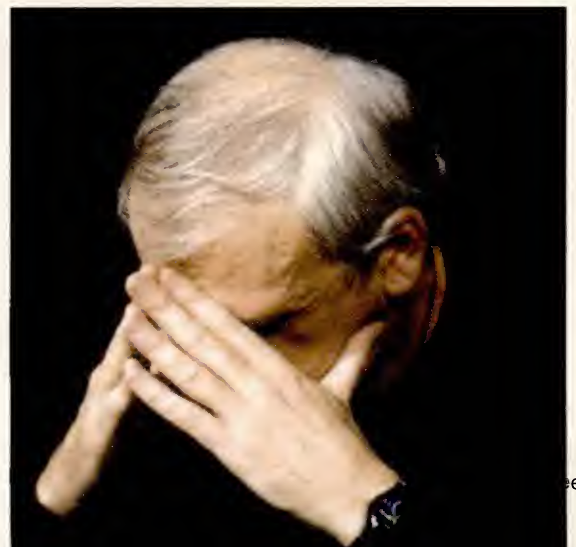
رواية (الجهل) إلى العربية

صدرت مؤخراً عن دار (شرقيات) في القاهرة الترجمة العربية لرواية الكاتب التشيكي ميلان كونديرا التي قام بترجمتها الكاتب المصري الذي يعيش في باريس صالح راشد.

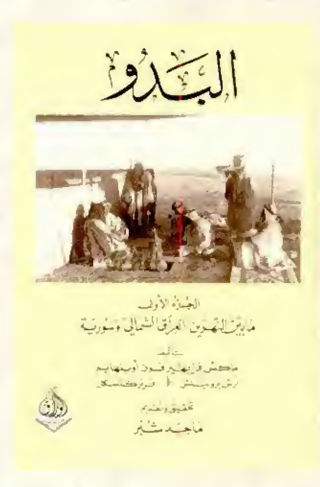
وتدور أحداث هذه الرواية حول عالم المهاجرين التشيك إلى أوربا قبل انهيار الاتحاد السوفييتي، وعودتهم مرة أخرى إلى الوطن. وتشير الرواية إلى أن هؤلاء المهاجرين غادروا أوطانهم بدافع الخلاص من الديكتاتورية وتخلصوا في المهجر من الوطن ذاته، ثم عادوا ليعيشوا الجهل به، ومن ثم اختاروا العودة مرة أخرى إلى المهجر في محاولة للاندماج في أوطانهم الجديدة مرة أخرى، بعد أن اكتشفوا زيف الحجج التي أقاموها لتسويغ الهرب في البداية.

ولد كونديرا عام ١٩٢٩م في برنو من أبٍ اشتهر بالعزف على البيانو، ونشرت أولى رواياته عام ١٩٦٧م، وكانت بعنوان «المزاح»، وتوالت رواياته بعد ذلك، إذ أصدر «فالس الوداع»، و«الحياة هي في مكان آخر»، وانتقل بعد ذلك إلى فرنسا، وفيها كتب باللغة التشيكية زمنًا طويلاً، ثم بالفرنسية. وبدأ القارىء العربي يتعرف إلى إنتاجه أول مرة عندما قامت دار الآداب بترجمة روايته «الحياة هي في مكان آخر» عام ١٩٨٨م، ثم توالت بعد ذلك ترجمات الدار نفسها لرواياته: «غراميات مرحة»، و«خفة الكائن التي لا تحتمل»، و«كتاب الضحك والنسيان». ثم صدرت له عن دار أزمنة في عمان رواية «الخلود»، كما صدرت له عن دار ورد في دمشق روايتان، هما: «البطء» و«الهوية».

ميلان كونديرا







فون أوبنهايم، ماكس فرايهير (وآخرون)/ البدو، ترجمة ميشيل كيلو ومحمود كبيبو، تحقيق وتقديم: ماجد شبر ـ لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، ٢٠٠٤م، (٥أجزاء).

مؤلف هذا الكتاب الموسوعي هو المستشرق، والآثاري، والسياسي، والقانوني، والدبلوماسي البارون ماكس فون أبونهايم ، وساعده وشاركه في التأليف عالمان ألمانيان هما: البروفسير إيريش برونيلش، والبروفسير فرز كاسكل.

يقول المؤلف: «سيقدم كتابنا هذا معطيات إلى كل من يبحث عن معلومات حول سائر المسائل المتعلقة بأبناء الصحراء»، وأن هذا الكتاب حصيلة أربعين عامًا من العمل والملاحظات والتسجيلات الشخصية التي قام بها، وقد سار في إعداد الكتاب باتجاهين: الأول إنجاز دراسة واقعية للحياة المادية والثقافية للبدو، والثاني: متابعة أعرافهم وعاداتهم ومراقبة حياتهم داخل الأسرة والقبيلة وحيال المنتسبين إليها وتدوين مأثورات قبائلهم.

يتميز هذا الكتاب من غيره من الكتب المتعلقة بالبدو وحياتهم بأنه تناول أنساب القبائل من الناحية الجغرافية من الجبال الكردية شمالاً إلى المناطق السعودية جنوبًا، ويتناول الكتاب القبائل وفقًا للمناطق: كقبائل بلدان ما بين النهرين، وسورية، وفلسطين، وشرق الأردن، والحجاز ووسط وشرق الجزيرة العربية، والعراق وجنوب غرب فارس.

اتسم المؤلف بالموضوعية في بحثه فأوضح حبه للعرب عامة والبدو خاصة، فهو لم يصفهم بالسراق والقتلة، كما هو حال كثير من الرحالين، بل يقول عنهم: إنهم شعب أبيّ محبّ للحرية، قاسٍ شديد البأس، مضياف محارب»

وكان احترامه للإسلام واضحًا فوصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالنبي في كثير من الأحيان، وليس بالاسم المجرد كما هو حال الكثير من المستشرقين، وقد قسم أبو نهايم في بحثه القبائل حسب التقسيم الجغرافي، والكتاب يقدم معلومات وافرة لكل من له اهتمام بالقبائل، أما البحث الميداني الذي تميز به الكتاب من خلال المعلومات التي جمعها عن القبائل فيتسم بتمحيص شديد متخذاً أسلوب التشكيك حتى تثبت دقة المعلومة، ووضع جداول دقيقة لتحديد القبائل الأساسية، والمتفرعة عنها، والتابعة لها، وشيوخها الرئيسين والثانويين، ومناطق تجوالها في الصيف والشتاء، وبعض المعلومات عن تاريخها وشيوخها، وتميز هذا البحث بالمزج بين العمل الميداني والأكاديمي المكتبي، كما تطرق المؤلف إلى الوسم عند القبائل، وصيحات الحرب.



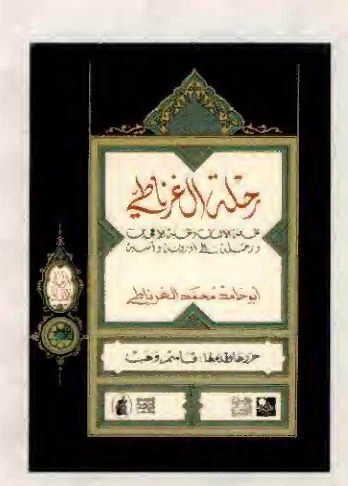
وردم، باتر محمد علي/ العالم ليس للبيع: مخاطر العولمة على التنمية المستدامة ـ عمان: الأهلية للنشر والتوزيع،٢٠٠٣م، ٣٧٨ص.

يبحث هذا الكتاب في فصوله التسعة علاقة سياسات العولمة الاقتصادية الرأسمالية

بالتنمية المستديمة في العالم، وتأثيراتها في الغالبية العظمى من سكان هذا الكوكب، ويقدم تفصيلاً للهوة التنموية والاقتصادية بين الشمال والجنوب. ويعرف المؤلف في الفصل الأول مفهوم العولمة، ويقدم عشرات المقاربات للعولمة من وجه نظر المفكرين والمثقفين العرب والغربيين.

ويقدم الفصلان الثاني والثالث عرضًا موسعًا لآليات النظام الاقتصادي الرأسمالي الحديث ومؤسساته المتمثلة في صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، ويحلل الفصل الرابع المفهومات الرئيسة للتنمية البشرية والإنسانية. ويقدم الفصل الخامس شرحًا لمفهوم التنمية المستديمة وأبعاده الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

أما الفصل السادس فيركز في سمات الاقتصاد العالمي المبني على استنزاف الثروات الطبيعية لاسيما ثروات دول الجنوب لمصلحة الأقلية من سكان الشمال، ويشرح الفصل السابع الروابط بين أنظمة التجارة العالمية، وأهمية حماية البيئة. ويقدم الفصل الثامن تعريفاً عن دور الشركات المتعددة الجنسية، وسيطرتها على مجمل الاقتصاد العالمي. ويعرض الفصل التاسع أهداف وآليات عمل التيار العالمي المناهض للعولمة الاقتصادية وآلياته، وأبرز شخصياته ومؤسساته.



الغرناطي، أبو حامد محمد/ رحلة الغرناطي: تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلى أوربة وآسية، تحرير وتقديم: قاسم وهب - أبوظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م، ١٩٠ص.

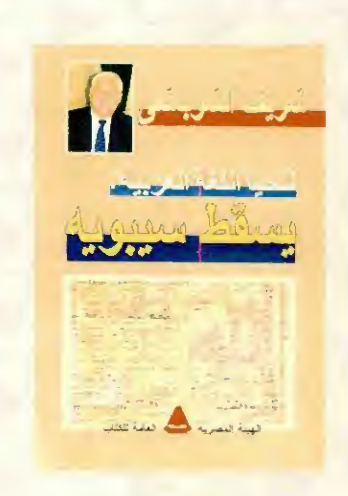
يعدّ هذا الكتاب تقديماً لرحلة الغرناطي إلى أوربا وآسيا في القرن العاشر الميلادي، في محاولة لرد المكانة لرحالة وجغرافي عربي كبير، أصدر بعض المؤرخين العرب بحقه أحكامًا سريعة ومقتضبة لا تستند إلى الاستقصاء والتحليل، فمنهم من أثنى عليه، ومنهم من اتهمه بالكذب جزافًا، في حين حظيت تحفة الغرناطي باهتمام المستشرقين منذ نهايات القرن الثامن عشر، في الوقت الذي لم تحظ فيه باهتمام يذكر من قبل الدارسين العرب والمسلمين في القديم والحديث. وتمتع بأهمية خاصة لما رآه بعينيه، واهتمامه بالأبنية والمعالم المختلفة في المدن والأماكن التي زارها في أروبا وآسيا، و قدم معطيات قيمة عن بعض بلدان أوربا.

وتلقي الدراسة الضوء على أصل المسلمين، وأوضاعهم. أما معلوماته عن حوض القوقاز الأوسط والأدنى، وعن شعوب القوقاز فهي ذات أهمية كبرى، كما نالت اهتمامًا كبيرًا قصته عن تجارة العظام المندثرة التي نشطت بين سكان الفولغا وخوارزم.

تحفل هذه الرحلة بضروب من العجائب مختلفة في وحدة كوزموغرافية راقت



للأجيال التالية من الجغرافيين العرب، فنقلوا عنه.



الشوباشي، شريف/ لتحيا اللغة العربية.. يسقط سيبويه ، القاهرة: الهيئة العالمية العامة للكتاب، ٢٠٠٤م، ١٩٤ص.

أثار هذا الكتاب ردود فعل كثيرة، بسبب الآراء التي تبناها المؤلف الذي حاول أن يناقش الأهمية الحيوية للغة، وهل هناك لغة عالمية، وسأل عن الصعوبة التي يواجهها التلاميذ من أجل تعلم اللغة العربية.

ويوازن المؤلف بين العربية واللغات الحية، ويتطرق إلى قضية حساسة هي علاقة اللغة بالدين، وهل العربية لغة «توقيفية» أم لغة «اصطلاحية؟».

ويدعو الشوباشي بإسقاط سيبويه العلامة اللغوي الكبير، بهدف تطوير قواعداللغة العربية، فهو يريد اللغة العربية من دون قواعد كي يتمكن التلاميذ من استيعابها، إذ يرى أن المشكلة في قواعد اللغة العربية، وليست في التلاميذ.

ويتناول الشوباشي قضية الانفصام اللغوي في العالم العربي، فالإنسان العربي يستخدم لغتين: اللغة الفصحى التي يقرأ بها، والأخرى التي يتحدث بها.

وعلى الرغم من أن القضايا التي تناولها المؤلف مهمة في تطوير اللغة العربية إلا أن حماسه السريع، إضافة إلى عدم تخصصه في مثل هذه الأمور التي تتطلب اختصاصيين في علم اللغة واللسانيات، أوقعه في كثير من الآراء المتسرعة التي لم يعالجها، ولم يضع لها حلولاً، إنما اكتفى بمناقشتها على عجل، ووضع للكتاب عنواناً جذاباً ومثيراً.



متولي، عبدالله حسين/ مبادئ العلاج بالقراءة مع دراسة تطبيقية على مرضى الفصام، تقديم: يحيى الرخاوي ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٤م، ٣٧٠ص.

يمثل العلاج بالقراءة أو البيليوترابيا جانبًا من الجوانب الإيجابية المضيئة لعلم المكتبات والمعلومات؛ إذ إنه يسهم بشكل عملي نفعي في مساعدة الشخص المحتاج إلى حل مشكلاته العاطفية أوالذهنية أو الاجتماعية باستخدام مواد قرائية مناسبة وفقًا لبرنامج موجه.

يتناول الكتاب بحث موضوع العلاج بالقراءة بشكل منهجي منظم، ويضم أربعة فصول: يتناول أولها نشأة العلاج بالقراءة وتطوره من مدخل نظري، مستعرضًا بعض الجهود المؤسسية التي اهتمت بهذا العلاج، ويتناول الفصل الثاني ظاهرة (الفصام) تعريفاً وأسلوبًا وأعراضًا وطرائق علاجات مختلفة، ويوضح الفصل الثالث الخطوات الفعلية الإجرائية

الخاصة بتطبيق العلاج بالقراءة، ويجادل الفصل في تفسير نتائج التطبيق وتأويلها، ويخلص المؤلف إلى بعض التوصيات والنتائج التي توصل إليها بعد التطبيق العملي.



زلوم، عبدالحي يحيى/ إمبراطورية الشر الجديدة ـ بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م، ٤٣٢ص.

يقول المؤلف «بينما كان حلفاء الإمبراطورية البريطانية العرب يقاتلون الدولة العثمانية إبان الحرب العالمية الأولى كانت حكومة صاحب الجلالة تخطط سرًا لنظام ما بعد الحرب، نظام دويلات سايكس بيكو، وأعطيت فلسطين بعد سلبها من أصحابها الحقيقيين إلى اليهود. وكان حلفاء الإمبراطورية العرب أول الضحايا، فكلام الإمبراطورية في الليل يمحوه النهار، لقد علمنا التاريخ قديماً وحديثاً أن حلفاء الإمبراطورية الجديدة اليوم لن يكونوا أكثر حظًا من حلفاء الأمس، فاليوم ينتظر حلفاء الأمبراطورية الجديدة العرب «خريطة طريق» للشرق الأوسط الجديد يرسمها الصهاينة، والصهاينة المسيحيون الذين استولوا على السلطة في الإمبراطورية الجديدة، وإلى أين ستأخذنا وتأخذهم هذه الخريطة؟ كانت آنئذ اسمها اتفاقية سايكس بيكو واليوم اتفاقية شارون بوش».

ويؤكد أنه ليس للأباطرة أصدقاء ولا صداقات. مات ماركوس في منفاه، وضاقت الأرض بما رحبت لقبر يوارى فيه جثمان شاه إيران، جند الولايات المتحدة ألوفاً من المتطوعين ليجاهدوا معها ضد الكفار السوفييت في أفغانستان، وبعد أن قضي الأمر أين أصبح هؤلاء؟. منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر في غوانتينامو؟ ثم أين هو سوهارتو؟ وأما ما نويل نورييغا فقدا بدأ حياته مخبرًا، ثم عميلاً من الدرجة الممتازة لوكالة المخابرات الأمريكية التي أوصلته إلى حكم جمهورية بنما. أما اليوم فهو في السجن في أحد سجون ميامي الفيدرالية بولاية فلوريدا، ناقش المؤلف خلال الكتاب قضايا تتعلق بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، والنظام العالمي الجديد، والسيطرة على النفط العالمي، وحقيقة إسرائيل الإمبريالية، والاستعمار الجديد في قناع العولمة، وإخفاق النظام الرأسمالي، اقتصاديًا، واجتماعيًا، وسياسيًا، وأخلاقيًا، كما ناقش المؤلف علاقة الإسلام بالغرب، وحقائق الدين الإسلامي مقابل المغالطات.



بريجنكسي، زبيغنو/ الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم، ترجمة: عمر الأيوبي ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م، ٢٥٦ص.

ما التهديدات الرئيسة التي تواجهه أمريكا؟ وهل يحق لأمريكا الحصول على أمن أكثر

من الأمم الأخرى بالنظر إلى مكانتها المهيمنة؟ كيف ينبغي أن تواجه أمريكا التهديدات التي تصدر عن أعداء ضعفاء لا عن منافسين أقوياء؟

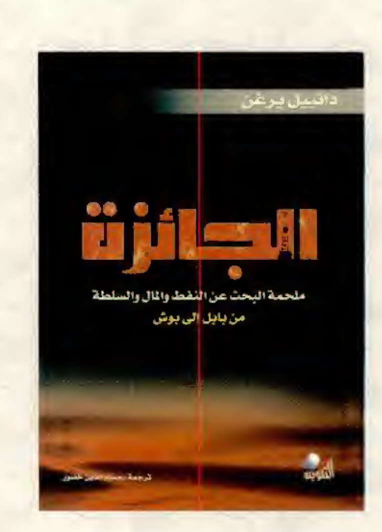
هل تستطيع أمريكا أن تدير بشكل بناء علاقتها على المدى البعيد بالعالم الإسلامي، هل تستطيع أمريكا بشكل حاسم على الصراع الإسرائيلي الفلسطيني؟ ماذا يلزم لإيجاد استقرار سياسي في بلاد البلقان؟ هل تستطيع أمريكا تأسيس مشاركة حقيقية مع أوربا؟ هل يمكن ضم روسيا إلى إطار أطلسي تقوده أمريكا؟

ما الدور الذي يمكن أن تمارسه أمريكا في منطقة الشرق الأقصى نظرًا إلى اعتماد اليابان بشكل متزايد على الولايات المتحدة، وبالنظر إلى تنامي القوة الصينية؟

ما مدى احتمال أن تؤدي العولمة إلى ولادة مذهب معاكس أو تحالف معارض متماسك يواجه أمريكا؟هل ستصبح الديمغرافيا والهجرة تهددان الاستقرار العالمي؟

يجيب هذا الكتاب عن كل الأسئلة وأسئلة أخرى، فالمؤلف يعمل حاليًا مستشارًا في مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، وأستاذا للسياسات الخارجية في جامعة جونز هوبكنز. وقد كان مستشار الأمن القومي في عهد كارتر، وصدر له: «الإخفاق الكبير» و«لوحة الشطرنج الكبرى».

يرغن، دانييل/ الجائزة: ملحمة البحث عن النفط والمال والسلطة: من بابل إلى بوش، ترجمة: حسام الدين خضور ـ دمشق: دار التكوين للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م، ١٠٢٣ص.



يعد المؤلف مرجعًا في القضايا الدولية، وتجارة النفط، ويعمل رئيسًا لمؤسسة أبحاث الطاقة في جامعة كامبردج، ومحاضرًا في هارفود سكول، وجون كنيدي سكول.

وهذا الكتاب الحائز على جائزة بوليترز، هو تأريخ للقرن العشرين، مثلما هو تأريخ لصناعة النفط، إذ تظهر فيه حلبة هائلة الاتساع من حفر البئر الأولى في بنسلفانيا عبر حربين عالميتين إلى الغزو العراقي للكويت، وعملية عاصفة الصحراء، والشخصيات فيه تمتد من ونستون تشرشل، وابن سعود، إلى جورج بوش وصدام حسين.

قسم المؤلف الكتاب إلى خمسة أقسام هي: المؤسسون، الصراع العالمي، والحرب والإستراتيجية، وعصر الهيدروكربون، والمعركة من أجل السيادة على العالم.

زيغلر، جان/ سادة العالم الجدد: العولمة ـ النهابون ـ المرتزقة ـ الفجر، ترجمة: محمد زكريات إسماعيل ـ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣م، ٣٠٤ص.

يموت من الجوع في العالم هذه الأيام طفل يقل عمره عن عشرات سنوات كل سبع ثوان، وذلك من معظم الحالات عائد إلى عامل قاهر واحد: سادة العالم الجدد، سادة رأس المال المعولم. من هؤلاء السادة؟ ومن أين يستمدون سلطتهم؟ وكيف التصدي لهم؟

يكشف هذا الكتاب هوياتهم، ويحلل خطابهم، ويفضح أساليبهم، فهناك مرتزقة مخلصون للنهابين، داخل منظمة التجارة العالمية، والبنك العالمي، وصندوق النقد الدولي، ويتعقب الكتاب خطا كبار المسؤولين في هذه المؤسسات التي تطالها الشبهات، ويفكك الأيديولوجية التي تقود خطاهم، ويلقي ضوءًا كاشفًا على الدور الذي تؤديه الإمبراطورية الأمريكية في الكواليس.

ينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام: الأول في تاريخ العولمة، ويركز الثاني في النهابين وممارساتهم، ويبين القسم الثالث المرتزقة، والقسم الرابع عن ديمقراطية العالم المتمثلة في مؤسسات المجتمع المدني.

الأشرف الرسولي، عمر بن يوسف/ المغني في البيطرة في الخيل والجمال وغيرها، تحقيق: محمدالتونجي ـ أبوظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٢٢٦ص.



عني المؤلف في هذا الكتاب بالأمراض التي تعرض للخيل مفصلاً القول فيها حيث الأعراض وطرائق الوقاية والعلاج، كما ألحق ذلك بالأمراض التي تعرض لسائر الأنعام والبهائم، كالبغال والجمال. يسلط الكتاب الضوء على جانب مهم برع فيه أجدادنا، وهو علم البيطرة، الذي ما زالت أكثر أساليبه وأدويته القديمة مستعملة حتى الآن.

واستقصى المؤلف أحوال هذا العلم من كتب السابقين، وزاد عليها شيئًا كثيرًا من خبرته ومعرفته، مما يجعل الكتاب مرجعًا مهمًا في حقله، منبها جمهرة القراء على طائفة من الملوك والأمراء الذين لم تشغلهم السياسة والدنيا عن التفرغ للتعلم والأخذ منه بنصيب.

يذكر أن المؤلف هو الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول أبو حفص مهدي الدين، أحد ملوك الدولة الرسولية في اليمن، تولى مقاليد الحكم في اليمن في سنة٦٩٤هـ، وتوفي من المرض (سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦) بمدينة تعز.

وله من المؤلفات المحققة: «الأسطرلاب»، وطرفة الأصحاب في معرفة الأنساب» حققه سترستين، ومخطوط «التبصر في علم النجوم»، و«المعتمد من مفردات الطب» وطبع هذا الكتاب منسوبًا إلى اسم أبيه يوسف بن عمر.





الصريخ، عبداللطيف محمد/ دور الوقف الإسلامي في تنمية القدرات التكنولوجية ـ الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١٣٠ص، (سلسلة رسائل جامعية).

تهدف هذه الدراسة إلى بيان دور الوقف الإسلامي، ومساهمته إلى جانب القطاع الحكومي، والقطاع الخاص كقطاع ثالث في تمويل الأنشطة التكنولوجية، وكرافدٍ مهم من روافد تنمية القدرات التكنولوجية، إذ يؤدي الوقف الإسلامي دورًا مهمًا وحيويًا في هذا المجال، فهو يعد من مصادر التمويل المستمرة والمستقرة التي لا تتأثر بالسياسات الحكومية المتقلبة، ولا بسياسات القطاع الخاص الذي يبحث عن الربح دون النظر، في أغلب الأحيان إلى تنمية المجتمع.

تنبع هذه الدراسة من كونها الدراسة الأولى من نوعها كرسالة أكاديمية بجامعة الخليج العربي لنيل درجة الماجستير، إذ تستعرض بعض أدوار الوقف الإسلامي في ذلك على مدى التاريخ القديم والحديث، وتستعرض جهود الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، وصندوق الوقف بالبنك الإسلامي للتنمية كنموذجين أخذا على عاتقهما تعزيز دور الوقف، وتطوير آلياته، بصورة عصرية تتناسب ومتطلبات التنمية من جميع الوجوه، التي منها تنمية القدرات التكنولوجية، وتطرح الدراسة مقترحًا واضح المعالم (للدور المستقبلي للأوقاف الإسلامية في تنمية القدرات التكنولوجية) بعد بيان مسوغات أهمية استثمار أموال الوقف في المجال التكنولوجي.



الزكي، أحمد عبدالفتاح/ التربية المقارنة ونظم التعليم: دراسة منهجية ونماذج تطبيقية ـ الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٤م، ١٩٢ص (سلسلة دراسات في التربية المقارنة ـ ١).

تمثل التربية المقارنة أحد الفروع الأساسية للتربية، إذ تعنى بدراسة نظم التعليم في الدول المختلفة من حيث جميع مدخلاتها ومخرجاتها، فتلقي الضوء على الأهداف والأولويات التربوية التي يتبناها نظام التعليم، وتبين شكل السلم التعليمي الذي تتبعه تلك الدولة ومستوياته، ومراحل التعليم المختلفة بما تشتمل عليه من تعليم عام، وتعليم مهني وفني، وتعليم خاص، كما توضح طريقة تمويل التعليم، ومصادر هذا التمويل، وأوجه الانفاق ودلالاتها، وتتعرض إلى المعلم من حيث طريقة إعداده وتدريبه، وتأهيله، ومكانته الاجتماعية، والاقتصادية في هذا النظام.

يقدم هذا الكتاب بعض النماذج التطبيقية لنظم التعليم في العالم، وتتعرض لدراسة كل من: اليابان، وماليزيا، وإيطاليا، ولعل اختيار اليابان يرجع إلى شهرة التعليم

الياباني بروعته ودقته. أما ماليزيا فهي دولة ناشئة لم يكن لها حيث قبل سنوات قليلة حتى أصبحت إحدى النمور الأسيوية التي تحسب لها القوى الاقتصادية العظمى في العالم ألف حساب، وجاءت دراسة نظام التعليم في إيطاليا بوصفها نموذجًا أوربيًا لا نعرف عنه الكثير، ولم تتعرض له الدراسات التربوية إلا نادرًا.



المسيري، عبدالوهاب/ في الخطاب والمصطلح الصهيوني: دراسة نظرية وتطبيقية ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٢٨٢ص.

صك المصطلحات الصهيونية المتميزة عملية مستمرة، ولذا لا بد من إدراك ما تنطوي عليه هذه المصطلحات من مفهومات عنصرية، وإدعاءات زائفة، والتصدي لذلك من خلال عملية تفكيك وإعادة ترتيب لهذه المصطلحات، فضلاً عن توليد مصطلحات أخرى مضادة.

وهذا الكتاب هو محاولة للتأكيد على قضية محورية وهي قضية المصطلحات، وتسمية الظواهر والأشياء فعادة المصطلحات تخبئ مفهومات، وهذه المفهومات قد تكون متحيزة ضدنا: إن كان من صك المصطلح معاديًا لنا، ورؤيته للواقع تغيبنا وتهدر حقوقنا.

فحينما يشير الصهاينة إلى «فلسطين» بوصفها «إسرائيل» وإلى «القدس» بوصفها «أورشليم»، وحينما يتحدثون عن أمن إسرائيل أو حدودها فإنهم عادة ما مايعطون هذه والمصطلحات مضموناً متحيزاً ضدنا، بل ومعادياً لنا، وهذا ماتحاول هذه الدراسة إنجازها عن طريق تقديم خطوط نظرية منهجية، وبعض التطبيقات.



عبدالعال، صفا محمود/ التعليم العلمي والتكنولوجي في إسرائيل، تقديم: حامد عمار ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٤٠٥ص

تتناول هذه الدراسة سياسة إسرائيل ومؤسساتها ومجالاتها في مجال العلم والتكنولوجيا، فهي لا تهدف تمجيد الجماعة العلمية الصهيونية الإسرائيلية، ولا ارتباط تقدمها في هذا المجال بأسطورة شعب الله المختار، كما أنها لا تدعو من قريب أو بعيد لمحاولات جلد الذات العربية مقارنة بالرصيد الإسرائيلي.

لكن مقصدها هو الاقتناع بضرورة مواجهة أي عدو، أو خصم، أو معطل لمسيرة نمائنا، والسعي الجاد لفهم مصادرة قوته، ومواطن ضعفه، أخذًا بمبدأ معرفة النقيض، وإلى تقييم واقعه تقييمًا موضوعيًا، دون تهويل أو تهوين، ومن ثم يظل من الضروري معرفة مصادر الجبروت التي تمثل عتاد الصهاينة، وكيف يعملون وينظمون إنتاج ذلك العتاد، الذي يوظفونه في الاحتلال، وتهديد أرجاء وطننا العربي





الأدب الإسلامي (ع٤٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)

مجلة أدبية إسلامية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

زخر هذا العدد بموضوعات متنوعة، ففي البحوث والمقالات شارك نجيب الجباري بمقال عن الشعر في خدمة الدعوة الإسلامية، وركز الدكتور عبدالباسط بدر في خطاب عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وتناول إبراهيم عباس غانم «مرايا الدكتور حمودة المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية».

وجاء ملف العدد عن رائد من روّاد الأدب الإسلامي، هو الأديب والداعية محمد حسن بريغش، شارك فيه كل من: عبدالقدوس أبو صالح، وصالح بن علي الأحمر، وفهمي النجار، وسعد أبو الرضا، ووليد قصاب، وعبدالله الحيدري، وخالد الدادسي، وشريف قاسم، وشمس الدين درمش، ومحمد نادر فرج، ومحمد السيد الدسوقي، وعبدالله مهدي عبدالله، وسعيد ساجد الكرواني، ومحمد حرب، وأحمد عطية المسعودي، وحيدر الغدير، ومحمد سعيد المولوي.

وتضمن العدد مختارات من الإبداع بقلم: حيدر الغدير، ومحمد سعيدالمولوي، وشريف قاسم، وياسر محمد غريب، ومحمد علي وهبة، ورمضان عمر، وفوزي خضر، والخضر شكير، وأحمد أبو شاور، وخليل الصمادي.

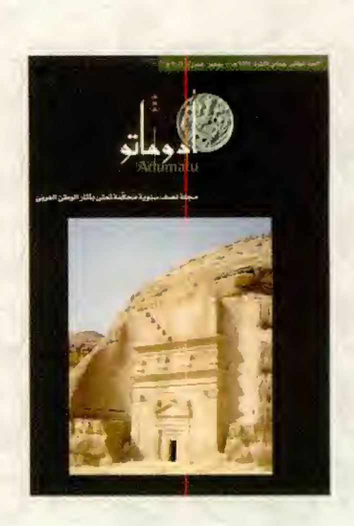
واشتملت المجلة على الأبواب الثابتة مثل: لقاء العدد مع محمود بريغش، وفي الطريق إلى مكة، وتوبة فارس، ومن ثمرات المطابع ، وأدب المسلمين في غرب إفريقية، والرسائل الجامعية، ومن مكتبة الأدب الإسلامي، والأقلام الواعدة، وأخبارالأدب

وختم العدد بورقة بعنوان «تبادلية العلاقة بين الناقد والمبدع؟» لمحمود القديري.

العنوان: السعودية - الرياض

ص ب ٥٥٤٤٦ الرياض ١١٥٣٤

هاتف: ٤٦٣٤٣٨٨ ـ ناسوخ: ٤٦٤٩٧٠٦



أدوماتو (ع١٠، جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ/ يوليو (تموز) ٢٠٠٤م)

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بآثار الوطن العربي، وتصدر عن مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.

اشتمل العدد على مقالات وبحوث، بدأت بمقال للدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري رئيس التحرير، تلاه بحث بعنوان «الصحة العامة للدلمونيين في مدافن تل البحرين» للدكتور عبدالعزيز علي الصويلح، وقدم الدكتور اسماعيل عبدالفتاح محمد دراسة تحليلية للوحتين للملك «امنتحب الثالث» في مدينة أبو نو، وتناول الدكتور ضيف

الطلحي نموذجًا للمسكن النبطي في مدائن صالح، وكتب كل من: الدكتور أحمد أبو القاسم الحسن، والدكتور العباس سيد علي عن تصنيف الفخار الأثري: إشكالات النظرية والمنهج.

وتضمن العدد تقريرًا عن مؤتمر الصحراء والإنسان: معرفة لكسب المهارات وحسن التصرف للدكتور مزيدان عبدالكافي كفافي.

وفي قسم اللغة الإنجليزية كتب كل من: الدكتور فرد ويندروف، ورومو الدشيلد عن الحرب في النوبة إبان العصر الحجري المتأخر: الشواهد والأسباب، وتناول الدكتور باولو سياجي مسوحات على الساحل العماني :مراجعة لمواقع ما قبل تاريخية اكتشفت بين ظباب والقلعة، وقدم الدكتور فرج الله أحمد يوسف مقالاً عن المسكوكات النبطية.

العنوان : السعودية ـ الرياض

ص ب: ١٠٠٧٠ ـ الرياض ١١٤٣٢

هاتف: ٤١٢٥٢٦٦ / ناسوخ: ٤٠٢٢٥٤٥

نوافذ (ع ٢٨، ربيع الآخر ١٤٢٥هـ/ يونيو ٢٠٠٤)

دورية تعنى بترجمة الأدب العالمي، وتصدر عن النادي الأدبي الثقافي في جدة.



احتوى العدد على مقالات متنوعة مترجمة من الأدب الأوزبكي الذي يشمل عددًا من دول آسيا الوسطى، وعن فن القصة القصيرة في الأدب الأوزبكي واتجاهات تطوره كتب كل من نظام الدين محمودوف، والدكتور قُرداش قهرمانوف، وتناول مشرب بابابيف الصور التي رسمتها زولفيا. وفي مجال القصائد جاءت مشاركات كل من: جولبان، وإركين وحيدوف، وعبدالله عاربوف، ومحمد يوسف، ومحمد علي، وآيدن حاجييفا.

وتضمن العدد قصص قصيرة مثل: «الزار» لعبدالله قادري، و«أيها الولد اللص» لغفور غلام، و«معلم الآداب» لعبدالله قهار، و«عصيان الكنائن» لسيد أحمد، و«أمانة القيامة» لأولماس عمربيكوف، و«الوليمة» لأوتكير هاشيموف، و«الصف» لخورشيد دوست محمد، و«المسألة الحساسة» لفرهاد موسى جانوف، و«رمضان» لآيدن حاجييفا، و«الجد والحفيد» لطاغي مراد، و«الثلج الأبيض» لأمان مختار، و« ذو الشعر الأزرق» لناصر فاضلوف.

العنوان: النادي الأدبي في جدة

ص ب: ٥٩١٩ جدة ٢١٤٣٢

هاتف: ٢٠٦٦١٢٢

ناسوخ: ٦٠٦٦٦٩٥





عالم يحكمه الكبار.. أطفال في سوق العمل

نزار نجار
حماة - سورية

إنّ قضية عمالة الأطفال على درجة من التعقيد والصعوبة، بحيث لا تنقاد أمام الحلول السهلة. والطرائق الشاملة والمدروسة جيّدًا لحلّ هذه المشكلة يجب أن تأخذ في الحسبان مصالح الطفل، وأن تُجَسِّدَ التزام الحقوق الإنسانية للطفل.

ركّز آخر تقرير عن وضع الأطفال في العالم، في أثر ضم المنظمة صوتها إلى أصوات المدافعين عن حقوق الطفل، والمطالبين بوضع حدّ لعمالة الأطفال.. وما أكثر الأطفال الذين يتعرّضون للخطر في العالم بسبب العمل.

استغلال

حسب تقرير منظمة «اليونيسيف» التابعة للأمم المتحدة، هناك أكثر من ٢٥٠ مليون طفل من مختلف دول العالم الغنية والفقيرة يُستغلون في أعمال خطيرة. ويحرمون أحيانًا من فرص التعلّم، ويُقحمون في دوامة الفقر، لذا باتت حقوقهم الأساسية وصحّتهم، بل حياتهم مهدَّدة بالخطر.

وفي التقرير الرسمي الذي وضعته رعاية الطفولة جاء ما نصه: «إن آلافًا من الأطفال يُستغلون يوميًا أو يُستدرجون، أو يباعون في سوق تجارة الجنس العالمية، وإن هذه السوق تشهد اتساعًا متزايدًا، ويقدّر رقم أرباحها بعدة مليارات من الدولارات..».

وقد جعل ذلك وثيقة عمل أساسية لأول مؤتمر دولي لمكافحة الاستغلال الجنسي للأطفال، عقد في مدينة استوكهولم في أغسطس/آب ١٩٩٦م، وكانت منظمة أهلية تطلق على نفسها اسم «أوقفوا دعارة الأطفال في السياحة الآسيوية» قد دعت، بالتضامن مع الحكومة السويدية، إلى عقد ذلك المؤتمر الأول من نوعه في التاريخ الدولي الحديث والمعاصر، وقال منظمو المؤتمر: «هناك أكثر من مليون طفل يدخلون كل سنة سوق الجنس غير المشروعة».

مآسي الحروب

وهناك تقارير دولية أخرى ذات قيمة تتناول ما يمكن أن نطلق عليه «مأساة أطفال ما بين الحربين»، أو مأساة أطفال الدول التي تدور بينها حروب إقليمية أو أهلية في وقتنا الحاضر، فهناك ١٢٠ ألف طفل في إفريقية جرى تسخيرهم في النزاعات المسلّحة التي تنشب على أساسات عرقية أو طائفية. وهؤلاء الأطفال أُقحموا في النزاعات التي خطط لها الكبار، وأصبحوا طرفًا في الحرب دون أن يعرفوا ذلك.

ودخل أطفال إفريقية عالم الحرب، فهم يحملون البنادق والرشّاشات، ويلبسون البدلات المموّهة، ويشاهدون الموت أمام أعينهم، فيصبح الموت اعتياديًا ومألوفًا، ولا شك في أنّ أولئك الأطفال سيعتادون الإجرام..

لكنّ هناك أكثر من ٢٥٠ ألف طفل تراوح أعمارهم بين ٥ و ١٤ سنة سيضطرون إلى العمل، ومن لا يعمل يكن عرضة للتشرّد والاستغلال الوحشي في أعمال من بينها الدعارة.

أطفال آسيا

وتعد آسيا أكثر قارات العالم التي تضمّ أطفالاً عاملين. وتأتي الهند في مقدمة الدول التي تزجّ بصغارها في سوق العمل. فهناك ١٤ مليون طفل عامل دون سن الرابعة عشرة، أما في أمريكا اللاتينية فقد تبيّن من الإحصاءات أنّ هناك ملايين الأطفال المستغلّين في سوق العمل (٢,٥٪ من مجموع الأطفال في البيرو و ٨,٦٪ من مجموع أطفال الأرجنتين و ٦,٨٪ من أطفال البرازيل يزاولون أعمالاً تثقل كاهل طفولتهم).

إن عدد الأطفال الذين يُتاجر بهم يزداد، ويجري في آسيا حاليًا استثمار عدة قنوات (غير التشغيل والسخرة)، فقد بدأ إرسال الأطفال والفتيات الصغيرات من بورما إلى تايلاند، ومن النيبال إلى الهند، ومن الفيتنام إلى كمبوديا، وظاهرة استغلال الأطفال انتشرت، وامتدت إلى دول لم تكن تعرف الاتجار الجنسي بالأطفال من قبل، فقد أصبحت

الدعارة في أوساط الأطفال والأحداث من الأنشطة المألوفة في كمبوديا، وبعض أقطار أوربا الشرقية.

وصيغة انتشار هذا الوباء الاجتماعي خلق معايير جديدة مثل: صناعة الجنس وسياحة الجنس، والسيّاح الأجانب الذين ينفقون بسخاء على هذه الممارسات جعلوا سوق الدعارة أكثر نشاطًا، وأغرقوا أسواق العالم بالأفلام الجنسية الماجنة.. وقد قامت شبكات الإجرام العالمية بممارسة أنشطة تجارية مستخدمة وكلاء محليين يقومون بالترويج لهذه الأعمال تحت شعارات عمل مختلفة، يعرضون على الآباء قائمة بالمهن التي يمكن للفتيات الصغيرات ممارستها.. وهكذا، حتى يقعن في النهاية في سوق الدعارة والبغاء..

في إيطاليا فُتحت ملفات دعارة الأطفال، في مجلات وأفلام، وعبر شبكة الإنترنت الدولية للحاسوب، وطرحت إعلانات على هذه الشبكة لبيع أطفال مخطوفين أو يتامى أحضروا من البلدان الفقيرة إلى المهووسين جنسيًا من البالغين، وقد ازدهرت تجارة الرقيق من القاصرين ازدهارًا مروعًا، وصار سعر الطفل والطفلة لا يقلّ عن خمسة آلاف دولار مستوردًا من الباكستان أو الهند أو أمريكا الجنوبية أو يوغسلافيا سابقًا.

صورة عربية

لقد أشارت دراسة جادة قام بها المركز القومي للبحوث الجنائية والاجتماعية في القاهرة عن عمالة الأطفال العرب دون السن القانونية للعمل، وألقت هذه الدراسة الضوء على ما في هذه المشكلة من خطورة، ومع ذلك لم تحظ باهتمام كبير، على الرغم من أنها تناولت الظروف الأسرية، واحتياجات الطفل، والعوامل الاجتماعية والاقتصادية المسببة لعمالة الأطفال، ومدى تأثير العمل المبكر في صحة الطفل النفسية والجسدية.

وفي المغرب قامت جمعية مقاومة السخرة بدراسة خاصة عن عمالة الأطفال في صناعة السجاد، وتناولت عمالة الفتيات دون سنّ الثانية عشرة، في ظل ظروف محبطة وسيئة جدًا.

حلول ومقترحات

كل شيء ممكن، وكل شيء يُشترى، وهذه مقولة أولئك الذين لا يَرَوْن في عمالة الأطفال أي ضير، وفي غياب الرقابة الرسمية يحدث أسوأ من ذلك، هناك تشغيل سيّئ للأطفال، هناك أعمال سخرة وممارسات خاطئة، هناك حقائق وأرقام وتقارير، هناك مشكلة! فما الحل؟ وكيف يمكن التغلّب على هذه الأمور مجتمعة؟!

أولاً: لا بدّ من وضع سياسة اجتماعية متكاملة تصلح لمعالجة جذور هذه المشكلة، والأقطار العربية بدأت تولي أهمية لظاهرة العمالة الطفلية، وهي في طور الإعداد لدراسات وأبحاث من أجل تعرّف الظاهرة والوقوف على مخاطرها، والطفل سيكون رجل الغد والمستقبل.

ثانيًا: التوجّه إلى القائمين على أمور المجتمع من أجل حماية الصغار.

ثالثًا: هناك فجوة واسعة بين النظرية والتطبيق، أو بين القانون والواقع، لا بّد من ردمها، والعمل على إثارة الوعي والاهتمام بمخاطر العمالة الطفلية.

رابعًا: لقد أعلنت «اليونيسيف» حربها ضد عسكرة الأطفال، بعد أن جنّدت «سيراليون» الأطفال، وبعد أن ارتكبت جرائم بشعة بحقّ الطفولة.

خامسًا: مناشدة حكومات العالم بتحريم كل شكل من أشكال استغلال الأطفال (وقد وجّه معظم الحائزين على جائزة نوبل نداء طالبوا فيه تنفيذ التوصيات التي أُقرّت لخلاص الإنسانية من عمالة الأطفال واستغلالهم أسوأ استغلال).

سادسًا: توحيد الجهود، ودعم قوى الخير في العالم لإنقاذ الطفولة، وتغذيتها بالقيم الإسلامية الخلاّقة المبدعة.

سابعًا: دعوة المثقفين والإعلاميين والمؤسسات الإنسانية من أجل شدّ أزر العاملين على مصلحة الأطفال، والغيورين على تربيتهم التربية السليمة.

ثامنًا: الطفولة تعني البراءة والطهر فلترسّخ المحبة لها، ولنقاوم العنف والقسوة، ولنغرس أسمى العلاقات الاجتماعية فيها..

تاسعًا: كل منجزات العلوم يجب أن تنصبّ في خدمة المثل العليا والقيم الإنسانية الرفيعة والأصلية.

عاشرًا: توفير فرص التعليم، وتوفير قدر أكبر من الحماية القانونية، واستصدار شهادات ولادة لجميع الأطفال، ووضع حدّ فوري لعمالة الأطفال الخطيرة..

أخيرًا.. إنّ الأطفال أثمن ما نملك، وإذا كسبنا الأطفال، كسبنا المستقبل..


تعاني من هذه المشاكل
لدينا
الحل ...
الدار العربية للطباعة والنشر
ARABIAN PRINTING & PUBLISHING HOUSE